دراسات

القراءات واللهجات والعلاقة بينهما

صباح عبدالله محمد بافضل
أستاذ النحو والصرف المساعد - قسم اللغة العربية
كلية الآداب للبنات - الدمام

لاشك أن العلاقة بين القراءات القرانية واللهجات العربية وثيقة ، ولعل هذه العلاقة تسترعينا في قول الرسول ﷺ : «أنزل القرآن على سبعة أحرف» . ونقدم بين يدي هذا البحث تعريفًا بمادة ل . هـ . ج ، والتي فسرها العلماء بما يلي :

أولاً اللهجات

أ- معنى كلمة لهجة :

- اللَّهْجة : اللسان ، وقد يحرّك يقال : فلانٌ فصيح اللَّهْجة واللَّهَجة (١) ، وفي الحديث : «ما من ذي لَهْجَةٍ أصدق من أبي ذرّ» ، وفي حديث آخر : «أصدقُ لهجةً من أبي ذرّ» (٢) .
- اللَّهْجة واللَّهَجَة : طرف اللسان (٣)
- اللَّهْجة واللَّهَجَة : جَرْس الكلام ، والفتح أعلى (٤) .
- اللَّهْجة واللَّهَجَة : اللغة التي جبل عليها الإنسان (٥) .

من هنا نصل إلى أن اللهجة ترادف اللغة فما معنى اللغة واشتقاقها ؟

ب - معنى كلمة لغة واشتقاقها :

ذهب العلماء في كلمة لغة مذاهب متقاربة ، وكلها تدور حول ما يلي :

- اللَّغا : اللَّغْو من القول ، واللُّغة معروفة ، وجمعها : لُغَات ولُغُون ولُغِين ولُغًى (٦) واللغة أصلها : لُغى أو لُغوٌ ، و (الهاء) عوض ، وجمعها لُغًى مثل بُرَه وبُرًى (٧) ، وكذلك ماكلُّ لاماتها واو ، ولُغة بزنة : فُعلة (٨) . والنسبة إليها لُغويٌّ (٩) ولا تقل لَغوي ، وقال بعضهم : سمعت لغاتَهم بفتح التاء شبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء (١٠) .
- لَغَا يَلْغو : قال باطلاً (١١) ، واللَّغو : الباطل ومنه قوله تعالى ﴿ وإذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (١٢) .
- لَغِي يَلْغَى لغًا : لهج (١٣) .
- لَغِي بالشراب : أكثر منه (١٤) .
- ألْغَيْت الشيء : أبطلته (١٥) .
- ألْغاه من العدد : ألقاه (١٦) .
- اللاغية : اللغو . قال تعالى : ﴿ لاتَسْمَعُ فِيهَا لاغيةً ﴾ (١٧) أي : فاحشة .. وهي على النسب (١٨) .
- واللَّغو في الأيمان : ما لا يعقد عليه القلب ، وقيل : الإثم قال ﷺ : «لايُؤاخِذكُم اللَّه بالإثم في الحَلف إذا كَفَّرتُم» ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُم اللَّهُ بِاللَّغوِ في أَيْمَانِكُمْ ﴾ (١٩) .
- اللَّغْو : ما لا يعدُّ من أولاد الإبل في دية أو غيرها (٢٠) .
- اللَّغْو واللَّغا : السقط وما لا يعتدُّ به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع (٢١) .
- اللَّغو : نباح الكلب (٢٢) .
- اللَّغْو واللَّغَا : ما لا يعتد بها في المعاملة ، وكل ما أسقط فلم يعتد به فهو مُلْغًى (٢٣) .
- لَغِي لغًا ومَلْغَاة : أخطأ (٢٤) ، وَيَلْغَوْن في الحساب : يغلطون (٢٥) .
- اللَّغا : الصوت أو صوت الطائر ، كذلك كل صوت مختلط (٢٦) ، وتَلْغى الطير بأصواتها : تنغم (٢٧) .
- لاغيته : هازلته (٢٨) .
- اللَّغْوى : لغط القطا (٢٩)
- وَلَغَا ثريدته : روّاها بالدسم (٣٠) .
- ولَغَا : تكلَّم ، ومنه حديث (مَنْ قال في يوَم الجُمعةِ

«صَهٍ» فقد لَغَا) أي تكلَّم [31] .

– لَغَا لَغْوًا : تكلم وخاب ، أو خاب [32] .

– واللغة : ما تسبق إليه الألسنة من القول على غير عزم أو قصد إليه [33] .

– ومن المجاز في لَغَا قولهم : لَغَا عن الطريق وعن الصواب : مال عنه [34] .

– اللغة : بمعنى اللهجة [35] ، ومنه قول أبي عمرو بن العلاء لأبي خيرة ، وسمعت لغاتهم [36] ، ومنه كذلك قول أبي سعيد إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاستلغهم أي: اسمع من لغاتهم من غير مسألة [37].

– اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [38] .

– ومن خلال عرضنا السابق نجد أن اللغة رادفت اللهجة ، وسأضع يدي على النصوص التي وردت فيها هاتان الكلمتان مترادفتين .

ج – الترادف بين اللغة واللهجة :

وردت كلمة (اللغة) بمعنى اللهجة حيث ذكر ابن فارس أن (لغى بالأمر أي : لهج به) [39] ، وكما ذكر ابن سيده أن اللغة بمعنى اللهجة ، والدليل قول أبي عمرو لأبي خيرة : (وسمعت لغاتهم) [40] .

وإذا كان الأمر كذلك في اللغة وأنها بمعنى اللهجة فقد جاء العكس ، وجاءت اللهجة بمعنى اللغة فذكر في تعريفها (اللهجة : اللغة التي جُبِلَ عليها الإنسان) [41] .

ولم تكن المعاجم اللُّغوية وحدها هي الوحيدة التي استعملت كلمة لغة بمعنى لهجة أو العكس ؛ بل وُجدت في مصادر الدراسات اللغوية القديمة .

– عقد ابن جني في خصائصه بابًا خاصًا سماه (اللغات على اختلافها حجة) [42] .

– وقال أيضًا : (إن القرآن بهذه اللغة نزل ، ولغته أفصح اللغات) [43] .

– خصص ابن فارس بابًا في كتابه (الصاحبي) أسماه (باب اللغات المذمومة) [44] .

– والسيوطي حين ذكر سبب فصاحة قريش يسمي لهجات العرب لغات فقال : (فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبِعُوا عليها) [45] .

وقد وردت في كتب الأدب لفظة (لغة) بمعنى (لهجة) ومن ذلك :

– ما قاله الجاحظ : (الحنطة لغة كوفية ، والقمح لغة شامية) [46] .

وفي كل تلك المواضع كانت اللغة بمعنى اللهجة.

كما ترادف كلمة (اللغة) كلمة (اللسان) ومن ذلك قوله تعالى في وصفه القرآن الكريم .

– ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [47] .

– وقال عز وجل في محكم كتابه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [48] أي بلغتهم ، وقد وردت كلمة (لسان) بمعنى (لغة) تسع مرات في القرآن الكريم .

وإذا نظرنا إلى كتب الأقدمين وجدنا أيضًا أن لفظة (لسان) تطلق على (اللهجة) .

– قال ابن فارس : (إن قريشًا أفصح العرب ألسنة) [49] .

– كما ذكر السيوطي مثل ذلك فقال : (والذين نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتُدي ، وعنهم أُخِذَ اللسان العربي) [50] .

– وقال في المزهر أيضًا : (اختلاف لغات العرب إنما جاء من قبل أن أول ما وضع منها وضع على خلاف من اللغة على أنها اللسان) [51] .

ومن هنا نجد أن اللغة واللهجة واللسان تأتي كلٌّ منها مرادفة للأخرى ، وإذا كان الأمر كذلك فما مدلول اللهجة واللغة عند القدماء والمحدثين ؟

د – مدلول اللهجة عند القدماء والمحدثين :

مما سبق رأينا أن اللهجة لها أربعة مدلولات عند القدماء ، وما يهمنا هنا هو أن اللهجة هي اللغة التي جبل عليها الإنسان [52] .

أما المتخصصون في اللغة من المحدثين فقد عرفوا اللهجة تعريفًا علميًا دقيقًا نبدؤهم :

أولاً : حسن عون الذي عرفها بقوله : (إنهاتشعب وتنوع اللغة بتنوع القبائل الناطقة بها) [53] .

ثانيًا : بيَّن إبراهيم مدكور أن اللهجة (استعمال خاص للغة في بيئة معينة) [54] .

ثالثًا : عرَّفها عبدالوهاب حمودة بأنها : (أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها ، ومثل : تسهيل الهمزة أو تحقيقها ؛ فهي محصورة في جرس الألفاظ ، وصوت الكلمات ، وكل ما يتعلق بالأصوات

وطبيعتها وكيفية أدائها) [55] .

رابعًا : حدَّد إبراهيم أنيس اللهجة بأنها : (مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة) [56] .

خامسًا : أما هاشم الطعان فقد أورد تعريفين للهجة ، التعريف الأول نقله عن إبراهيم مدكور ، والتعريف الثاني نقله عن إبراهيم أنيس [57] ، وأكمل في موضع آخر عن نشأة اللهجة بأن (تعرض للغة منها تقسيمات فرعية تبعًا لتقسيم المتكلمين بها إلى جماعات صغيرة ، مع دخول الزمن عاملاً أساسيًا في هذا ، ويعرف كل قسم فرعيّ في داخل اللغة الواحدة باسم اللهجة) [58] .

أما المستشرق فندريس فإنه لم يضع تحديدًا واضحًا للهجة ، بل حام حول المعنى فذكر أن اللهجة عبارة عن (لغات منبعثة من أصل واحد وقد فرقت بينها ظروف تاريخية فالانتقال بين إحداهما والأخرى انتقال غير محسوس ، وليس هناك معارضة جسيمة بين لغتين وضعت إحداهما في مواجهة الأخرى ، وزودت كل منهما بوسائل للتعبير مختلفة والصعوبة تعظم وتعظم إذا أردنا أن نضع حدودًا بين اللهجات التي في داخل مجال لغوي واحد) [59] .

وفندريس بهذا يذكر أن اللهجة عبارة عن لغات ويعني باللغة تحديد الأقدمين لها – نشأت من أصل واحد وتوزعت في مواطن مختلفة بحسب الظروف التاريخية بحيث لا يشعر السامع بذلك الاختلاف بين لهجة وأخرى لأن منشأهما واحد ، وليستا لغتين مختلفتين – .

ونستنتج مما سبق أن تعريف اللهجة أو مدلولها بمعناه الاصطلاحي المعروف اليوم لم يكن معروفًا منذ القدم ، وتكاد تتفق المعاجم اللغوية التي رجعت إليها على أن اللهجة هي اللسان أو طرفه ، أو جرس الكلام ، أو أن اللهجة هي اللغة التي جبل عليها الإنسان [60] . أما تعريف المحدثين فكان أدق من تعريف السابقين . وما أرجحه في تعريف السابقين هو ما عرَّف به إبراهيم أنيس اللهجة .

هـ – مدلول اللغة عند القدماء والمحدثين :

عرفنا مما سبق أن لكلمة (لغة) مدلولات كثيرة ومعاني متعددة بحسب ما وضعت من أجله هذا عند القدماء . وما يهمنا هنا هي أنها تطلق على اللهجة، كما تطلق على الكلام ، غير أن معناها الاصطلاحي بدأ في الظهور عند ابن جني ثم عند ابن سيده حين عرفاها بقولهما هي: (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[61].

أما المحدثون من العرب والمستشرقين فقد ذكروا تعريفات أخرى للغة منهم :

– عبدالوهاب حمودة ؛ عرَّف اللغة تعريفًا عامًا فقال: (اللغة يراد بها الألفاظ التي تدل على المعاني من أسماء وأفعال وحروف ، ويراد بها النحو وهو : طريق تأليف الكلمات وإعرابها للدلالة على المقصود، وكذا يراد بها كل ما يتعلق باشتقاق الكلمة وتوليدها ، وبنية الكلمات ونسجها) [62] .

– أما عبدالرحمن أيوب فقد كان أكثر تحديدًا ودقةً في تعريفه فأورد تعريفين قال في التعريف الأول : (اللغة : نظام تعبيري صوتي استقر عليه العرف والاستعمال في عصر معين وبين جماعة أو طائفة معينة يمكن بواسطتها التفاهم بين أفراد هذه الجماعة الذين يبلغون مستوى عاديًا من الإدراك) .

وفي التعريف الثاني قرر : (أنها كل ما قاله أو يقوله أو سيقوله أي فرد من أفراد جماعة لغوية ما) [63] .

ونلحظ من التعريفين أنهما يكادان يكونان متطابقين في المعنى إلا أن العبارة قد اختلفت ، وفي الثاني كان التعريف أبسط .

وواضح أيضًا من تعريف كلا الباحثين أن عبدالوهاب حمودة كان يضيق التعريف فيقصُرُهُ على النحو والصرف، بينما نجد عبدالرحمن أيوب يوسع هذا المفهوم ليشمل اللغة المستعملة المتداولة بوجه عام .

– أما تمام حسان فإنه قبل أن يتطرق إلى تعريف اللغة خاص في موضوع التفريق بين الكلام واللغة من حيث طبيعةُ كلّ منهما وتكوينهما . فالكلام على حد قوله (عمل واللغة حدود هذا العمل. والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط . والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة . والكلام يحس بالسمع نطقًا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام . فالذي نقوله أو نكتبه كلام والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة . فالكلام هو المنطوق وهو

المكتوب واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها . والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية) (٦٤) .

ومعنى هذا أن اللغة عنده هي الضوابط التي تضبط الكلام، والكلام تطبيق لتلك القواعد وهي اللغة.

– ومن كلامه خلص إلى أن اللغة «منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة (وقد سميناها من قبل بالأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من (المعاني) تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المعاني المعبرة عن هذه المعاني ، ثم من طائفة من (العلاقات) التي تربط ربطاً إيجابياً ، والفروق (القيم الخلافية) التي تربط سلبياً بإيجاد المقابلات ذات الفائدة بين أفراد كلّ من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني» (٦٥) .

وتعريف الدكتور تمام حسان للغة يتحدد بهذه المعادلة البسيطة :

معان + مبان + علاقة تجانسية أو تخالفية ← اللغة

– وقد حدد أحمد مختار عمر اللغة بأنها (سلسلة من الأصوات المتتابعة أو المتجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتى تصل إلى المجموعة النفسية) (٦٦) .

ومعنى تعريفه أن اللغة عنده عبارة عن أصوات أو حروف تتركب معًا في وحدة أكبر منها وهي الكلمة ، ثم تتركب الكلمات معًا حتى تكوّن جملة أو جملا ، هذه السلسلة من التركيب هي ما تسمى باللغة ولو حاولنا أن نترجم ذلك بمعادلة أشبه بالمعادلات الكيمائية لقلنا :

أصوات أو حروف ← كلمة
كلمة + كلمة ← جملة
جملة + جملة ← لغة
فاللغة عنده عبارة عن أصوات + كلمات ← لغة

ويبدو لي أنه كان من المستحسن أن يضيف دلالة تلك الكلمات أو الجمل بالنسبة للمتكلم أو السامع بحيث تتطابق تلك الدلالة لديهما حتى يفهم كل منهما الآخر ، وبدون ذلك التطابق يصبح تعريفه واسعًا بحيث يشمل أية لغة بحيث لو تحدث إنسان لغةً أجهلها – وهي لا تعني لي شيئًا – لا تطلق عليها مصطلح (لغة) ، وهي بالنسبة لي كلام أشبه بالطلاسم ، فاللغة بالنسبة لشخص لابد أن تكون مفهومة أي واضحة الدلالة .

– أما خليل عمايرة فإنّه عندما أراد تعريف اللغة شرح تعريف ابن جني لها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) (٦٧) فقال : (هذا الرأي يضم نقطتين رئيستين هما : أن اللغة مجموعة من الأصوات «الفونيمات» التي تنتظم في كلمة ، والكلمة تنتظم مع الكلمة فتكون جملة ، وأن الجمل التي تنتظم فيها الكلمات تكون في مجموعها ما يسمى باللغة التي تعبر عن المعاني التي في ذهن المتكلم ويحتاج في إخراجها ، لنقلها إلى السامع أو ليفصح عن مشاعره الداخلية وإحساسه بموضوع معين إلى تلك الجمل أو إلى هذه اللغة) (٦٨) .

ويبدو لي أن خليل عمايرة متأثر بنظرية تشومسكي التي سأعرض لها فيما بعد .

– وحين عرّف فندريس اللغة ذكر تعريفين لها ، ففي موضع عرّفها بأنها (مجموعة الإجراءات الفسيولوجية التي في حوزة الإنسان لتمكنه من الكلام) (٦٩) . وفي الموضع الثاني عرّفها بقوله : (هي الصورة اللغوية المثالية التي تفرض نفسها على جميع الأفراد في مجموعة واحدة) (٧٠) .

ويبدو لي من التعريفين أن الأول يصف الطريقة والوسائل التي تُمَكِّنُ الإنسان من الكلام في حين أن التعريف الثاني كان يركّز على وظيفة الكلام .

ولم يكتف فندريس بتعريف اللغة ؛ بل فرق بينها وبين اللغات التي عرفها بقوله : (استعمال هذه الإجراءات بصورة عملية) (٧١) .

والتفريق بينهما بمعنى أدق حسبما رآه فندريس أن اللغة عبارة عن الصورة العقلية في ذهن المتكلم للشيء المُدْرَك بحيث يكون ذلك المُدْرَك هو المُدْرَك عينه في ذهن السامع بينما اللغات وسيلة التعبير عن تلك المُدْرَكات الحسية أو العقلية .

– نُقِل تعريفين للغة عند (دي سوسير) الأول ترجمه عبدالصبور شاهين إذ ذكر في تعريفه أن اللغة : (مجموعة من الأعراف الضرورية يستخدمها الكيان الاجتماعي ليسمح بمزاولة هذه الملكة عند الأفراد) (٧٢) .

والتعريف الثاني نقله صلاح الدين حسنين فقال : إن (اللغة نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللغوية ، سواء على المستوى الفونولوجي أو الصرفي أو النحوي) (٧٣) .

وقد فرق (دي سوسير) بين اللغة واللسان فعرّفه بأنه : (نتاج اجتماعي لملكة اللغة) (٧٤) .

فكأنه بذلك فصل بين الأداء وهو اللسان الذي جعله نتاجًا اجتماعيًا ، وبين الفكر وهي اللغة .

– ذكر (دافيد كريستل) أن اللغة ظاهرة معقّدة جداً ، وهي بذلك تحتاج إلى جهد كبير للحكم عليها أو وصفها بعبارات موجزة إذ تتكوّن من جانبين هما :

أولاً : (الجانب الوظيفي Functional أي الوظائف التي تقوم بها في حياة المجتمع الإنساني ، ثم هناك الجانب الشكلي Formal أي الطريقة التي تتركب بها اللغة) . وختم حديثه بأنه لن يقدم تعريفًا للجانب الوظيفي أو الشكلي ؛ لأن ذلك يستغرق وقتًا طويلاً لشرح المصطلحات التي تتضمنها تلك التعريفات (٧٥) .

ثم أجمل الحديث عن اللغة بقوله : اللغة (نشاط إداري بصورة أساسية يشترك فيه بدرجات متفاوتة كل الأفراد الذين يعيشون في مجتمع متكلم Speech Cammunity معين ؛ لأن اللغة تسمو فوق الخصوصيات ؛ إذ لو لم نشترك جميعًا في نظام واحد للكلام لما استطاع أحدنا أن يتصل بالآخر) (٧٦) .

ونستطيع أن نجمل رأيه بأن اللغة لديه تتكوَّن من أمرين ؛ جانب وظيفي وجانب شكلي يتمثل الجانب الأول في وظيفة اللغة في حياة الفرد والمجتمع ، أما الثاني فيظهر في الطريقة التي تتكون منها اللغة . وبذلك نرى أنه جمع بين اللغة واللسان عند (دي سوسير) .

– نقل هاشم الطعان تعريف ماريه للغة فقال: (إن كلمة «لغة» تعني كل جهاز كامل من وسائل التفاهم بالنطق المستعملة في مجموعة بعينها من بني الإنسان بصرف النظر عن الكثرة العادية لهذه المجموعة أو قيمتها من الناحية الحضارية) (٧٧) .

– كما نقل أيضًا تعريف ستالين لها فقال عنها : إنها (الشيء الرئيسي في لغة ماهو نظامها الغرامطيقي والمضمون الأساسي لقاموسها) (٧٨) .

– يرى (نوم تشومسكي) أن اللغة عند الإنسان ترتبط بمصطلحين :

الأول : الكفاءة (Competence) .

الثاني : الأداء (Performance) .

أما المصطلح الأول فيظهر في امتلاك المتكلم القدرة على إنتاج كم هائل من الجمل من عدد محدود من الفونيمات الصوتية (الحروف) والقدرة على الحكم على صحة الجمل التي تسمع من وجهة نظر نحوية تركيبية تستطيع الربط بين الأصوات المُنْتَجة وتجميعها في مورفيمات (كلمات) لتكوّن جملاً ذات دلالة على معنى لغوي محدد . كل ذلك يتم بعمليات ذهنية داخلية يتم التنسيق بينها بما يسمى قواعد إنتاج اللغة .

أما الأداء فيظهر في استعمال اللغة أو الكلام أو الجمل المُنْتَجَة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكافية وقد مثّل لها (تشومسكي) بما يلي :



والذي يبدو لي من خلال المعادلة التي ذكرها (تشومسكي) أن اللغة لديه مكونة من الكفاءة والأداء تخضعان للقواعد النحوية واللغوية ، وقد وسع مفهوم الكفاءة بحيث جعلها تشمل إنتاج كم هائل من الجمل (مفهوم الكفاءة) بالإضافة إلى الدلالة المعنوية الذهنية . أما في المعادلة فقصره على تلك الدلالات المعنوية . وفي رأيي أن اللغة مكونة من قدرة على إنتاج كم هائل من الجمل وهو (الكفاءة) بالإضافة إلى استعمال اللغة وهو (الأداء)

تخضعان للقواعد والقوانين النحوية واللغوية بالإضافة إلى دلالات معنوية ذهنية تكون واضحة في ذهن السامع والمتكلم معًا ، أو يمكن إجمالها بهذه المعادلة البسيطة : (أ) + (ب) + (جـ) كفاءة (القدرة على إنتاج اللغة) + أداء (أصوات منطوقة) + (دلالة معنوية ذهنية تكون واضحة في ذهن السامع والمتكلم معًا)

تخضع للقواعد والقوانين النحوية التي تربط تلك الأمور معًا .

← لغة (د)

بمعنى آخر أ + ب + جـ = د

وهذا هو ما أرتضيه من تعريف اللغة . والفرق بين (تشومسكي) و (دي سوسير) أن الأول (تشومسكي) عند تعريفه للغة جمع بين مصطلح اللغة واللسان عند الثاني (دي سوسير) ، وجعل اللغة نتاجًا عقليًا للفرد نفسه ، بينما الثاني جعل اللسان نتاجًا اجتماعيًا للغة .

ومن خلال الدراسات اللغوية السابقة نجد أن هناك علاقة بين اللغة واللهجة ، فما هي هذه العلاقة ؟

و - العلاقة بين اللغة واللهجة :

كانت اللغة واللهجة عند القدماء مترادفتين كما تبين مما سبق . أما عند المحدثين فمن المعروف أن اللغة إذا ما انتشرت في مناطق واسعة لسبب من الأسباب ؛ وتكلم بها جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها اللغوية زمنًا طويلاً فما تلبث أن تتشعب إلى لهجات ، ثم تتطور هذه اللهجات شيئًا فشيئًا إلى أن تتسع هوة الخلاف بين اللهجات واللغة الأصلية ، حتى تصبح اللهجة المشتقة من اللغة الأصلية لغة برأسها ، ومع ذلك تبقى هناك صلات قرابة بين اللهجات واللغة المشتقة منها ، ويبدو ذلك واضحًا في حروفها وكتابتها وطريقة نطقها ، وأحيانًا تكون اللغة الأصلية هي اللغة الأدبية والكتابية لهذه الشعوب المختلفة اللهجات ، إلى أن يكتمل نمو اللهجات وحينئذٍ تصبح هي لغة الكتابة الأدبية .

ولهذا القانون خضعت اللغة اللاتينية ، وهي إحدى لغات الفرع الإيطالي المتشعب من الهندية والأوربية ، فأخذت في أواخر العصور القديمة والوسطى تتشعب إلى عدد كبير من اللهجات إلى أن انفصلت عن اللغة الأصلية ، وأصبحت كل لهجة لغةً متميزة مستقلة لا يفهمها إلا أهلها، وظلت اللاتينية مدةً ما لغة أدب وكتابة وعلم بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية ، والإسبانية والبرتغالية) ولم تلبث أن تَنَحَّتْ عن ذلك بعد أن اكتمل نمو اللهجات إلى لغات [٨٠] .

فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة أعم من اللهجة بحيث يندرج تحت اللغة عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها [٨١] .

وجميع اللهجات عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية ، ومتى كثرت الصفات والخصائص التي تتميز بها اللهجة بعدت عن أخواتها حتى تصبح اللهجة لغة قائمة بذاتها . (فكما أن اللغة تتشعب إلى لهجات ، كذلك اللهجة قد تستقل وتشيع وتثبّت أقدامها حتى تصير لغةً) [٨٢] ولكننا لا نستطيع أن نطلق عليها مصطلح (لغة) إلى أن تموت اللغة الأم نفسها [٨٣] .

وهناك شيء آخر أود أن أشير إليه وهو مصطلح اللغة الخاصة . الحقيقة أننا نجد خلطًا بينه وبين اللهجة ، إلا أنه يمكن تحديد اللغة الخاصة - حسبما أورده فندريس - بأنها لغة (لا يستعملها إلا جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصة) [٨٤] ، ومثَّل لها بلغة القاضي أو المُحْضَر فإنهما لا يستعملان إلا (لغة بعيدة جداً عن اللغة الجارية : هي اللغة القانونية) [٨٥] ، فالذين يتكلمون اللغة الخاصة ينتسبون إلى جميع الطبقات في المجتمع [٨٦] . ومع ذلك فإنهم إذا تحدثوا معًا فإن كلاً منهم يستطيع أن يفهم الآخر ، وكأن هناك مصطلحات اتُّفِق عليها من قبلُ - بغض النظر عن لهجته المحلية .

أما اللهجة فلا يفهمها إلا أبناء المنطقة عينها ، وهو فرق دقيق جداً نستطيع أن نضرب له مثلاً في لغتنا العربية فإنها لغة ثُمَّ اللهجات الموجودة بها ؛ إذ لكل إقليم لهجته ، فإذا ما أتينا إلى لغة المجرمين أو التجار في قطر من الأقطار على اختلاف لهجاتهم واتفاق لغتهم (وهي العربية) ، فإن لهم لغةً أو اصطلاحًا بعينه بحيث يفهم كل منهم الآخر ، بغض النظر عن اختلاف لهجاتهم . هذه اللغة هي التي يمكن أن نسميها اللغة الخاصة ، وهي تختلف عن العربية الفصحى .

والخلاصة التي يمكن أن نجملها أن هناك علاقة بين

اللغة واللهجة واللغة الخاصة ؛ فاللغة هي الأعم ، واللغة الخاصة أعم من اللهجة ، واللهجة أخص من اللغة الخاصة. بحيث يندرج الجميع تحت اللغة التي هي الأعم .

وننتقل بعد ذلك إلى العوامل التي تساعد على تكوين اللهجات .

ز - عوامل تكوين اللهجات :

إذا عاشت لغة ما في مكان معين محدد فإنها تظل تحتفظ بخصائصها الصوتية ومميزاتها إلى أن تنتشر ويتسع انتشارها ، وينجم عن ذلك أن تتشعب إلى لهجات .

غير أن هذا العامل لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر ، ولكنه يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى تكوين اللهجات (٨٧) .

ومن هذه العوامل : الانعزال في بيئات الشعب الواحد ، الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرة (٨٨) ، عوامل اجتماعية وسياسية ، عوامل اجتماعية نفسية ، عوامل عرقية أو جنسية ، عوامل جسمية فسيولوجية (٨٩) .

وسنعرض بالتفصيل لكل هذه العوامل :

أولاً : الانعزال في بيئات الشعب الواحد :

من المعروف أن جزيرة العرب عبارة عن صحراء واسعة يصعب فيها الانتقال من مكان إلى آخر ، بسبب ما يفصل بين كل قبيلة وأخرى من فيافٍ واسعة ، لا سيما أن وسيلة الانتقال بين سكان الجزيرة قديمًا صعبة للغاية ، وكانت القبائل تستخدم الخَيْل والإبل ، فيقضون أيامًا طوالاً حتى يصلوا إلى غايتهم ، مما أدى إلى أن تنعزل قبائل الجزيرة العربية انعزالاً يكاد يكون تامًا لولا وجود الأسواق التي كانت تعقد في المواسم المعينة ، فأدى ذلك إلى تشعب اللغة إلى لهجات متميزة انفصلت عن اللغة الأم (وهي اللغة العربية) فساعد ذلك على انتشار اللهجات العربية في معظم أنحاء الجزيرة .

ثانيًا : الصراع نتيجة غزو أو هجرات :

فقد يغزو قوم قومًا آخرين فيحدث صراع لغوي بين اللغة الغازية واللغة المغزُوَّة ، وينتج عن هذا الصراع احتكاك بينهما ، لا تلبث أن تتغلب اللغة الأقوى على اللغة الضعيفة فتضمحل أو تضعف .

ولعل خير مثال لذلك الفتوحات الإسلامية التي حدثت إبان عصر الإسلام ، إذ جُهِّزت الجيوش وكانت مزيجًا مختلطًا من جميع القبائل العربية فنجم عن هذا الاحتكاك بين لهجات القبائل المختلفة وبين اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم - أقول نجم عنه - أن نشأت لهجة جديدة تمثل امتزاج اللهجات العربية القديمة جميعًا بالعربية الفصحى .

ومن المعروف أيضًا أن الجيوش الإسلامية لم تكن مستقرة في منطقة معينة ؛ بل كانوا يجوبون الآفاق للغزو أو لضرورات الأمن ، وهذا يتطلب أن تكون لهجة الجنود الجديدة موحدة ليستطيع كل فرد منهم أن يتفاهم مع أفراد الجيش الإسلامي في مختلف البلاد ، وما لبثت تلك اللهجة الجديدة أن اختلطت باللغات المحلية لسكان البلاد المفتوحة فنشأت لهجات عربية جديدة في تلك البلاد (٩٠) .

هذا بالنسبة للفتوحات الإسلامية ، أما بالنسبة للعصر الحديث فقد واجهت الدول العربية الاستعمار سواء كان فرنسيًا أم بريطانيًا فخلَّف بعض الألفاظ الأجنبية مكان الألفاظ العربية ، ولعل خير مثال على ذلك ما فعله الاستعمار الفرنسي بدول شمال أفريقيا (المغرب ، تونس ، الجزائر) حيث حلت كثير من ألفاظ اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ؛ بل أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية . أما اللغة العربية لديهم فإنها تنطق بطريقة يصعب على أي عربي من قطر آخر أن يفهم لغتهم .

أما بالنسبة للهجرات فإن انتقال قبيلة من القبائل إلى منطقة معينة يؤدي إلى وجود احتكاك بين اللغة الأصلية للبيئة المُهَاجَر إليها وبين القبائل المُهَاجِرَة . ولعل أصدق مثال لذلك الهجرات المتتالية من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها . فحصل احتكاك بين لغتي الشعبين نجم عنه اختلاف لهجة الغساسنة والمناذرة القاطنين في بلاد الشام والعراق - عن لهجات القبائل العربية التي تسكن في جزيرة العرب ، مما أدى إلى عدم الاحتجاج بلغة القبائل المُهَاجِرَة إلى تلك البقاع لمجاورتها للفرس والروم .

ثالثًا : عوامل اجتماعية سياسية :

ويظهر ذلك حين تبسط الدولة الغازية نفوذها على دولة أو دول أخرى ، ثم تعمل تلك الدول المُسْتَعْمَرَة على نيل استقلالها من الدول المُسْتَعْمِرَة بعد أن انتشرت فيها اللغة ، فيضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثِّق ما بينها من علاقات نتيجة اتساع الدولة

وكثرة المناطق التابعة لها ، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها فتنفصم الوحدة السياسية ، مما يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية (٩١) .

ولعل أحسن مثال لذلك حين بسط الإنجليز نفوذهم على الولايات المتحدة الأمريكية ، وبعد ذلك نالت استقلالها منهم بعد سنوات احتلال طويلة ، ونجم عن هذا الاستقلال أن اختلفت اللغة الإنجليزية في إنجلترا عن الإنجليزية في أمريكا ليس فقط من ناحية الأداء ، بل من حيث الكتابة أيضًا . فكلمة مثل (اللون الرمادي) تكتب في الإنجليزية الأمريكية هكذا (gray) في حين أنها تكتب في الإنجليزية البريطانية هكذا (grey) ، وكلمة مثل (لون) في الإنجليزية الأمريكية تكتب (color) أما في الإنجليزية البريطانية تكتب هكذا (colour) .

رابعًا : عوامل اجتماعية نفسية :

ذلك أن النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والطبائع والعادات ، وطريقة التفكير والتعاطف تجاه مشكلات اجتماعية يتردد صداه في أداة التعبير وهي اللغة فتظهر كلمات جديدة في اللغة تبعًا لمتطلبات المجتمع مما يؤدي إلى وجود اللهجات (٩٢) .

وأصدق مثال لذلك التغيير الذي حدث العرب بعد ظهور الإسلام ؛ إذ اختلفت القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد وظهرت ألفاظ إسلامية جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل الجنة ... إلخ ، وأودعت في اللغة العربية ، كما اختلف مدلول بعض الكلمات في الإسلام عنه في العصر الجاهلي مثل كلمة الإسلام والكفر ، والصلاة والزكاة ... وظهر ذلك واضحًا في الأدب شعره ونثره .

خامسًا : عوامل عرقية أو جنسية :

من المعروف أن هناك فروقًا بين البشر في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها . فالله جلت قدرته خلق الناس شعوبًا وأجناسًا وقبائل ، ولهذه الفروق آثار بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات (٩٣) .

ونستطيع أن ندلل لذلك باللغة الإنجليزية في أمريكا ، فالبيض الذين يعدون أنفسهم سكان البلاد الأصليين تختلف لهجتهم عن الزنوج والمُلَوَّنين ، كما أنّ الزنوج يتحدثون لهجة تختلف عن لهجة البيض ، بحيث لو أرهف الأجنبي سمعه لرأى الفرق واضحًا بينهما .

سادسًا : عوامل فسيولوجية جسمية :

وذلك يظهر فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في تكوين أعضاء النطق ؛ إذ تتعطل بعضها عن أداء وظيفتها الصوتية ، فيصعب عليها نطق بعض الحروف مما يؤدي إلى ظهور لهجة خاصة في اللغة (٩٤) .

فلغة مثل الإنجليزية مثلاً تختلف في أصواتها وطريقة أدائها عن العربية ، ولذلك تعطلت أعضاء النطق لدى الإنجليز عن أداء بعض الحروف والأصوات مثل الحاء والخاء ، والصاد ، والضاد ، والطاء ... إلخ . أما إذا تعلم العربية فإن حاول أن يقْسِر نفسه على أن ينطق بتلك الأصوات فإنه لا يستطيع ؛ لأن أعضاء النطق لديه تعطلت عن أدائها فتنشأ في اللغة لهجة أخرى خاصة به .

كما يبدو ذلك واضحًا أيضًا في الأطفال الذين ينشأون في بيئة غير عربية ، ولا يتكلمون اللغة العربية ، وإنما يتكلمون اللغة الأجنبية ؛ فإذا ما كبروا وحاولوا أن يتكلموا لغتهم الأم صَعُبَ عليهم النطق ببعض الحروف ؛ لأن أعضاء النطق تعطلت عن النطق بها ، وتكونت لديهم لهجات خاصة بهم .

فالعوامل السابقة (توجه اللغة عند كل جماعة وُجْهَةً تختلف عن وُجْهَتِها عند غيرهم ، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها منهجًا يختلف عن منهج أخواتها فتتعدَّد مناهج التطور اللغوي حسب تعدد الجماعات ، ولا تنفك مسافة الخُلْف أن تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد ، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها) (٩٥) .

ويبدو لي أن من أسباب تكوين اللهجات الاحتكاك بين القبائل العربية بعضها ببعض ، واحتكاكهم بالشعوب المجاورة عن طريق التجارة وإقامة الأسواق .

فأما عن طريق التجارة فقد أدت رحلة الشتاء والصيف التي كانت تقوم بها قريش إلى احتكاكها بغيرها من قبائل الشام واليمن ، فانعكس ذلك على لهجة قريش واكتسبوا بعض الألفاظ التي لم تكن موجودة بها من قبل ، وقد وجدت في بعض الأشعار كلمات دخيلة على اللغة العربية ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ
تَرائبُها مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ (٩٦)

(فالسجنجل : كلمة رومية معناها المرآة ، استخدمها

امرؤ القيس في شعره نتيجة اختلاطه بالروم) .

أما إقامة الأسواق ؛ فإن الأسواق التي كانت تعقد آنذاك لم تكن أسواقًا تجارية فحسب ، بل كانت منتدًى أدبيًا يعرض فيه شعراء القبائل إنتاجهم الأدبي ، وكانت قريش تسمع كلام القبائل الأخرى ثم تنتقي أحسن اللغات وأسهلها وتودعها لغتها ، وبذلك اجتمع للهجة قريش جمال اللغة والرقة والعذوبة .

ولعل اعتزاز كل قبيلة بلغتها أو لهجتها أحد الأسباب التي ساعدت على تكوين اللهجات ، فكانت كل قبيلة تأنف أن تستخدم لهجة القبائل العربية الأخرى ؛ لأن اللهجة هي الطابع المميز للقبيلة فإذا ما حافظت على لهجتها حافظت على كيانها ومكانتها بالنسبة للقبائل الأخرى .

وقد يكون من الأسباب التي أدت إلى ظهور اللهجة خطأ الأطفال ، فقد كان بعض الآباء لا يجالسون أبناءهم ، ولا يحرصون على تلقين اللغة لصغارهم ، فيشبون وهم يلحنون ، ولا يدرون أن ذلك لحن ، ثم يتوارث ذلك أبناؤهم وأحفادهم ويؤدون اللغة بالخطأ نفسه الذي أداه آباؤهم وأجدادهم، مما يؤدي إلى تكوين لهجة خاصة بتلك القبيلة.

كما أنّ زواج العربي من سكان البلاد المفتوحة أدّى إلى ظهور طبقة من المولدين – وهم أبناء العرب من أمهات أعجميات – فيتحدثون اللغة العربية بلكنة أعجمية ؛ لأن الطفل يتعلم اللغة من أمه ، والأم لا تجيد العربية ، فيتوارث أبناؤهم وأحفادهم تلك اللغة مما ساعد على تكوين اللهجات .

وليس معنى هذا أن اللغة تموت وتضمحلُّ تلقائيًا ، ولكن ذلك يتمُّ إذا صرعتها لغة أخرى لا يتطرق إليها الفناء، وخلودها يتجلى في أحد مظهرين :

فأحيانًا تحتفظ بوحدتها ، وذلك إذا ظلت مقصورة على منطقة ضيّقة وفئة قليلة من الناس .

وأحيانًا تتشعب إلى لهجات ، وذلك إذا انتشرت في مساحات شاسعة من الأرض ، وتكلّم بها طوائف مختلفة من الناس (٩٧) ونعرض فيما يلي نماذج لهذه اللهجات العربية القديمة .

ح – نماذج لاختلاف اللهجات :

من أمثلة اختلاف اللهجات ما يلي :

١ – عنعنة تميم :

وهي قلب الهمزة عينًا ، ومن ذلك قول ذي الرُّمَّة :

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً
مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكِ مَسْجُومُ

والتقدير : أأن (٩٨) .

٢ – الكشكشة :

وهي إبدال كاف المخاطبة شينًا ، ومنه قراءة بعضهم لقوله تعالى (قَدْ جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتَشِ سَرِيّاً) ، وهي في المصحف : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ (٩٩)

ومنه قول الشاعر :

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وَجِيدُشِ جِيدُهَا
وَلَوْ نَشٍ إِلاَّ أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلِ (١٠٠)

٣ – جعجعة قُضاعة :

وهي جعل الياء المشددة جيمًا ، ومنه قول الراجز :

خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجّ
المُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجّ
وَبِالْغَدَاةِ فِلَقَ البَرْنِجّ (١٠١)

٤ – فحفحة هذيل :

وهي قلب الحاء عينًا في (حتى) ، ومنه قراءة ابن مسعود : (عَتَّى حين) (١٠٢)

٥ – طمطمانية حمير :

وهي إبدال (اللام) في (أل) التعريف ميمًا ، ومنه حديث الرسول ﷺ : (لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ) (١٠٣).

كان حديثي فيما مضى عن اللغة واللهجات ، أما الآن فنعرض لموضوع القراءات :

ثانيًا : القراءات

نتحدث أولاً عن

أ – نزول القرآن على سبعة أحرف

نزل القرآن منجمًا على رسول الهدى ﷺ في نيِّفٍ وعشرين سنة ، وقد وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بنزول القرآن على سبعة أحرف مع اختلاف في رواية الحديث ؛ ومن ذلك :

– قوله ﷺ : «أقْرَأني جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انتهى إلى سبعة أحرف» (١٠٤) .

– وسمع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – هشام ابن حكيم (١٠٥) – رضي الله عنه – يقرأ سورة الفرقان في

حياة رسول الله ﷺ يقول : فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبَّرت حتى سلَّم فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ : أرسله ، اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه) [١٠٦] .

– لَقِي رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام ، فقال : يا جبرئيل (إني بعثت إلى أُمَّةٍ أميين فيهم العجوز والشيخ الكبير ، والغلام والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط، قال : يا محمد إن القرآن نزل على سبعة أحرف) [١٠٧] .

– قال ﷺ لأبيّ بن كعب [١٠٨] (يا أبيّ ، إني أُقْرِئْتُ القُرآن ، فقيل لي : على حرف أو حرفين ، فقال الملَكُ الذي معي : على حرفين ، فقيل لي : على حرفين أو ثلاثة ، فقال الملك الذي ملّ : على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ، ثم قال : ليس منها إلا شافٍ كافٍ ، إن قلت : سميعًا عليمًا ، عزيزًا حكيمًا ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب) [١٠٩] .

– كان الرسول ﷺ عند أضاة [١١٠] بني غِفار ، فأتاه جبريل ﷺ فقال : (إن الله عز وجل يأمرك أن تُقْرِئَ أمتك على حرف ، قال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، إن أمتي لا تطيق ذلك . ثم أتاه ثانيةً فذكر نحو هذا حتى بلغ سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا) [١١١] .

فتلك الأحاديث كلها اتَّفَقَتْ على أن الرسول ﷺ جوّز القراءة على سبعة أحرف ، ولكنَّا لم نعرف وجه الخلاف بين القراءات ولا كيفيته .

وفي عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – جمع زيد بن ثابت [١١٢] القرآن في مصحف واحد فكانت عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثم عند عمر – رضي الله عنه – حتى وافاه الأجل ، ثم عند حفصة بنت عمر حتى أخذها منها عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ، وفي عهد عثمان بدأ الجمع الثاني للقرآن الكريم .

ب – جمع المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد في عهد عثمان رضي الله عنه :

كان القرآن قد جُمع في مصحف ، وبَقِي عند حفصة إلى أوائل خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ، حين قدم عليه حذيفة بن اليمان [١١٣] .. وكان في أذربيجان [١١٤] وأرمينية [١١٥] ... فوجد الناس يختلفون في قراءة القرآن اختلافًا شديدًا ، واشتد الخصام بينهم ، وقال كل فريق : قراءتنا أولى من قراءتكم ، فراع ذلك حذيفة ، وقدم على عثمان ، فقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان ، فأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير [١١٦]، وسعيد بن العاص [١١٧] ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال للرهط من قريش : إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ففعل ذلك ، حتى إذا نُسِخ رَدَّ عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل مصر مصحفًا مما نسخوا ، وأمر بحرق ما سواه من المصاحف [١١٨] ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ؛ بل أرسل مع كل مصحف قارئًا يقرئهم القرآن بلهجة هذا المصحف .

ومن هنا نرى أن الجمع الأول يختلف عن الجمع الثاني في أن الأول كان في صحف على قراءات مختلفة بينما هو في الثاني في مصحف واحد وعلى قراءة واحدة هي لهجة قريش ، والغرض من هذا الجمع هو الخوف على كتاب الله من اختلاف المسلمين ، ويبدو ذلك واضحًا من خلال كلام حذيفة بن اليمان .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو إذا كان سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه ، وأرضاه – قد جمع القرآن في مصحف واحد وعلى قراءة واحدة فمن أين جاء تعدد القراءات ؟

جـ – أسباب تعدد القراءات :

كان أئمة القراء من الأمصار يقرأون القرآن بالطريقة التي يستطيعون أن يؤدوها حسب ما تلقَّوْه عن أئمتهم في القراءة المسندة إلى الرسول ﷺ وكانوا يؤدونها بما يتفق وخطَّ المصحف الذي بين أيديهم . هذا إذا عرفنا أن المصحف لم يكن – أنذاك – منقوطًا ولا مشكولاً ، وإنما بدأت المحاولة الأولى في الشكل – أعني شكل المصحف –

على يد أبي الأسود عندما قال لكاتبه : إذا رأيتني أفتح شفتي بالحرف فضع نقطة فوقه ، وإذا رأيتني أضم شفتي بالحرف فضع نقطة بين يدي الحرف ، وإذا رأيتني أكسر شفتي بالحرف فضع نقطة تحته (١١٩) .

أما نقط المصحف فإنه لم يحدث إلا في عهد الحجاج ابن يوسف الثقفي (١٢٠) أثناء ولايته على العراق (من سنة ٧٤ – ٩٥هـ) حين أمر نصر بن عاصم (١٢١) بإعجام حروف المصحف لتمييز الحروف بعضها من بعض (١٢٢) .

أما نقط الكلمات والحروف أعني الإعجام والضبط لغير القرآن ، وكذلك إيجاد الحركات من ضمة وفتحة وكسرة وسكون فلم يظهر إلا في عهد الخليل بن أحمد (١٢٣) الذي تُوفي سنة خمس وسبعين ومئة على الأرجح (١٢٤) إذ يعدُّ أول من ألَّف كتابًا في النقط والشكل (١٢٥) .

ومعنى هذا أن اللفظة الواحدة المكتوبة في المصحف كانت تقرأ على أكثر من وجه : فكلمة (نُنْشِزُها) (١٢٦) قرأها الكوفيون وابن عامر بالزاي ، وقرأها الباقون بالراء (١٢٧) وهذه القراءة تتفق وخط المصحف مع صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ (١٢٨) .

وكذلك قوله تعالى ﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾ تحتمل أن تكون (ما) حجازية عاملة فيما بعدها ، وتحتمل أن تكون (ما) تميمية غير عاملة (١٢٩) ، إذ لاشكل يدل على أن (ما) عاملة أو غير عاملة ، كل ذلك مشروط أيضًا بصحة نسبتها إلى رسول الهدى ﷺ . ومن هنا جاءت الشروط الواجب توافرها في القراءة لتكون القراءة صحيحة مقبولة ، وهي : أن يكون لها وجه في العربية ، وأن تكون موافقة لخط المصحف ، وأن تصح نسبتها إلى الرسول ﷺ (١٣٠) .

ولعل تعدد القراءات القرآنية بعد جمع المسلمين على مصحف واحد هو الذي حدا بالمستشرق المجري (جولد تسهير) أن يذهب إلى أن الاختلاف في القراءات القرآنية كان عن هوًى من القراء لا عن توقيف ورواية فقال : (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي ، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعًا للنقط فوق الحروف أو تحتها . وعدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي جعل للكلمة الواحدة حالات مختلفة كانت السبب الأول في ظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن) (١٣١) .

وتكفل بالرد عليه أحد الباحثين وخطأه بأدلة مقنعة وهي : أن القرآن محفوظًا في الصدور قبل جمعه ، وحين دُوِّن لم يكن النقط والشكل معروفًا وقتذاك . بل كانت قراءاتهم حسب ما تلقَّوه عن الرسول ﷺ لا حسب ما يقرأون في المصاحف (١٣٢) .

ومن المعروف أن العرب أمة يغلب عليها الأمية ، فكان اعتمادها على حفظ أشعارهم لتخليد مآثرهم بالرواية ، ولهذا فإن القرآن كان أولى أن يُعْنى بحفظه وقراءته ، وقد كان الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة العامري يقرض الشعر في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام عزف عن قول الشعر ، وأخذ يحفظ القرآن الكريم ، وقد ساعدهم على ذلك حافظة قوية هيأتها لهم ظروف معيشتهم في تلك الصحراء القاحلة .

ولو سلمنا جدلاً أنهم كانوا يعتمدون على القراءة في المصاحف لكانت قراءاتهم لقوله تعالى ﴿ الم ذلك الكِتَابُ لارَيْبَ فِيهِ ﴾ (١٣٣) بالقراءة نفسها التي قرئت بها الآية الكريمة (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك) (١٣٤) لأن كتابة (الم) الأولى هي كتابة (أَلَمْ) الثانية نفسها ، ولكن القراء للذكر الحكيم كانوا يقرأون الأولى على أنها حروف متقطعة كما لو كتبت هكذا : ألف ، لام ، ميم أما الثانية فقراءتها ككتابتها .

وشيء آخر أود أن أضيفه هو أن كتابة المصحف العثماني كتابة وقراءة ؛ فكلمة مثل (الصلاة) كانت تكتب (الصلوة) .

وإذا كنا قد تحدثنا عن أسباب تعدد القراءات فمعنى هذا أن هناك أنواعًا للقراءة تختلف باختلاف القراءة ومؤديها .

د – أنواع القراءة :

تنقسم القراءة إلى قسمين :

الأول : باعتبار القراء .

الثاني : باعتبار القراءة نفسها .

أولاً : القراءة باعتبار القراء :

قسم ابن مجاهد المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاث مئة للهجرة القراءة باعتبار القراء إلى أربعة مراتب :

١ – المرتبة الأولى :

المُعْرِب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعاني الكلمات .

٢ – المرتبة الثانية :

المُعْرِب الذي لا يلحن ولا علم له بغير ذلك كالأعرابي الذي يُعرِب ولا يعلم لذلك علةً .

٣ – المرتبة الثالثة :

المؤدي ماسمعه ممن أخذ عنه ، وليس عنده إلا الأداء ، ولا يعرف الإعراب فما يلبث أن ينسى إذا طال عهده بالقراءة لاعتماده على الحفظ والسماع فتختلط عليه القراءات وتتشتبه ، فيقرأ بلحن وينسبه لغيره ويبرئ نفسه ، أو يكون على من نَسِيَ وضيَّع الإعراب ، ودخلته فلا يحتج بنقله وقراءته .

٤ – المرتبة الرابعة :

المعرب للقراءة البصير بالمعاني واللغات ، ولكنه لا يعرف القراءات ، واختلاف الناس والآثار فيقرأ بحرف جائز في العربية ، ولا وجه له في القراءة [١٣٠] .

ثانيًا : القراءة باعتبار القراءة نفسها :

قسم ابن مجاهد أيضًا القراءة باعتبار القراءة نفسها إلى أقسام ، فذكر أن (منها المعرب السائر الواضح ، ومنها المعرب الواضح غير السائر ، ومنها اللغة الشاذة القليلة ، ومنها الضعيف المعنى في الإعراب غير أنه قد قُرِئَ به ، ومنها ما تُوُهِّم فيه فغلط به – فهو لحن غير جائز – عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير ومنه اللحن الخفيُّ الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير) [١٣١] .

ووضح مكي بن أبي طالب المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربع مئة للهجرة (أن جميع ماروي من القراءات على ثلاثة أقسام :

قسم يقرأ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال : وهي أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعًا ، ويكون موافقًا لخط المصحف ، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه .

والقسم الثاني : ما صح نقله في الآحاد ، وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين : إحداهما : أنه لم يؤخذ بإجماع وإنما أخذ باعتبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد ، والعلة الثانية أنه مخالف لما قد أجمع عليه ، فلا يقطع على مغيبه وصحته ، وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به ، ولا يكفر من جحده ، وبئس ما صنعه إذ جحده .

والقسم الثالث : هو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ، ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف) [١٣٧] .

ثم جاء محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة للهجرة فعرَّف القراءة الصحيحة والشاذة بقوله : (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ؛ بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت من الأئمة السبعة أم عن العشرة ، أم عن غيرهم . من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم . هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف) [١٣٨] .

نستنتج مما سبق أن ابن مجاهد قسم القراءة باعتبارين اثنين :

أ – باعتبار القرّاء . ب – باعتبار القراءة نفسها .

أما مكي بن أبي طالب وابن الجزري فقد قسَّما القراءة باعتبار القراءة فقط وهي عندهما قسمان .

أ – صحيحة . ب – شاذة .

فالصحيحة ما توافر فيها ثلاثة شروط هي: أن تكون موافقة لخط المصحف ، وأن يكون لها وجه في العربية وأن ينقلها الثقة إلى أن يصل السند إلى رسول الله ﷺ .

والشاذة هي التي اختل فيها شرط من شروط القراءة الصحيحة .

كان حديثي فيما سبق عن أنواع القراءة فما العلاقة بين القراءات واللهجات :

هـ – العلاقة بين القراءات واللهجات :

اختلف في تفسير حديث الرسول ﷺ : «أُنْزِلَ القُرآنُ عَلَى سَبْعَةِ أحْرُفٍ» [١٣٩] على نحو خمسة وثلاثين قولاً وسأسوق بعضًا منها :

– أنه من المشكل الذي لا يُدرى معناه ؛ لأن الحرف لغة يصدق على الهجاء ، وعلى الكلمة ، وعلى المعنى والجهة [١٤٠] كما يطلق الحرف على الدال على معنى في غيره ويربط أجزاء الكلام ، ويتركب من حرف أو أكثر من حروف المعاني . وهو أحد أقسام الكلمة وهي اسم وفعل

وحرف ، والحرف من الدواب الضَّامرة الصُّلبة ، والحرف أيضًا اللغة واللهجة (١٤١) .

- ليس المراد به حقيقة العدد ، بل المراد به التسهيل والتيسير والسعة ، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد ، كما يطلق السبعون في العشرات ، والسبع منة في المئين ولا يراد العدد المعين (١٤٢) .

- أن المراد بها سبع قراءات ، واعتُرِض عليه بأنه لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعةِ أوجه إلا القليل مثل (عبدالطاغوت) (١٤٣) ، (فلا تقل لهما أف) (١٤٤) ، وأجيب بأن المراد أنَّ كلَّ كلمة تقرأ بوجهٍ أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة ، وحينئذٍ يشكل ما قرئ على أكثر من سبعة أوجه (١٤٥) . إلا إذا فسرناه بماعهد عند العرب من إطلاق العدد ، وليس المراد منه التحديد ، وإنما الإشارة إلى الفكرة وحينئذٍ يزول الإشكال .

- الأوجه التي يقع بها التغاير فأولها : ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل : (وَلَايُضَارَّ كَاتِبٌ) (١٤٦) بالفتح والرفع .

- وثانيها : ما يتغير بالفعل مثل : (بَاعَدَ) و (بَاعِدْ) (١٤٧) بلفظ الماضي والطلب .

- وثالثها : ما يتغير بالنقط مثل : (نُنْشِزُهَا) و (نَنْشُرُهَا) (١٤٨) .

- ورابعها : ما يتغير بإبدال حرفٌ قريب المخرج مثل : (طَلْحٍ مَنْضُودٍ) (طلعٍ) (١٤٩) .

- وخامسها : ما يتغير بالتقدم والتأخير مثل : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بِالحقِّ) و (سَكْرَة الحقِّ بِالموتِ) (١٥٠) .

- وسادسها : ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) و (الذكر والأنثى) (١٥١) .

- وسابعها : ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل : (كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) (١٥٢) (كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ) (١٥٣) .

- المعنى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف :

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتذكير وتأنيث .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر .

الثالث : وجوه الإعراب .

الرابع : النقص والزيادة .

الخامس : التقديم والتأخير .

السادس : الإبدال .

السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والإدغام والإظهار ونحو ذلك .

وقال بعضهم : كيفية النطق بالتلاوة من إدغام وإظهار ، وتفخيم وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومد وقصر ، وتشديد وتخفيف ، وتليين وتحقيق (١٥٤) وغير ذلك من أقوال كثيرة أكثر من أن تحصى .

غير أن ابن قتيبة المتوفى سنة ست وسبعين ومئتين للهجرة فسَّر القراءات باللهجات ، وذهب إلى أن السبب في قول الرسول ﷺ «أُنْزِلَ القُرآنُ على سبعةِ أحرُفٍ» هو التيسير على العباد ، فقال : (فكان من تيسيره أن أمره بأن يُقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم) .. إلى أن يقول : (ولو أنَّ كلَّ فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعَظُمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ، ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسول الله ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم ، وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجهم وطلاقهم وعتقهم ، وسائر أمور دينهم) (١٥٥) .

وقد ذهب مكي بن أبي طالب المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربع مئة للهجرة إلى ما ذهب إليه ابن قتيبة من أنه دفع للحرج على المسلمين في دينهم وإبعاد للتضييق عليهم ، فكل يقرأ بما جُبِل عليه من لغته دون حرج ؛ من همز وتخفيف وفتح وإمالة ... إلى غير ذلك من لهجات العرب الشائعة في صدر الإسلام (١٥٦) .

أما ابن الجزري المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة للهجرة فقد ذهب إلى ما ذهب إليه ابن قتيبة ومكي بن أبي طالب ؛ بل نقل كلام ابن قتيبة نفسه (١٥٧) .

ولعلي أذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء الثلاثة من أن المقصود من الأحرف السبعة هو اللهجات ، ولكن ذلك مشروط بالشروط الثلاثة التي ذكرها ابن الجزري في مقدمة كتابه ، وهي :

أن يكون لها وجه في العربية ، وأن ينقلها الثقة ، وأن تصح نسبتها إلى الرسول ﷺ .

أما إذا اختل شرط من تلك الشروط فلا تصح القراءة باللهجة كما نرى في الوقت الحاضر ؛ إذ يقرأ كل إقليم بلهجته فيقرأ السعودي القرآن بلهجته والمصري

كذلك، واليمني كذلك ، والمغربي أيضًا ، لأن تلك القراءة وإن كان لها وجه في العربية إلا أنها لم ينقلها ثقة ، والأعظم من ذلك كله أنَّه لم يصح سندها إلى الرسول ﷺ وإنما تجوز القراءة بأية لهجة من لهجات العرب القديمة التي أقرّ الرسول ﷺ أصحابه على القراءة بها ، ولذلك يقول علماء السلف (القراءة سنة متبعة) وفي هذا تيسير للعباد وهذا التيسير الذي سخره الله سبحانه وتعالى لعباده مصداق لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ، الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (١٠٨) .

ولعل من حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف أيضًا أنه يثبت (إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب ، فتعدّد مناحي التأليف الصوتي للقرآن تعددًا يكافئ الفروع اللسانية التي عليها فطرة اللغة في العرب حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطري ولهجة قومه مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به الرسول العرب مع اليأس من معارضته لا يكون إعجازًا للسان دون آخر ، وإنما يكون إعجازًا للفطرة اللغوية نفسها عند العرب ...

فإن تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات يتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائمًا لكل عصر ؛ ولهذا احتج الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد بقراءات الأحرف السبعة) (١٠٩) .

الخاتمة

خلص الدرس الذي عرضنا له إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نبدأ .

أولاً بالنتائج :

- رادفت اللهجة اللسان واللغة في كتب المعاجم القديمة .
- تعددت معاني كلمة (لغة) ، ومعظمها كانت إلى حد ما متقاربة المعاني .
- وكما رادفت اللهجة اللغة ، كذلك رادفت اللغة اللهجة في معاجم السابقين .
- لم يكن هذا الترادف مقصورًا على المعاجم اللغوية ؛ بل وجد هذا الترادف أيضًا في مصادر الدراسات اللغوية والأدبية القديمة .
- وقد رادفت اللغة اللسان ، وَوُجِد ذلك في القرآن الكريم ، إذ وردت اللغة بمعنى اللسان تسع مرات في القرآن الكريم .
- لم يقتصر الأمر على اللغة فقط ؛ بل رادفت اللهجة اللسان أيضًا ، ووجد ذلك في كتب الأقدمين .
- تحدد مدلول اللهجة عند القدماء بأنها (اللغة التي جُبل عليها الإنسان) .
- حين حدّد علماء اللغة المحدثون اللهجة كان تعريفهم أكثر دقةً من تحديد السابقين فوضعوا لها تعريفًا دقيقًا .
- لعل تعريف إبراهيم أنيس للهجة هو التعريف المناسب لها ، إذ عرّفها بقوله : (إنها مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة) .
- بدأ تعريف اللغة بمعناه الاصطلاحي في الظهور عند ابن جني المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة للهجرة ثم عند ابن سيده المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة للهجرة حين عرّفاها بقولهما : (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) .
- لم يكتف المحدثون من عرب ومستشرقين بتعريف السابقين للغة ، وإنما أضافوا تعريفات أخرى .
- التعريف الذي أرتضيه للغة قريب من تعريف (تشومسكي) لها ، وهو (أن اللغة عبارة عن كفاءة وأداء تخضعان للقواعد النحوية واللغوية بالإضافة إلى دلالة معنوية واضحة في ذهن المتكلم والسامع معًا) .
- العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، بحيث تكون اللغة عمومًا تندرج اللهجة تحتها . فاللغة تخبرنا من أية دولة أو قطر جاء الشخص ، واللهجة تخبرنا من أية بيئة أو إقليم في تلك الدولة جاء ، أما اللغة النموذجية فتنبئنا عن طبيعة العمل الذي يمارسه الشخص .
- تعددت وتباينت العوامل المساعدة على تكوين اللهجات .
- اختلاف الروايات في حديث الرسول ﷺ «أُنْزِلَ القُرْآن عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» ، ولكن الصعوبة في تفسير ذلك الحديث في أنهم لم يوردوا وجه الخلاف في القراءة ، ولا كيفية القراءة التي قرأ بها الصحابة آنذاك ، ولذلك اختلف الأوائل في تفسير الحديث على خمسة وثلاثين قولاً .
- ما أميل إليه وأرجحه أن المراد بسبعة الأحرف : اللهجات التي يستطيع الإنسان أن يؤدي القراءة بها

بشرط صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ ، وذلك قصد التسهيل على أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مصداقًا لقوله تعالى ﴿ ولقد يسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ .

- مرَّ جمع القرآن بمرحلتين : الأولى في عهد سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حيث جمع في مصحف واحد وعلى قراءات متباينة . والثانية في عهد سيدنا عثمان - رضي الله عنه - على قراءة واحدة في المصحف العثماني .
- إذا كان القرآن قد جمع في عهد سيدنا عثمان - رضي الله عنه - في مصحف واحد وعلى قراءة واحدة ، فإن السبب في تعدد القراءات بعد ذلك يعود إلى عدم وجود النقط والشكل في المصحف ، ولم يعرفا إلا متأخرًا عند تدوين المصحف ، فكلٌّ يقرأ بما يتفق وخطَّ المصحف بحيث يقره الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم .
- كان التعدد في القراءة سببًا في طعن المستشرقين على القراءات القرآنية ، إذ افتروا بأنها - أعني القراءات القرآنية - عن هوًى من القراء لا عن توقيف ورواية .
- رد عبدالوهاب حمودة على ذلك الافتراء الباطل بأن القراءات القرآنية كانت معروفة قبل تدوين المصحف كما أن القرآن محفوظ في الصدور قبل جمعه .
- إن اعتماد العرب على قراءة القرآن من المصاحف يتعارض مع طبيعتهم ؛ لأنهم أمة يغلب عليها الأمية ، ولو كان الأمر كذلك لتشابهت قراءاتهم لقوله تعالى : ﴿ الم ذلك الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيْهِ ﴾ بقوله تعالى : ﴿ ألم نَشْرَحْ لك صَدْرَكَ ﴾ .

ثانيًا التوصيات :

وبعد فالذي تقترحه الدراسة ما يلي :

- تأكيد العلاقة بين القراءات القرآنية وبين اللهجات العربية.
- أن لهجاتنا المحلية لم تنشأ من فراغ ، وإنما نشأت في ظل اللهجات العربية القديمة ، وما علينا سوى ربط هذه اللهجات بتلك ، فالكشكشة موجودة في لهجة دول الخليج العربي واليمن ، وتلتلة بهراء موجودة في لهجة المصريين ، وطمطمانية حمير موجودة في لهجة زبيد .
- محاولة التخفيف من تعسف النحاة تجاه القراءات القرآنية ، ولو أنهم وضعوا قواعدهم مهتدين بالقرآن الكريم وقراءاته المتعددة والمتواترة لأتاهم علم جم وقواعد أضبط ، وتكاد تكون المدرسة الكوفية وعلى رأسها الكسائي أضبط وأحسن في اعتمادها على القراءات والسماع .

بينما أخضع رواد المدرسة البصرية القرآن الكريم وقراءاته لقواعدهم فما وافقها احتجوا به وما خالفها ردوه أو أوّلوه أو ضعفوه أو رموه بالشذوذ ؛ بل وصل بهم الأمر إلى تخطئة بعض القراء السبعة، مع أنهم يقررون جواز الاعتداد بالقراءات الشاذة ، وهذا ابن جني يؤلف كتابًا للاحتجاج بالقراءات الشاذة سماه (المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات) لم يسلم من ذلك فنراه يرذِّل بعض القراءات حينًا ، ويضعفها حينًا آخر ، وما ذلك إلا لأنه بصري . ومن هنا بقيت المسألة عند البصريين مجرد نظرية دون تطبيق فإذا ما حاولوا أن يطبقوا ذلك على الشعر وجدنا موقفهم متباينًا فنراهم يحتجون به ويلتمسون له وجهًا ويقعِّدون له قاعدة وإن كان مجهول القائل .

- قراءة النص القرآني والنصوص الأدبية قراءة نحوية ولغوية مستفيضة لاستنباط القواعد والأحكام اللغوية ، لا أن تكون تلك النصوص تطبيقًا للقواعد - كما فعل نحاة البصرة - وبهذا نستبعد من تراثنا الشواهد الشعرية المصنوعة ، والأمثلة التعليمية مع الاحتراز في النص الأدبي أن تكون الضرورة الشعرية هي الملجئة إلى الخروج عن القاعدة .
- الحرص على الربط بين القراءات القرآنية والنصوص الأدبية وبين القاعدة النحوية بحيث تنطلق الدراسة منها فهما المعين الذي لا ينضب ماؤه ، ولنا في كتب القراءات والأمالي والمحاضرات الأنموذج العملي للتطبيق .
- الاهتمام الجاد بالدرس اللغوي والنحوي المقارن ففي ذلك من غير شك تعميق للمعرفة ، وسعة في أفق النظرة العلمية ، وتوضيح لبعض الظواهر التي لا نتبينها في حدود الدرس المحصور في لغة واحدة، ولتكن البداية بالدرس اللغوي والنحوي المقارن في اللغات السامية ، ثم لتمتد آمال الدرس اللغوي والنحوي المقارن فتكون بين العربية وغيرها من اللغات ، وهذا يتطلب - طبعًا - من دارس اللغة العربية إتقان بعض اللغات السامية واللغات الأجنبية الأخرى .

وكم كنت أتمنى أن يكون في بعض جامعاتنا مجال لدراسة تلك اللغات فنفيد ونستفيد .

– إن مفهوم الأحرف السبعة الذي ورد في الحديث الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف» يختلف عن مفهوم القراءات السبع ، فهو اتفاق في العدد دون المعدود وهذا محض صدفة فقط ، فالمراد من الأحرف اللهجات ، والمراد من القراءات ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بالقراءات السبع المتواترة لقراء سبعة ارتضاهم لنفسه .

– الحذر كل الحذر عند الأخذ بكلام المستشرقين على علاته فيما يتعلق بالقرآن وقراءاته والأمور العقدية ، فهم ينفثون سمومهم في ثنايا مؤلفاتهم ، ويرمون من وراء ذلك إلى تفتيت عقيدة المسلم وتشكيكه . نسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة .

الهوامش

١ – إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (دار العلم للملايين) ١٠/ ٣٣٩ – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع) ١/ ٦ ٢٠ .

٢ – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب (دار صادر بيروت لبنان ١٩٥٥م / ١٣٧٤هـ) ٢ / ٣٥٩ – محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان) ٢/ ٩٥ وهذا الحديث موجود في سنن ابن ماجة إلا أنه ورد برواية مختلفة هي : (مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ ولا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً من أبي ذَرّ) في المقدمة ١/ ٥٥ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – كما ورد الحديث بروايتين مختلفتين غير الموجودة في النص وتختلف أيضًا عما هو موجود في سنن ابن ماجة ، وهاتان الروايتان في سنن الترمذي في باب المناقب ، الأولى (مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ ولا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أبي ذَرّ) ، والثانية : (مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ ولا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ ولا أَوْفَى مِنْ أبي ذَرّ) راجعه وضبط أصوله وصححه عبدالرحمن محمد عثمان ٥ / ٣٣٤ .

٣ – علي بن إسماعيل بن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة مصر ط ١ – ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ٤/ ٢٢٠ – ابن منظور، لسان العرب ٢/ ٣٥٩ – الزبيدي ، تاج العروس ٢/ ٩٥ .

٤ – ابن منظور ، لسان العرب ٢ / ٣٥٩ – الزبيدي ، تاج العروس ٢ / ٩٥ .

٥ – ابن منظور ، لسان العرب ٢ / ٣٥٩ – الزبيدي، تاج العروس ٢ / ٩٥ .

٦ – أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ، جمهرة اللغة (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة – مصر) ٣ / ٥١ – ٥٩ ، ٥/ ٢٥٦ ٢ / ٢٦٤ .

٧ – الزبيدي ، تاج العروس ١٠ / ٣٢٨ .

٨ – لعل الصواب (فعة) لأن لامها محذوفة ووزنها على الأصل خلاف القواعد المعروفة والكلام من ابن سيده، المحكم ٦ / ٤٠ .

٩ – الزبيدي ، تاج العروس ١٠ / ٣٢٩ .

١٠– محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح ، رتبه محمود خاطر (دار التراث للطباعة والنشر القاهرة – مصر) ص ٦٠٠ .

١١– الجوهري ، الصحاح ٦ / ٢٤٨٣ – ابن منظور ، لسان العرب ١٥/ ٢٥١ .

١٢– ابن منظور ، لسان العرب ١٥/ ٢٥٢ والآية من سورة الفرقان آية ٧٢ .

١٣– الجوهري ، الصحاح ٦ / ٢٤٨٣ – الفيروزي أبادي، القاموس المحيط ٤ / ٣٨٦ – الزبيدي ، تاج العروس ١٠ / ٣٢٨ .

١٤– الجوهري ، الصحاح ٦/ ٢٤٨٣ – الفيروزي أبادي، القاموس المحيط ٤/ ٣٨٦ – الزبيدي ، تاج العروس ١٠/ ٣٢٨ .

١٥– الجوهري ، الصحاح ٦/ ٢٤٨٣ .

١٦– الجوهري ، الصحاح ٦/ ٢٤٨٣ .

١٧– الجوهري ، الصحاح ٦/ ٢٤٨٣ – الفيروزي أبادي، القاموس المحيط ٤/ ٣٨٦ – الزبيدي ، تاج العروس ١٠/ ٣٢٨ ، والآية من سورة الغاشية آية ١١ .

١٨– ابن سيده ، المحكم ٦ / ٤٠ ، ابن منظور ، لسان العرب ١٥/ ٢٥٢ .

١٩– الجوهري ، الصحاح ٦/ ٢٤٨٣ – أحمد ابن زكريا بن فارس، معجم مقاييس اللغة (دار إحياء الكتب ط١، ١٣٦٩هـ) ٥/ ٤٥٦ – ابن سيده، المحكم ٦/ ٤٠– ابن منظور ، لسان العرب ١٥/ ٢٥٢ – الفيروز أبادي، القاموس المحيط ٤/ ٣٨٦– الزبيدي ، تاج العروس ١٠/ ٣٢٨ ، والآية من سورة البقرة آية ٢٢٥ ، وفي سورة المائدة آية ٨٩ – أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري والحديث في متن صحيح البخاري بحاشية السندي (شركة مكتبة أحمد ابن سعد بن نبهان وأولاده سرياباً أندونيسيا كتاب الأيمان ٤ / ١٥٣ ونصه فيه هكذا (لايُؤَاخِذُكُمْ اللهُ بِاللَغْوِ) قال : قالت : أنزلت في قوله : لا والله ، وبلى والله ، كما ورد الحديث في سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (دار إحياء السنة النبوية) . كتاب الأيمان والنذور ٣ / ٥٧١ .

٢٠ – الجوهري ، الصحاح ٦ / ٢٤٨٣ – ابن فارس ، مقاييس اللغة ص ٢٥٥ –

ابن منظور ، لسان العرب ٢٥١/١٥ – الزبيدي ، تاج العروس ٣٢٨/١٠ .

٢١ – ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ – ابن منظور ، لسان العرب ٢٥١/٥ – الزبيدي ، تاج العروس ٣٢٨/١٠ .

٢٢ – الجوهري ، الصحاح ٦ / ٢٤٨٣ ، هذا المعنى رده الزبيدي فقال : (وما قيل : إن اللغو لنباح الكلب باطل) انظر التاج ٣٢٨/١٠ .

٢٣ – ابن سيده ، المحكم ٦ / ٤٠ – ابن منظور ، لسان العرب ٢٥١/١٥ .

٢٤ – ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ .

٢٥ – جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة (مطبعة دار الكتب ط٢ ، ١٩٧٣م) ٣٦/٢ .

٢٦ – الزبيدي ، تاج العروس ٣٢٨/١٠ .

٢٧ – ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ .

٢٨ – الزمخشري ، أساس البلاغة ٣٦/٢ .

٢٩ – الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ٣٨٦/٤ .

٣٠ – الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ٣٨٦/٤ – الزبيدي، تاج العروس ٣٢٨/١٠ .

٣١ – ابن منظور ، لسان العرب ٢٥٢/١٥ – الزبيدي ، تاج العروس ٣٢٨/١٠ الحديث في صحيح البخاري انظر عمدة القاري في شرح صحيح البخاري كتاب الجمعة ٢٣٩/٦. إلا أنه ورد هكذا : (إذا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أنصِتْ ، والإمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ) .

٣٢ – الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ٣٨٦/٤ – الزبيدي، تاج العروس ٣٢٨/١٠ .

٣٣ – الزبيدي ، تاج العروس ٣٢٨/١٠ .

٣٤ – الزمخشري ، أساس البلاغة ٣٦/٢ – ابن منظور ، اللسان ٢٥٢/١٥ .

٣٥- ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ – الزبيدي، تاج العروس ٣٢٨/١٠.

٣٦- ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ .

٣٧- ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ – الزمخشري ، أساس البلاغة ٣٦/٢ .

٣٨- أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق محمدعلي النجار (دار الكاتب العربي ببيروت لبنان) ٣٣/١ – ابن سيده، المحكم ٤٠/٦ – ابن منظور ، لسان العرب ٢٥٢/١٥ .

٣٩- أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٤٥٦/٥ .

٤٠- ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ .

٤١- ابن منظور ، لسان العرب ٣٥٩/٢ – الزبيدي ، تاج العروس ٩٥/٢ .

٤٢- ابن جني ، الخصائص ٢٠/٢ .

٤٣- أبو الفتح عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة مصر ط ١ ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) ٣١٨/١ .

٤٤- أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمي (مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٦٤م / ١٣٨٣هـ) ص ٥٢ .

٤٥- أبوبكر جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي وشركاه) ٣١٠/١ .

٤٦- أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٤) ١٧/١ .

٤٧- سورة الشعراء آية ١٩٥ .

٤٨- سورة إبراهيم آية ٤ .

٤٩- ابن فارس ، الصاحبي ص ٥٣ .

٥٠- أبوبكر جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق د. أحمد محمد قاسم (ط ١ ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م القاهرة مصر) ص ٥٦ .

٥١- السيوطي ، المزهر ٢١٢/١ .

٥٢- ابن منظور ، لسان العرب ٣٥٩/٢ – الزبيدي ، تاج العروس ٩٥/٢ .

٥٣- الدكتور حسن عون ، اللغة والنحو (مطبعة رويال بالإسكندرية مصر ط١ ، ١٩٥٢م) ص ٤٢ .

٥٤- الأستاذ أحمد تيمور باشا ، لهجات العرب (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) ص ٧ .

٥٥- عبدالوهاب حمودة ، القراءات واللهجات (مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م القاهرة مصر ط١) ص ٤ .

٥٦- الدكتور إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية (ط٤ مكتبة الأنجلو المصرية) ص ١٦ .

٥٧- الدكتور هاشم الطعان ، الأدب الجاهلي بين أدب القبائل واللغة الموحدة (منشورات وزارة الثقافة والفنون بالجمهورية العراقية) ص ٨ .

٥٨- المرجع السابق ص ١٤٢ .

٥٩- ج . فندريس ، اللغة . تعريب الدكتور عبدالحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص (المكتبة الفيصلية بدون تاريخ) ص٣٠٩ – ٣١٠ .

٦٠- ابن منظور ، لسان العرب ٣٥٩/٢ – الزبيدي ، تاج العروس ٩٥/٢ .

٦١- ابن جني ، الخصائص ٣٣/١ – ابن سيده ، المحكم ٤٠/٦ .

٦٢- الأستاذ عبدالوهاب حمودة، القراءات واللهجات ص٥ .

٦٣- الدكتور عبدالرحمن أيوب ، العربية ولهجاتها (معهد البحوث والدراسات اللغوية ١٩٦٨م) ص ٢٣ .

٦٤- الدكتور تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها (الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٢ ، ١٩٧٩م) ص٣٢.

٦٥- المرجع السابق ص ٣٤ .

٦٦- الدكتور أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي (عالم الكتب القاهرة مصر ط٢ ، ١٩٨١م) ص ٣٤٧ .

٦٧- ابن جني ، الخصائص ٣٣/١ .

٦٨- الدكتور خليل أحمد عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها (عالم المعرفة للنشر والتوزيع – جدة السعودية ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ٢٥ .

٦٩- فندريس ، اللغة ترجمة الدكتور عبدالرحمن الدواخلي والدكتور محمد القصاص ص ٢٩٧ .

٧٠- المرجع السابق ص ٣٠٦ .

٧١- المرجع السابق ص ٢٩٧ .

٧٢- الدكتور عبدالصبور شاهين ، في علم

اللغة العام (مؤسسة الرسالة ببيروت لبنان ط٤ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٣٤ .

٧٣- الدكتور صلاح الدين حسنين ، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن (دار العلوم للطباعة والنشر الرياض السعودية ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص ٣٥ .

٧٤- الدكتور عبدالصبور شاهين ، في علم اللغة العام ص٣٤ .

٧٥- دافيد كريستل ، التعريف بعلم اللغة ترجمه إلى العربية الدكتور حلمي خليل (الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية ، مصر ط١ ، ١٩٧٩م) ص ٨٩.

٧٦- المرجع السابق ص ٩٥ .

٧٧- الدكتور هاشم الطعان ، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ص ١٤٢ .

٧٨- المرجع السابق ص ١٤٣ . ولعل الصواب في الرئيسي الرئيس.

٧٩- الدكتور خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ص٥٧ – ٥٨ .

٨٠- الدكتور علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة (دار نهضة مصر للطبع والنشر ط ٧ القاهرة) ص١٧٢ – ١٧٣ .

٨١- الدكتور إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ص١٦.

٨٢- الأستاذ عبدالوهاب حمودة، القراءات واللهجات ص٥.

٨٣- الدكتور هاشم الطعان ، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل الموحدة ، ص ١٤٢.

٨٤- فندريس ، اللغة ص ٣١٤ .

٨٥- المرجع السابق ص ٣١٤ .

٨٦- المرجع السابق ص ٣١٦ .

٨٧- الدكتور علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة ص ١٧٥.

٨٨- الدكتور إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ص٢١.

٨٩- الدكتور علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة ص١٧٥-١٧٦ .

٩٠- الدكتور عبدالرحمن أيوب ، العربية ولهجاتها ص٤١.

٩١- الدكتور علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة ص ١٧٥ .

٩٢- المرجع السابق ص ١٧٥ .

٩٣- المرجع السابق ص ١٧٥ .

٩٤- المرجع السابق ص ١٧٥ .

٩٥- المرجع السابق ص ١٧٦ .

٩٦- البيت في ديوان امرئ القيس (دار صادر بيروت) ص ٤٢ – أبوعبدالله الحسين بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع (دار الجيل بيروت لبنان ط ٣ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٢٧ .

٩٧- الدكتور علي عبدالواحد ، علم اللغة ص١٧٧ – ١٧٨.

٩٨- أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مجالس ثعلب ، تحقيق عبدالسلام هارون (دار المعارف بمصر) ٨١/١ – أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (ط٣ شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ص ١٢٩ – أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ص ٥٢ – والبيت موجود في ابن جني ، الخصائص ١١/٣ – ابن يعيش ، شرح المفصل ٦٦/١٠ ، – البغدادي ، خزانة الأدب ٢٤٥/٤ وفي مواضع مختلفة منه وهو موجود أيضًا في ديوانه – جمعه أبو نصر بن حاتم الباهلي رواية الإمام أبي العباس ثعلب ، تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح (مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة بيروت لبنان ط١ ١٩٨٢ / ١٤٠٢هـ) ٣٧١/١ .

٩٩- سورة مريم آية ٢٤ ، وقد بحثت عن هذه القراءة في معظم كتب القراءات والتفاسير فلم أجدها .

١٠٠- الثعالبي ، فقه اللغة ص ١٢٩ – ابن فارس ، الصاحبي ، والشاهد فيه قوله : وجيدش ولونش والأصل : فعيناك وجيدك ولونك والبيت للمجنون كما في الخزانة ٤٦٤/١١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ وترجمته في ٢٢٩/٤ وهو قيس ابن الملوح أحد بني جعدة وقد اختلفت روايته فيه فورد هكذا :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها
سوى أن عظم الساق منش دقيق

وروايته بتلك الطريقة جاءت في الخصائص ٤٦٠/٢ ، الممتع ٤١١/١ شرح المفصل ٧٩/٨ وروايته سوى عَنْ بدلاً من سوى أَنّ ٤٨/٩ ، ٨/١٠ .

١٠١- أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ص ٥٣ ، وقد بحثت عن قائله فلم أعثر عليه وهو موجود في كتاب سيبويه بولاق ٢٨٨/٢ ، ١٨٢/٤ – ابن جني ، المحتسب ٧٥/١ – ابن يعيش ، شرح المفصل ٧٤/٩، ٥٠/١٠ والشاهد فيه قوله (علجّ ، العشجّ ، البرنجّ ، والأصل : علي، والعشي ، والبرنيّ) .

١٠٢- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة – مصر) ص ٣ – السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ٢٢٢/١ – وهذا الجزء من الآية ورد في مواضع مختلفة من القرآن في سورة يوسف آية ٣٥ ، وفي (المؤمنون) آية ٢٥ ، ٥٤ والصافات آية ١٧٤ ، والذاريات آية ٤٣ ، وهذه القراءات موجودة في أبي حيان ، البحر المحيط ٣٠٧/٥ [والشاهد في الآية قوله تعالى (عتى) والأصل (حتى)] .

١٠٣- الثعالبي ، فقه اللغة ص ١٢٩ – السيوطي ، المزهر ٢٢٥/١ ، والحديث في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ولكنه ورد في الكتب كلها بلفظ (لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ) في كتاب الصوم ٤٨/١١، الحاكم النيسابوري المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي كتاب الصوم ٤٣٣/١ – صحيح مسلم كتاب الصوم ٢٣٣/٧ كما ورد فيه أيضًا الحديث بلفظ آخر ومؤداه (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ) – سنن أبي داود كتاب الصيام ٣١٧/٢ – سنن ابن ماجه كتاب الصوم ٥٣٢/١ – سنن النسائي بشرح السيوطي كتاب الصوم ١٧٦/٣ – سنن الترمذي

كتاب الصوم ٢/١٠٧ (والشاهد فيه قوله (امبر) ، (امصيام) ، (امسفر) والأصل (البر) ، (الصيام) ، (السفر) .

١٠٤– أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، متن صحيح البخاري بحاشية السندي (دار الفكر) ، كتاب فضائل القرآن (الإصابة ٣/٦٠٣) .

١٠٦– الإمام أبو محمد عيسى بن سورة الترمذي ، الجامع الصحيح كتاب فضائل القرآن ٤/٢٦٣ – ٢٦٤ – سنن أبي داود كتاب الصلاة ٢/٧٥ – ٧٦ – متن صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ٣/٢٢٦–٢٢٧ .

١٠٧– سنن الترمذي ٤/٢٦٣ .

١٠٨– أبي بن كعب : هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك أبو المنذر من بني النجار الأنصاري توفي سنة ٣٢هـ (الإصابة ١/١٩) وهذه الترجمة موجودة في معرفة القراء الكبار للذهبي ص ٣٢ إلا أنه ذكر أن في اسمه اختلافًا كبيرًا .

١٠٩– سنن أبي داود ٢/٧٦ .

١١٠– الأضاة : الغدير انظر لسان العرب مادة أ . ض . و ١/٩٠ .

١١١– سنن أبي داود كتاب الصلاة ٢/٧٦ .

١١٢– زيد بن ثابت : هو أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري المقرئ توفي سنة ٤٥هـ عن ٥٦ سنة (شذرات الذهب ١/ ٥٤) .

١١٣– حذيفة بن اليمان : هو حذيفة بن حِسْل ويقال : حُسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جِرْوة بن الحارث ابن مازن قطيعة أبو عبدالله العبسي سمي أبوه اليمان لمحالفته بني عبدالأشهل وهم من اليمن ، شهد حذيفة الحرب فلما قتل أمير الجيش أخذ الراية وفتح همذان والرّي والدينور ، وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج فيها ، وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦هـ (أسد الغابة ١/٤٦٨) .

١١٤– أذربيجان : هو أقليم واسع يمتد من برذعة شرقًا إلى أذربيجان غربًا ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل والطرم ومن أشهر مدنها تبريز (معجم البلدان ١/١٢٨) .

١١٥– أرمينية : تمتد من برذعة إلى باب الأبواب ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم ، وجبل الفيق وصاحب السرير (معجم البلدان ١/١٦٠) .

١١٦– عبدالله بن الزبير : هو أبو خبيب عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهو أول مولود يولد بالمدينة بعد الهجرة توفي سنة ٧٣هـ (وفيات الأعيان ٣/٧١) .

١١٧– سعيد بن العاص : هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو عثمان وقيل أبو عبدالرحمن مات ودفن بالبقيع سنة ٥٨هـ (تهذيب التهذيب ٤/٤٨) .

١١٨– مكي بن أبي طالب ، الإبانة عن معاني القراءات ، تحقيق د . عبدالفتاح إسماعيل شلبي (مكتبة نهضة مصر) – ص ٢٣ – ٢٩ – أبو بكر الباقلاني ، نكت الانتصار لنقل القرآن ، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام (منشأة المعارف بالإسكندرية مصر) ص٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ .

١١٩– ابن النديم ، الفهرست (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان) ص ٦٠ .

١٢٠– الحجاج : هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، كان عامل عبدالملك بن مروان على العراق وخراسان توفي في واسط سنة ٩٥هـ (وفيات الأعيان ٢/٢٩) .

١٢١– نصر بن عاصم : نصر بن عاصم ابن أبي سعيد الليثي ويقال النحوي البصري وهو أوّل من نقط المصاحف وخمّسها وعشّرها توفي في أيام الوليد بن عبدالملك سنة ٨٩هـ (اليماني، إشارة التعيين ص ٣٦٣ – السيوطي ، بغية الوعاة ٢/٣١٣) .

١٢٢– أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي ابن خلكان ت ٦٨١هـ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس (دار صادر بيروت – لبنان) ٢/٣٢ – عبدالباقي بن عبدالمجيد اليمان ت ٧٤٣ ، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، تحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب (شركة الطباعة العربية السعودية الرياض ط١ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص٣٦٣ .

١٢٣– الخليل : هو أبو عبدالرحمن الخليل ابن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، وينسب إلى فراهيد ولد سنة مئة للهجرة كان زاهدًا تقيًا صالحًا ذكيًا فطنًا اختلف في سنة وفاته والأرجح أنه توفي سنة ١٧٥هـ (ترجمته في أبي الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ص٥٤ – القفطي ، إنباه الرواة ١/٣٤١ – السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص ٣٠ – ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠/١٦١ – ابن قتيبة ، المعارف ص٥٤١ – ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ١/٢٢) .

١٢٤– أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ، الأوائل ، تحقيق محمد السيد الوكيل (مطبعة السيد أسعد طرابزوني الحسيني – المدينة المنورة – السعودية) ص ٣٠١ .

١٢٥– شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، معجم الأدباء (إرشاد الأريب لمعرفة الأديب) صححه د . س مرجليوث (ط٢ مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٣م) ٤/١٨١ – جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م) ١/٣٤٦ – عبدالحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (المكتب التجاري بيروت لبنان) ١/٢٧٥ – أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، طبقات اللغويين والنحويين ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم

(دار المعارف بمصر) ص٥١ – أبو محمد عبدالله بن سعد بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان ط٢ ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ٣٦٢/١ .

١٢٦– الآية من سورة البقرة ٢٥٩ وتتمتها : ﴿ وَانْظُرْ إلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لحْمًا فَلَمَّا تَبينَ لَهُ قَالَ أعْلَمُ أنّ الله على كُل شيء قَديرٌ ﴾ .

١٢٧– هذه اللفظة فيها قراءات مختلفة القراءة الأولى وهي قراءة المصحف قرأ بها الكوفيون وابن عامر ، والقراءة الثانية نُنْشِرُها وهي قراءة الباقين (تفسير القرطبي ١١٠٣/٢ ابن الجزري ، النشر ٢٣١/٢ – مكي بن أبي طالب ، الكشف ٣١٠/١ – أبو عمرو الداني ، التيسير ص ٨٢ – الإتحاف ص ١٦٢ – أبو حيان ، البحر المحيط ٢٩٣/٣) – وهناك قراءات أخرى أوردها أبو حيان وهي قراءة ابن عباس وأبي حيوة وإبان عن عاصم بفتح النون نَنْشُرها ، وقراءة النخعي نَنْشُزُها رواها عن ابن عباس وقتادة (انظر البحر ٢٩٣/٣ ، تفسير القرطبي ١١٠٣/٢) .

١٢٨– أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ص ٣٢ .

١٢٩– سورة المجادلة آية (٢) قرأ الجمهور (أمهاتهم) بالنصب على لغة أهل الحجاز البحر المحيط ٢٣٢/٨– جمال الدين بن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق د . مازن المبارك محمد علي حمدالله راجعه سعيد الأفغاني ، وقراءة المفضل عن عاصم على لغة تميم . (دار الفكر للطباعة والنشر) ٣٣٥/١ .

١٣٠– الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، النشر في القراءات العشر صححه علي محمد الضباع (المكتبة التجارية الكبرى) ٩/١ .

١٣١– جولد تسهير ، مقدمة المذاهب الإسلامية ص ٤ نقلاً من كتاب القراءات واللهجات تأليف الأستاذ عبدالوهاب حمودة (ط١ مكتبة النهضة المصرية – القاهرة مصر ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) ص ١٨٣ . لم يقتصر أمر المستشرقين على الطعن في القراءات فقط وإنما تجاوزوا ذلك إلى الطعن في القرآن وأنه من عند النبي محمد ﷺ (انظر العربية ليوهان فك ترجمه إلى العربية الدكتور رمضان عبدالتواب – مكتبة الخانجي القاهرة مصر ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ١٧ . لذلك ينبغي الانتباه الشديد لكلام المستشرقين والأخذ بحذر مبالغ فيه عند حديثهم عن القرآن أو الأمور العقدية .

١٣٢– الأستاذ عبدالوهاب حمودة ، القراءات واللهجات ص ١٨٢ .

١٣٣– سورة البقرة من آية (١ – ٢) .

١٣٤– سورة الشرح آية (١) .

١٣٥– أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي البغدادي ، السبعة في القراءات ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف (ط٢ دار المعارف بمصر) ص٤٥ – ٤٦ .

١٣٦– ابن مجاهد ، السبعة في القراءات ص ٤٩ .

١٣٧– مكي بن أبي طالب ، الإبانة عن معاني القراءات ، ص ١٨ – ١٩ مثال للقسم الأول قراءة مالك وملك ، ويخدعون ويخادعون، ومثال للقسم الثاني قراءة عبدالله بن مسعود وأبي الدرداء (والذكر والأنثى) في (ومَا خَلَقَ الذكَرَ والأُنثى) ، ومثال للقسم الثالث قراءة ابن السميفع وأبي السمال وغيرهما في (نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ) نُنَحِّيك بالحاء المهملة (النشر ١٤/١ ، ١٦) ..

١٣٨– ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ٩/١ .

١٣٩– هذا الحديث موجود في صحيح البخاري بحاشية السندي في كتاب فضائل القرآن ٢٢٦/٣ وفي صحيح الترمذي في كتاب فضائل القرآن ٢٦٣/٤ – ٢٦٤ ، وفي سنن أبي داود كتاب الصلاة ٧٥/٢ – ٧٦ .

١٤٠– ابن الجزري ، النشر صححه علي محمد الصباغ ٢٣/١ – أبو بكر جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (ط١ مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) ١٣١/١ .

١٤١– هذه المعاني اللغوية موجودة في المعاجم الآتية – الخليل العين ٢١٠/٣ – ٢١١ – ابن دريد ، الجمهرة ١٣٨/٢ – الجوهرة ، الصحاح ١٣٤٢/٤ – ابن فارس ، الصاحبي ص ٨٤ – ابن سيده ، المحكم ٢٢٩/٣ – الرازي ، الحروف ص ١٤٧ – الصقاني ، العباب ٩٠/٢ – ابن منظور ، لسان العرب ٤٠/٩– الفيروزي آبادي ، القاموس المحيط ١٢٦/٣ – الزبيدي ، تاج العروس – وهناك معان لغوية أخرى لمادة (ح . ر . ف) لمزيد من التفصيلات ارجع لرسالتي للدكتوراه (من الظواهر النحوية للحروف المستخدمة في القرآن الكريم من ص٥١ – ٦٥) .

١٤٢– ابن الجزري ، النشر ٢٣/١ – السيوطي ، الإتقان ١٣١/١ .

١٤٢– من قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أنَبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وغَضِبَ عليهِ وَجَعَلَ مِنهُم القِردَةَ والخَنَازِيْرَ وعَبَدَ الطاغُوتَ أولئكَ شَرٌّ مَكَانًا وأضلُ عن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ سورة المائدة آية ٦٠ وهناك سبع قراءات لها : الأولى : قراءة حمزة (عَبُدَ الطاغوت) (انظر الداني ، التيسير ص ١٠٠ ، والبناء ، الإتحاف ص ٢٠١ والبحر ٥١٩/٣) . والثانية قراءة الحسن (عَبْدَ الطاغوت) (انظر الإتحاف ص ٢٠١ والبحر ٥١٩/٣) ، والثالثة : قراءة الشنبوذي (عُبُدَ الطاغوت) انظر الإتحاف ص ٢٠١ والرابعة : قراءة

أبيّ (وعبدوا الطاغوت) ، والخامسة : قراءة ابن مسعود (عَبُد الطاغوت) والسادسة : قراءة النخعي وابن القعقاع والأعمش في رواية هارون (عُبِد الطاغوتَ) السابعة : قراءة عبدالله في رواية (وعُبِدت الطاغوت) (انظر البحر ١٩/٣ه وكذلك تفسير القرطبي ٢٢٢٣/٣) .

١٤٤- من قوله تعالى : ﴿ إمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُمَا أوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قولاً كَريمًا ﴾ سورة الإسراء آية ٢٣ ، وفيها سبع قراءات الأولى : قراءة الحسن والأعوج وأبي جعفر وشيبة وعيسى ونافع وحفص (أفٍّ) (انظر التيسير ص ١٣٩ والإتحاف ص ٢٨٣ ، والبحر ٢٧/٦ ، والقرطبي ٣٨٥٨/٥ - ٣٨٥٩) الثالثة قراءة ابن كثير وابن عامر أفَّ (انظر الإتحاف ص ٢٨٣ والبحر ٢٧/٦ ، والقرطبي ٣٨٥٨/٥) ، الرابعة قراءة هارون : (أفٌّ) ، والخامسة قراءة أبي السمال (أفُ) ، والسادسة : قراءة زيد بن علي (أفًا) والسابعة قراءة ابن عباس : (أفْ) (انظر البحر ٢٧/٦، والقرطبي ٣٨٥٨ -٣٨٥٩).

١٤٥- السيوطي ، الإتقان ١٣١/١ .

١٤٦- من قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ألاّ تَكْتُبُوها وأشْهِدوا إذَا تَبَايَعْتُم ولا يُضَارّ كَاتِبٌ ولا شَهِيدٌ وإنْ تَفْعَلوا فإنَّهُ فُسُوقٌ بِكُم ﴾ سورة البقرة آية ٢٨٢ فيها قراءات عدة : الأولى قراءات ابن محيصن (ولا يضارُّ كاتبٌ) (انظر الإتحاف ص ١٦٦ ، والبحر ٣٥٤/٢ وتفسير القرطبي ١٢١٣/٢ - ١٢١٤) ، والثانية : قراءة الضحاك عن ابن مسعود وابن كثير عن مجاهد (لا يضارِرْ كاتبٌ) ، الثالثة : قراءة الداني عن عمر وابن عباس ومجاهد وابن أبي إسحاق (لا يضارِرُ ويضارَرُ كاتبٌ) . الرابعة : قراءة مقسم عن عكرمة (لا يضاعرُ كاتبٌ) (انظر البحر ٣٥٤/٢) ، والخامسة : قراءة عكرمة (لا يضارِرْ كاتبًا) (انظر البحر ٣٥٤/٢)، السادسة : قراءة ابن القعقاع وعمرو بن عبيد (لا يضارْ) (البحر ٣٥٤/٢ ، الإتحاف ونسبها إلى أبي جعفر ص ١٦٦) .

١٤٧- من قوله تعالى ﴿ فَقَالوا ربَّنَا باعِدْ بَيْنَ أسْفَارِنَا وظَلَمُوا أنْفُسَهُم فَجَعَلْنَاهم أحَاديث ومَزَّقْنَاهُمْ كلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ سورة سبأ آية ١٩ فيها قراءات مختلفة : الأولى : قراءة الجمهور (ربَّنا بَاعِدْ) (انظر البحر ٢٧٢/٧ - ٢٧٣) ، والثانية : قراءة ابن عباس وابن الحنفية وأبو رجاء والحسن ويعقوب وأبو حاتم وزيد ابن علي وابن يعمر .. (ربُّنا بَاعَدَ) (انظر البحر ٢٧٢/٧- ٢٧٣ ، والإتحاف ص ٣٥٩ القرطبي ٥٣٧٣/٦) ، والثالثة : قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام (ربَّنا بعِّد) (انظر التيسير ص ١٨١ ، والبحر ٢٧٢/٧ - ٢٧٣ ، والإتحاف ص ٣٥٩ السبعة لابن مجاهد ص ٥٢٩) الرابعة : قراءة ابن عباس أيضًا وابن الحنفية أيضًا وعمرو بن فائد (ربُّنا بَعُدَ) ، الخامسة : قراءة سعيد ابن أبي الحسن وابن الحنفية أيضًا وسفيان بن حسين وابن السميفع (ربَّنا بَعِّدْ بينَ) ، إلا سعيدًا منهم فقراءته (ربَّنا بَعُدَ بينُ) (انظر البحر ٢٧٢/٧ - ٢٧٣) .

١٤٨- آية ٢٥٩ سورة البقرة وسبق تخريجها وتخريج قراءتها .

١٤٩- سورة الواقعة آية ٢٩ قرأ الجمهور (وطَلْح) ، وقرأ علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - وجعفر بن محمد وعبدالله (وطَلْع) (انظر البحر ٢٠٦/٨ ، تفسير القرطبي ٦٣٧٨/٧) .

١٥٠- من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذلِكَ مَاكُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ والقراءة الثانية هي قراءة أبي بكر وابن مسعود (انظر تفسير القرطبي ٦١٨٣/٧) .

١٥١- سورة الليل آية ٣ قرأ عبدالله بن مسعود بدون (وماخلق) أي: ﴿ وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى والنَّهَارِ إذا تجلّى والذَّكَرِ والأنْثَى ﴾ انظر (تفسير القرطبي ٧١٧١/٨ ، وفي البحر ذهب إلى أن حذف (وما خلق) نقل آحاد مخالف للسواد ٤٨٣/٨) .

١٥٢- من قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الجِبَالُ كالعِهنِ المَنْفُوشِ ﴾ سورة القارعة آية ٥ وقراءة (كالصُّوفِ المَنْفُوش) قراءة عبدالله بن مسعود (انظر معاني القرآن للفراء ٢٨٦/٣ ، والمختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص ١٧٨) .

١٥٣- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ - ٢٩ ، مكي بن أبي طالب ، الإبانة ص ٣٦ - ٤٠ - السيوطي ، الإتقان ١٣٢/١ .

١٥٤- ابن الجزري ، النشر ٢٧/١ - السيوطي ، الإتقان ١٣٣/١ .

١٥٥- ابن قتيبة ، التأويل ص ٣٠ .

١٥٦- مكي بن أبي طالب ، الإبانة ص ٤٢ - ٤٣ .

١٥٧- ابن الجزري ، النشر ٢٢/١ - ٢٣ .

١٥٨- سورة القمر آية ١٧ .

١٥٩- الشيخ مناع القطاع ، مباحث في علوم القرآن (منشورات العصر الحديث حقوق الطبع محفوظة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص ١٤٦ .

المصـــادر والمراجـــع

- ابن الأثير ، (ت ٦٣٠هـ) أبو الحسن عز الدين بن الأثير علي بن محمد بن الجزري .
أسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق محمد إبراهيم البناء ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد .
- أنيس ، الدكتور إبراهيم أنيس .
في اللهجات العربية (ط ٤ مكتبة الأنجلو المصرية) .
- أيوب ، د . عبدالرحمن أيوب .
العربية ولهجاتها (معهد البحوث والدراسات اللغوية ١٩٦٨م) .
- بافضل ، صباح عبدالله محمد عبدالرحمن بافضل .
من الظواهر النحوية للحروف المستخدمة في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية للبنات بجدة ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبدالهادي الفضلي، والأستاذ الدكتور مصطفى الصاوي الجويني .
- الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني .
نكت الانتصار لنقل القرآن تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام (منشأة المعارف بالإسكندرية مصر) .
- الباهلي ، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي .
شرح ديوان ذي الرمة رواية الإمام أبي العباس ثعلب تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح (مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة بيروت لبنان ط١ ، ١٩٨٢م / ١٤٠٢هـ) .
- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري .
صحيح البخاري بحاشية السندي (شركة مكتبة أحمد ابن سعد ابن نبهان وأولاده سربايا أندونيسيا) .
- البغدادي ، (ت ١٠٩٣هـ) الشيخ عبدالقادر ابن عمر البغدادي .
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق وشرح الأستاذ عبدالسلام محمد هارون جـ٤ (الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م مكتبة الخانجي بمصر) جـ١١ (مكتبة الخانجي بالقاهرة دار الرفاعي بالرياض ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- البناء ، (ت ١١١٧هـ) العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء
إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر رواه وصححه وعلق عليه علي محمد الصباغ (دار الندوة الجديدة بيروت لبنان)
- الترمذي ، (ت ٢٧٩هـ) الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سودة الترمذي .
الجامع الصحيح راجعه وضبط أصوله وصححه عبدالرحمن محمد عثمان (دار الفكر ط٣ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .
طبعة أخرى (دار الفكري ط٢ ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- تسهير ، جولد تسهير .
مقدمة المذاهب الإسلامية ضمن كتاب القراءات واللهجات للأستاذ عبدالوهاب حمودة (مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر ط١ ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) .
- تيمور ، الأستاذ أحمد تيمور باشا .
لهجات العرب (الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)
- الثعالبي ، أبو منصور إسماعيل الثعالبي .
فقه اللغة وسر العربية تحقيق السقا وآخرين (شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) .
- ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .
مجالس ثعلب تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون (دار المعارف بمصر) .
- الجاحظ ، (ت ٢٥٥هـ) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .
البيان والتبيين تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٤) .
- ابن الجزري ، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري .
النشر في القراءات العشر صححه علي محمد الصباغ (المكتبة التجارية الكبرى) .
- ابن جني (٣٩٢هـ) أبو الفتح عثمان بن جني .
الخصائص تحقيق محمد علي النجار (دار الكتاب العربي بيروت لبنان) .
- سر صناعة الإعراب تحقيق مصطفى السقا وآخرين (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة مصر ط١ ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) .
المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تحقيق الأستاذ علي النجدي ناصف ، والدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي . أعده للطبعة الثانية محمد بشير الإدلبي (دار سزكين للطباعة والنشر ط ٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
- الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، إسماعيل بن حماد الجوهري .
الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (دار العلم للملايين) ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني .
الإصابة في تمييز الصحابة (دار صادر بيروت طبعة سنة ١٣٢٨هـ . ومطبعة السعادة بمصر) .
تهذيب التهذيب (دار صادر بيروت لبنان ط١) .
- حسان ، الدكتور تمام حسان .
اللغة العربية معناها ومبناها (الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٢ ١٩٧٩م) .
- حمودة ، الأستاذ عبدالوهاب حمودة .
القراءات واللهجات (مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) .
- حسنين ، د . صلاح الدين صالح حسنين .
دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن (دار العلوم للطباعة والنشر الرياض السعودية ط ١ ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)
- أبو حيان (ت ٧٤٩هـ) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي .
البحر المحيط (دار الفكر للطباعة والنشر ط٢ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
- ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) أبو عبدالله الحسين ابن أحمد المعروف بابن خالويه .
مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع عني بنشر براجشتراسر . (مكتبة المتنبي القاهرة مصر) .
- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) أبو العباس شمس

الدين أحمد بن محمد ابن أبي ابن خلكان.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق الدكتور إحسان عباس، (دار صادر بيروت لبنان) .
– الداني (ت ٤٤٤هـ) أبو عمرو عثمان بن سعيد ابن عثمان ابن سعيد بن عمر الداني.
التيسير في القراءات السبع عني بتصحيحه أوتو برتزل (دار الكاتب العربي ط٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
– أبو داود ، سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (دار إحياء السنة النبوية) .
سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (دار إحياء السنة النبوية).
– ابن دريد (ت ٣٢١هـ) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري .
جمهرة اللغة (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة مصر) .
– الذهبي (ت ٧٤٨هـ) شمس الدين أبو عبدالله الذهبي .
معرفة القراء الكبار تحقيق محمد سيد جاد الحق (دار الكتب الحديثة ط١) .
– الرازي ، ابن المظفر بن المختار الرازي .
كتاب الحروف تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب ، وهو كتاب محقق مجموع مع كتابين آخرين بعنوان ثلاثة كتب في الحروف للخليل بن أحمد وابن السكيت والرازي (مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر ، دار الرفاعي بالرياض السعودية ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
– الرازي ، محمد أبو بكر عبدالقادر الرازي .
مختار الصحاح رتبه محمود خاطر (دار صادر بيروت للطباعة والنشر القاهرة مصر) .
– الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي الواسطي .
تاج العروس من جواهر القاموس (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان) .
– الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي .
طبقات اللغويين والنحويين تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (دار المعارف بمصر) .
– الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري
أساس البلاغة (دار الكتب ط٢، ١٩٧٣م)
– الزوزني أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني.
شرح المعلقات السبع (دار الجيل بيروت لبنان ط٣ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .
– ابن سلام (ت ٢٣١هـ) محمد بن سلام الجمحي .
طبقات فحول الشعراء (دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان) .
– سيبويه (ت ١٨٠هـ) أبو بشر عمرو عثمان ابن قنبر .
الكتاب تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون (مكتبة الخانجي القاهرة مصر ط٢ ، ١٩٧٧م) .
– ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) علي بن إسماعيل ابن سيده .
المحكم والمحيط الأعظم في اللغة تحقيق عبدالستار أحمد فراج (شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة مصر ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .
– السيرافي (ت ٣٦٨هـ) أبو سعيد الحسن ابن عبدالله السيرافي .
أخبار النحويين البصريين تحقق محمد طه الزيني ، محمد عبدالمنعم خفاجي (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي) .
– السيوطي (ت ٩١١هـ) أبو بكر جلال الدين السيوطي .
الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ط١ ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .
الاقتراح في علم أصول النحو تحقيق د . أحمد محمد قاسم (ط ١ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م القاهرة مصر) .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية بيروت لبنان) .
المزهر في علوم اللغة تحقيق محمد أحمد جاد المولى (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي) .
– شاهين ، الدكتور عبدالصبور شاهين
في علم اللغة العام (مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط٤ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)
– الصغاني (ت ٦٥٠هـ) حسن بن محمد بن الحسن الصغاني .
العباب الزاخر واللباب والفاخر (المكتبة الوطنية ببغداد العراق ١٩٨١م) .
– الطعان ، الدكتور هاشم الطعان .
الأدب الجاهلي بين أدب القبائل واللغة الموحدة (منشورات وزارة الثقافة والفنون بالجمهورية العراقية)
– أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) عبدالواحد ابن علي .
مراتب النحويين تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) .
– ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي .
المقرب تحقيق أحمد عبدالستار الجبوري وعبدالله الجبوري (مطبعة العاني ط١ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) .
– ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) أبو الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي
شذرات الذهب في أخبار من ذهب (المكتب التجاري بيروت لبنان) .
– عمايرة ، الدكتور خليل أحمد عمايرة
في نحو اللغة وتراكيبها (عالم المعرفة للنشر والتوزيع جدة السعودية ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
– عمر ، الدكتور أحمد مختار عمر
دراسة الصوت اللغوي (عالم الكتب بالقاهرة مصر ط٢، ١٩٨١م)
– عون ، الدكتور حسن عون
اللغة والنحو (مطبعة رويال بالإسكندرية مصر ط١ ، ١٩٥٢م) .
– العيني (ت ٨٥٥هـ) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني
عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (المطبعة المنيرية محمد أمين رجب بيروت) .
– ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) أحمد بن زكريا بن فارس
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها تحقيق مصطفى الشويمي (مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٦٤م / ١٣٨٣هـ) .
معجم مقاييس اللغة تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون (دار إحياء الكتب ط ١ ، ١٣٦٩هـ) .
– الفراء (ت ٢٠٧هـ) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء .
معاني القرآن (عالم الكتب بيروت لبنان ط٢ ، ١٩٨٠م).
– الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) أبو عبدالرحمن

الخليل بن أحمد الفراهيدي .
العين تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي (الجمهورية العراقية دار الرشيد للنشر ١٩٨١م ، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان ، دار الخلود للطباعة والنشر بيروت لبنان) .
– فك ، يوهان فك .
العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب (مكتبة الخانجي بمصر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .
– فندريس ، ج . فندريس
اللغة ترجمة الدكتور عبدالحميد الدواخلي ، والدكتور محمد القصاص (المكتبة الفيصلية بدون تاريخ) .
– الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .
القاموس المحيط (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة مصر) .
– ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد أحمد صقر (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة – مصر) .
المعارف تحقيق الدكتور ثروت عكاشة (دار المعارف بمصر ط٢) .
– القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي (دار الشعب) .
– القطان ، الشيخ مناع القطاع
مباحث في علوم القرآن (منشورات العصر الحديث حقوق الطبع محفوظة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) .
– القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي .
إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م) .
– امرؤ القيس .
ديوان امرئ القيس (دار صادر بيروت) .
– القيسي (ت ٤٣٧هـ) مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي .
الإبانة عن معاني القراءات تحقيق الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي (مكتبة نهضة مصر) .
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها تحقيق الدكتور محي الدين رمضان (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
– ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي .
البداية والنهاية (مكتبة المعارف بيروت لبنان ط٢ ١٩٧٧م) .
– كريستل ، دافيد كريستل
التعريف بعلم اللغة ترجمه إلى العربية الدكتور حلمي خليل (الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية مصر ط١ ، ١٩٧٩م) .
– ابن ماجة (ت ٢٧٥هـ) الحافظ أبو عبدالله محمد بن زيد القزويني .
سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (دار إحياء التراث ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م) .
– ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي .
السبعة في القراءات تحقيق الدكتور شوقي ضيف (دار المعارف بمصر ط٢) .
– مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري
صحيح مسلم (دار الفكر بيروت لبنان ط٢ ، ١٩٧٢م/١٣٩٢هـ) .
– ابن منظور (ت ٧١١هـ) أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور الإفريقي المصري .
لسان العرب (دار صادر بيروت لبنان ١٩٥٥م / ١٣٧٤هـ) .
– ابن النديم ، محمد بن إسحاق بن النديم .
الفهرست (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان) .
– النسائي
سنن النسائي بشرح السيوطي (المكتبة التجارية الكبرى المطبعة المصرية بالأزهر) .
– النيسابوري ، الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري .
المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي (مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت لبنان) .
– ابن هشام (ت ٧٦١هـ) أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري .
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق الدكتور مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمد الله ، راجعه الأستاذ سعيد الأفغاني (دار الفكر للطباعة والنشر) .
– أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري .
الأوائل تحقيق محمد السيد الوكيل (مطبعة السيد أسعد طرابزوني الحسيني المدينة المنورة – السعودية) .
– وافي ، الدكتور علي عبدالواحد وافي .
علم اللغة . دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة مصر ط٧) .
– اليافعي ، أبو محمد بن عبدالله بن سعد بن سليمان اليافعي .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان (مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان ط٢ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .
– ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي إرشاد الأريب لمعرفة الأديب صححه د . س مرجليوث (مطبعة هندية بالموسكي بمصر ط٢ ، ١٩٢٣م)
معجم البلدان (دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت . لبنان) .
– ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) الشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش .
شرح المفصل في علم العربية (عالم الكتب بيروت لبنان مكتبة المتنبي القاهرة مصر) .
– اليماني (ت ٧٤٣هـ) عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني
إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين تحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب (شركة الطباعة العربية السعودية الرياض ط١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .
بالإضافة إلى المعاجم المساعدة التالية :
• المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبدالباقي (دار مطابع الشعب) .
• معجم فنسنك (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) (مكتبة بريل ، ليدن ١٩٢٦م) .

إشبين جيلسون
في الكتابات الفلسفية العربية الحديثة

أحمد عبدالحليم عطية
كلية الآداب
جامعة القاهرة

تمهيد

تفاعل الفكر العربي منذ مراحله الأولى مع الفكرالغربي ، وذلك منذ حركة الترجمة الأولى من اليونانية إلى العربية منذ عصر المأمون ، ومازلنا في فكرنا المعاصر نرتبط ارتباطًا وثيقًا بإنجازات ذلك الفكر الذي يمثل بالنسبة لنا إطارًا نظريًا ونسقًا معرفياً للتفكير ، ونحيا على قوانين التفكير التي كشف عنها أرسطو ، ولا يزال الغرب المعاصر مدينًا بإنجازاته وتفوقه أبستولوجياً لذلك التفاعل الفكري في تصوراته النظرية وطرائقه في التفكير .

ومن أجل أن توجد لدينا رؤية فكرية لإنجازات ذلك الفكر ينبغي علينا تمثله واستيعابه وتحديده في نطاق إطاره التاريخي والاجتماعي .

وقد كتب كثير من الغربيين في إطار هذه العلاقات المتبادلة بين الفكر العربي والغربي مؤرخين تلك العلاقات والتفاعلات في دراسات جيدة كما تعرض لهذه المعلومات مجموعة من الدارسين العرب فبحث عبدالرحمن بدوي «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» وبحث آخرون في الفكر العربي وتأثيره على أوربا في القرون الوسطى . ونسعى في هذه الدراسة وغيرها لتناول الفكر الغربي في الثقافة العربية المعاصرة . ونركز في هذا البحث على أحد هؤلاء الفلاسفة الذين اعتمد عليهم باحثو الفلسفة العرب المعاصرون خاصة في كتاباتهم الفلسفية المختلفة سواء اليونانية أو الغربية في العصور الوسطى والحديثة مترجمين أعماله أو عارضين لها متخذين منها سندًا لتأكيد وتدعيم كتاباتهم أو متجاوزين هذا المستوى إلى تبني تفسيراته أو معارضته أحيانًا أو مناقشة أحكامه وإعادة النظر فيما طرحه من قضايا أحيانًا أخرى . ذلكم هو مؤرخ الفلسفة وأحد مؤسسي التوماوية الجديدة في فرنسا إشبين جيلسون *(E . Gilson)* .

ومهمتنا هنا عرض المواقف المختلفة التي اتخذتها الكتابات العربية في تعاملها مع مؤرخ الفلسفة الكبير مشيرين إلى طبيعة هذه المواقف سواء كانت تابعة تكتفي بالترجمة والعرض فقط أم ناقدة محللة تسعى إلى الحوار والجدل وتحليل ما يصدره من أحكام ، من أجل إعطاء صورة حقيقية لهذه المواقف ومنطلقاتها من جهة ورسم صورة للفيلسوف التوماوي الفرنسي من جهة ثانية ، ثم – هذا هو المقصد النهائي – مناقشة بعض ما أثاره من قضايا الفلسفة الإسلامية أو بمعنى أدق حول تأثير هذه الفلسفة على الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى .

١ - موقف مؤرخي الفلسفة الوسيطة العرب

يتناول عبدالرحمن بدوي «جيلسون» في إطار الحركة التوماوية الجديدة في ترجمته كتاب بتروبي «مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا» «كما يعتمد عليه اعتمادًا كاملاً في كتابه «فلسفة العصورالوسطى» يسعى جيلسون – كما يبين لنا بدوي من ترجمته – سواء كان ذلك بأبحاثه أو بتعليمه أو بالمجموعة التي يديرها من فلسفة العصر الوسيط إلى أن يسهم في نهضة التوماوية في فرنسا .

ويرى أن كتابه عن التوماوية (نسبة إلى القديس توما الإكويني) وهو كتاب كثيرًا ما اعتمد عليه الباحثون العرب في فلسفة العصر الوسيط – إن القديس توما هو المحرك الحقيقي للفلسفة في العصور الحديثة (وهو موقف نجده لدى الأب جورج شحاته قنواتي) ويحتج بشدة على إهمال

دراسة فلسفة العصور الوسطى في الجامعات ولا يتردد في أن يؤكد «أن من ينظر إلى القرن الثالث عشر بدون تحيز يرى أن هذا القرن ليس أقل ثراء في الأمجاد الفلسفية من عصر ديكارت وليبنتز أو عصر كانط واوجستكونت ، وهو يدعو إلى أن الفلسفة التوماوية مذهبًا من العالم وتفسيرًا شاملاً للكون يستند إلى وجهة نظر العقل ، ولا يقر بتصور التوماوية على أنها استمرار للأفلاطونية المحدثة» أن نعمل من القديس توما أو حتى مشابهًا لأفلوطين معناه الخلط بينه وبين أعدائه الذين حاربهم بكل قوة . إن إله القديس توما ليس إله أفلوطين ، بل هو الإله المسيحي عند أوغسطين . والإنسان عند القديس توما ليس الإنسان عند أفلوطين ؛ بل الإنسان عند أرسطو طاليس ؛ وفلسفة القديس توما في نظر جيلسون غنية بالجمال كما أن شعره حافل بالفكر - وإذا سلمنا بأن الفلسة ينبغي ألا تحد بالعناصر التي تستعيدها بل بالروح التي تشيع فيها فلن ترى من هذا المذهب أفلوطينية ولا أرسطاطالية بل قبل كل شيء مسيحية [١] .

ويشير عبدالرحمن بدوي في كتابه «فلسفة العصور الوسطى» - الذي ينقل عن جيلسون - إشارة سريعة في نهاية تصديره تظهر اعتماده الكبير على المؤرخ الفرنسي في مجمل كتابه [٢] فهو يستخدم عناوين جيلسون نفسها ومحتوى مادته العلمية في حديثه عن «مشكلة الفلسفة المسيحية [ص١ - ٥] وفكرة الفلسفة المسيحية [٦ - ١٤] وهي عناوين مادة الفصلين الأول والثاني ومحتواهما لكتاب «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» الذي ترجمه بتصرف ؛ عرض وتعليق ، إمام عبدالفتاح إمام اللذين يشغلان صفحات [٣ - ٣٠] ، [٣١ - ٦٢] وفي الإطار نفسه يمكن مقارنة ما كتبه بدوي عن القديس أوغسطين ، والقديس بونا فنتورا ، والقديس توما الإكويني بكتب جيلسون عنهم ، ويستعين برأي جيلسون عن إبيلارد ، الذي يراه مبالغًا فيه . كما يستعين باستشهاد جيلسون نفسه بإحدى فقرات فيورباخ في «جوهر المسيحية» عن وجود فلاسفة مسيحيين ، وعدم وجود فلسفة مسيحية ، ويناقش اصطلاح «الفلسفة المسيحية» بالتفصيل كما لدى جيلسون .

ويرتبط بهذا الموقف ويدور في الإطار نفسه يوسف كرم الذي يعتمد في كتابه : «تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» اعتمادًا كبيرًا حتى في العنوان على جيلسون ، رغم أنه لا يذكره في الهوامش حيث قدم لنا في إحدى تنبيهاته [ص ١١] مبررًا لعدم إحالته إلى مواضيع الآراء التي أوردها من هذا الكتاب (رغم أنه أول كتب فلسفة العصر الوسيط ، وكان ينبغي عليه بيان ذلك) - وذلك تفاديًا لتضخمه واعتقادًا منه بقلة نفع هذه الإحالة ؛ لأن المراجع الأصلية لاتينية وعزيزة المنال في الغالب . ولأن هذا القسم من تاريخ الفلسفة ليس موضع دراسة خاصة في الشرق . وتلك مبررات غير كافية تمامًا لعدم إشارته لمصدره ؛ بل هي أدعى إلى ذلك - مكتفيًا بوضع ثبت بالمراجع ضمنه ملاحظاته للعون على استكشاف مواضع الآراء وعلى الشروح في الدراسة الخاصة [٣] .

ويشير في ثبت مراجعه إلى سلسلة دراسات في الفلسفة الوسيطة تنشر بإشراف جيلسون ابتداء من عام ١٩٢٢ ، ومن بينها معظم كتبه ، ويذكر أيضًا مجلته المهمة- التي اعتمد عليها غالبية الباحثين العرب *Anchives d' listoire litteraire et docbinal du moyen ege* وهي مجلة توجه عناية خاصة إلى علاقة الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط بالفلسفة الإسلامية استنادًا إلى الترجمات اللاتينية بنشرها جيلسون وتيري - ويشير كرم في مراجعه عن أوغسطين إلى كتاب جيلسون المهم عنه «مدخل إلى دراسة القديس أوغسطين ١٩٢٩ *Mtraduction al etude de Sarnt Augustion*» ويشير إلى أنه رغم كون العنوان متواضعًا ؛ فإن الكتاب يتناول المذهب كله وفيه ثبت مفصل للمراجع وملاحظات عليها كما يشير إلى كتابه عن القديس بونا فنتور (أجمل كتب المؤلف) .

كما يصفه ويستخدم ما كتبه جيلسون عن «التوماوية» في الفصل الذي كرسه للقديس توما [٤] . والحقيقة أن كرم يعتمد اعتمادًا كبيرًا على جيلسون . وقد أكد ذلك علي زيعور في كتابه عن : «أوغسطينوس» حيث يعلق على ما كتبه كرم بأن يقتبس دون أن يشير إلى ذلك عن جيلسون في كل ما كتبه عن القديس أوغسطين [٥] . ينتمي كتاب كرم المشار إليه في علاقاته بجيلسون إلى الموقف الأول نفسه الذي يكتفي بالنقل والترجمة واتخاذ جيلسون مصدرًا وسندًا لكتاب تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط .. فهو الحجة في ذلك وربما نجد مبررات عديدة فيما يتعلق بما قدمه يوسف كرم الذي اكتفى بدور

المؤرخ ، وقدم كتابه في وقت مبكر بالنسبة للدراسة الفلسفية في الجامعات العربية . إلا أن ذلك لا يبرر انتقاد زيعور الصائب الذي لم يبرء منه زيعور نفسه رغم أن كتابه أحدث – بفترة تقرب من حوالي أربعين عامًا – من كتاب كرم – ومن هنا ينتمي هو الآخر للموقف نفسه الذي ينتقده.

تكثر استشهادات زيعور – على امتداد صفحات كتابه عن أوغسطين – بجيلسون فيما يرد به على ما وجه إلى فلسفة العصر الوسيط من تهم ومآخذ – مبينًا اعتماد النهضة الأوربية على تلك الفلسفة ، وعلى عدم وجود فلسفة مسيحية ، يأتي بتوكيد جيلسون في «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» بأن اتهامها بأنها ليست فلسفة أو أنها لاهوت صرف هو عمل غير فلسفي لا تستطيع فلسفة ما أن تستلهم الوحي ، وتكون حقيقية ، وإذا ما كانت حقيقية فما ذلك إلا أنها فلسفة جيدة [٦٤] يتقبل زيعور أحكام جيلسون تقبلاً كاملاً وبدون مناقشة فهو عنده من أشهر الباحثين المتعمقين في الدراسات حول الفلسفة المسيحية [٦٥] التي أحدثت تغيرًا في تطور الفلسفة [٦٩] لهذا فهو يعتمد على جيلسون في بيان موقف ترتوليان الرافض للفلسفة اليونانية [٨٤] [٩٢] .

ويتوقف كثيرًا في حديثه عن أوغسطين عند كتابات جيلسون عنه حين يعرض المنهج الأوغسطيني في الإلهيات [١٤٣] وفي عرض النظرية المهمة ذات التأثير القوي في العصور الوسطى القائلة : إن الله شمس العقول قبل كل شيء لإظهار أن الله هو العلم الباطني [١٥٦] – ويستشهد به في أقل من نصف صفحة ثلاث مرات [١٥٧] ويتخذه مصدرًا في حديثه عن المحبة بوصفها الفكرة المركزية عند أوغسطين [١٥٨] وفي حديث الأخير عن المدة الزمنية التي خلق بها الله العالم [١٦٣] [١٦٩] وحين يعرض لعلم النفس الأوغسطيني [١٩٣] والنعمة الإلهية [٢٠٤] وحين يعرض لنظرية المعرفة للمدركات المادية والمعرفة الحسية [٢٠٧] وحين يقارن أفلاطون وأوغسطين [٢١٠] ويستخدم أفكار وعبارات جيلسون نفسها حين يقارن أوغسطين وديكارت [٦٦] [٢١٠] ويعتمد على مدخل جيلسون لدراسة أوغسطين . حين يتناول السعادة الأوغسطينية والمعرفة [٢١٩ – ٢٢٠] وحين يتناول المدنية الأرضية يعتمد على كتاب جيلسون *Les metomorphases de la cite de Dieu* ويتكرر استخدامه كمدخل لدراسة أوغسطين في حديثه عن القانون والمجتمع [٢٣٠] .

وفي حديثه عن فلسفة التاريخ في «مدينة الله» التي كان لها تأثيرها في فلسفة التاريخ ؛ بل ربما في التاريخ نفسه كما يقول جيلسون [٢٤٠] [٢٤٦] وفي ختام حديثه عن أوغسطين يذكر أنه كان لاهوتيًا وفيلسوفًا وأخلاقيًا .. وفوق كل شيء يبدو معاصرًا لكل الأجيال . جدته لاتبلى – عظمته في تجدده المستمر . وفي أنه يحيا مع كل حي عبر العصور [٢٦٩] كما يعتمد على كتاب «الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» في حديثه عن بويثيوس [٢٩٠ – ٢٩٢] – استشهادات عديدة توضح أن الأستاذ اللبناني ليس أقل من سابقه المصري اعتمادًا على مؤرخ فلسفة العصر الوسيط الفرنسي التوماوي .

وكان إمام عبدالفتاح أكثر وضوحًا في تقديمه «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» إلى العربية باسم صاحبها إتيين جيلسون فلم يصف العمل الذي قام به بأنه ترجمة ؛ بل اكتفى فقط بوصفه بأنه عرض وتعليق .

يقول موضحًا طبيعة جهده : «لقد رأينا أن نعرض هذه الدراسة لا أن نترجمها حرفيًا ذلك لأننا نهدف أساسًا إلى تعريف القارئ بأهم مشكلات هذه الفترة وقد يحتاج ذلك أن نضيف شيئًا أو نوضح فكرة كانت غامضة أو أن نحذف ما نراه غير جوهري لعرض الفكرة الرئيسة في الكتاب» (المقدمة ك) . فربما لا تصلح الهوامش للتعليق أو التوضيح على النص الأصلي وربما لا يجدي في ذلك مقدمة تعرض للعمل وتناقشه .

وفي تقديمه للطبعة الأولى يحدثنا عن التوماوية الجديدة . نشأتها وأنصارها ، ومنهم جيلسون الذي يعد من أكبر المتخصصين في فلسفة العصر الوسيط ، ويعدد كتاباته الفلسفية المختلفة ومنها «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» وهو دراسة تشمل أهم المشكلات التي شغلت أذهان المفكرين في العصر الوسيط وهي تبدأ عادة بإثارة مشكلة الفلسفة في العصر الوسيط ثم بتحديد معنى هذه الفلسفة ، وأخيرًا يعرض المشكلات الفلسفية اللاهوتية التي اهتم بها فلاسفة هذا العصر ، وهذا الكتاب يعد خير كتاب على الإطلاق عالج موضوع الفلسفة المسيحية ومكانتها بين الفلسفة اليونانية من ناحية والفلسفة الحديثة من ناحية أخرى ؛ بل وامتداد أثرها على الفلسفة المعاصرة من ناحية ثالثة (٧) ويناقش المؤلف في بداية كتابه هذا

الشكوك التي أثيرت حول وجود الفلسفة المسيحية ذاتها لينتهي إلى أن القول إن مدة العصر الوسيط كانت صفرًا قول لا معنى له من أي وجه ؛ لأن ذلك يلغي جانبًا كبيرًا من التراث النظري المسيحي من ناحية ، ولا يفسر لنا من ناحية أخرى كيف جاءت الأفكار اللاهوتية الكثيرة الموجودة في الفلسفة الحديثة خصوصًا عند الديكارتيين . ثم يحدد لنا في فصل تالٍ ملامح الفلسفة المسيحية ، ويبدأ بعد ذلك في دراسة موضوعات الفلسفة المسيحية وأولها بالطبع هو «الله» الذي يرى جيلسون أن الخاصية الأساسية له في الفكر المسيحي هي الوحدانية والخلق ، وتلك فكرة تبرز الفلسفة المسيحية ؛ لأن اليونانيين لم يعرفوا شيئاً عن فكرة الخلق ، ويتابع المؤلف عرض هذه الفكرة بالتفصيل في الفصل الرابع ثم يتحدث في الفصل الخامس عن العلاقة بين الله والعالم وعن التفاؤل المسيحي وعن مجد الله ، ثم يخصص حديثًا طويلاً عن الإنسان من جميع جوانبه ، ثم يتحدث عن المعرفة ويخصص فصلاً عن الحب وآخر عن الحرية والإرادة ، ثم فصلين عن الأخلاق ، وثلاثة فصول أخيرة عن وجهة نظر الفلسفة المسيحية من الطبيعة والتاريخ والفلسفة . أمانة كاملة في متابعة جيلسون ودقة متناهية في العرض والتعليق الذي قدمه إمام عبدالفتاح .

٢ - موقف مؤرخي الفلسفة الإسلامية

أ - التناول الموضوعي :

لم يقتصر التعامل مع كتابات جيلسون على مؤرخي الفلسفة الغربية بدوي وكرم وزيعور رغم أن هذا هو الجانب الأساسي في جهد جيلسون ، والصورة الغالبة التي عرف بها في العربية ؛ بل نجد اهتمامات متنوعة بجوانب مختلفة من كتابات جيلسون لا تتوقف عند ما قدمه في فلسفة العصر الوسيط ؛ بل تشمل جهوده في تاريخ الفلسفة ، ولا تكتفي بالمراحل الأساسية في هذا التاريخ (اليونانية والوسيطة والحديثة) ؛ بل تهتم بمدة الانتقال من الأولى إلى الثانية وإلى الثالثة ... وهكذا ؛ ولذا نجد أساتذة وباحثي الفلسفة الإسلامية في مختلف فروعها يرجعون إليه ، ويعتمدون كتاباته في مؤلفاتهم وتحقيقاتهم لكتب ونصوص الفلسفة الإسلامية فلا تخلو قائمة في معظم كتب الفلسفة الإسلامية من ذكر جيلسون وكتبه . يشير إليه محمد عبدالهادي أبوريدة في ترجمته كتاب دي بور «تاريخ الفلسفة في الإسلام» ، حين يتحدث عن نظرية العقل عند الكندي ، ويذكر رسالة الأخير في معنى العقل عند الأقدمين . وترجمة يوسف كرم لها من اللاتينية إلى العربية، وينقل أبوريدة النص عن جيلسون *Anchives d'histoire doctainal et ligleraire du mayen age* [ص ١٢١] ويبين أن نظرية العقل نظرية غامضة كثر فيها النزاع ، ورغم غموضها واضطرابها حتى عند أرسطو نستطيع أن نستخلص من كتاب النفس أن العقل عنده منفعل - فعال - بالملكة ، ويصف ويعرف هذه العقول اعتمادًا على جيلسون ، ويبين معاني هذه العقول عند الإسكندر الأفروديسي كما يذكرها جيلسون [ص١٢٣] (٧) .

كما يعتمد أبو الوفا الغنيمي التفتازاني على كتاب جيلسون *Laphilosophie au mayen age* في بحثه المهم عن ابن سبعين وفلسفة الصوفية في بيان منزلة ابن سبعين في الغرب المسيحي ؛ فقد كان ارتقاء المسيحيين في الفلسفة واللاهوت في القرن الثالث عشر قد أعقب غزو الفلسفات العربية واليهودية مع كتب أرسطو العلمية والميتافيزيقية والأخلاقية للغرب اللاتيني [١٧٧] وهو لا يستبعد أن تكون أجوبة ابن سبعين (على أسئلة فردريك الثاني) قد ترجمت فيما ترجم من كتب فلسفية عربية إلى اللغة اللاتينية . وعرف المفكرون الغربيون من خلالها آراء أرسطو وشراح فلسفته كما عرضها ابن سبعين فيها ، ويكون شأنها في ذلك شأن شروح ابن رشد التي نقلت إلى اللاتينية في باليرمو (١٢٢٨ = ١٢٣٥) [ص ١٨٢] (٨) ؛ بل إن كتب جيلسون صارت تزين كثيرًا من كتب الفلسفة الإسلامية (٩) كدلالة على المتابعة .

ويعتمد الأهواني في تحقيقه «تلخيص كتاب النفس» لابن رشد ورسائل أخرى على جيلسون حين يتناول فيه الفيلسوف الفرنسي مقالة العقل في كتاب النفس لأرسطو - والتي اعتمد عليها أبوريدة من قبل - حيث يبين الأهواني (١٠) إن المسائل التي أفردها جيلسون في الكتاب واردة كلها في نص أرسطو ، وينقل عنه صفحات طوال [٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩] ويعرض لتساؤلات جيلسون على طريقة شراح أرسطو عن العقل المنفعل ، وما المقصود به ويبين إجابات أرسطو قليس *Aristocles* أستاذ الإسكندر الأفروديسي (الذي يبسط جيلسون القول في مذهبه بسطًا أكثر بيانًا) [٢٨] ويعرض هذا المذهب [٢٨- ٢٩- ٣٠-٣١]

ويبين اعتماداً على جيلسون إن فلاسفة العصر الوسيط إسلاميين ومسيحيين قد جهلوا أرسطو طاليس رغم أنهم عرفوا تلميذه الأفروديسي [٣١] وينقل عنهم «أن الإسكندر نقطة البداية في كلام العرب وفلاسفة العصر الوسيط عن العقل [٣١] ويرى أن ملاحظة جيلسون فيما يختص بالترجمة العربية ثم اللاتينية عن العربية جديرة بالنظر ، فهو على حق في ذلك ؛ لأنه يوازن بين النص اليوناني والترجمة اللاتينية . أما أن نقلة العرب لم يحسنوا الترجمة فأمر يحتاج في إثباته إلى الموازنة بين التراجم العربية والأصول اليونانية . والمرجح أنها كانت دقيقة فقد جاء الخلط من الترجمات اللاتينية عن العربية لذلك ينبغي أن يرجع إلى التراجم اللاتينية بحذر شديد [٣٢] . ويناقش الاصطلاحات المختلفة للعقل عند الشراح المختلفين [٢٥ – ٣٦ – ٣٧] ويرجعنا إلى جيلسون وإشارته إلى علم النفس السنيوي [٦٢] .

وتثير كتابات جيلسون في الفلسفة الإسلامية أو بمعنى أدق أثر هذه الفلسفة على الفلسفة الغربية في العصور الوسطى اهتمام العديد من الباحثين العرب المعاصرين . فقد أحدثت كتاباته الكثير من المناقشات التي تتعلق ببور وطبيعة كل من هاتين الفلسفتين ، ويفجر هذه المناقشات الباحث المصري جورج شحاتة قنواتي في كتابه عن : «مؤلفات ابن رشد» حيث يذكر أن محمود قاسم من أشد أنصار ابن رشد تحمسًا – أراد أن يثبت أن القديس توما الإكويني استقى منه حلوله لعدد كبير من المشكلات الدينية ويلمز – قنواتي – إلى أنه لم يستطع على ما يظهر أن يقنع أمام فلسفة القرون الوسطى آنذاك الأستاذ جيلسون *Gilson* ولعل هذا أعطى لبعض هجومه على توماس الإكويني في كتبه العربية الأولى حدة غير مألوفة عند الفلاسفة (١١) وقبل أن نعرض لموقف محمود قاسم – وهو موقف مهم ومتميز ليس من جيلسون فقط ؛ بل من معظم الكتابات الغربية عن الفلسفة الإسلامية بفروعها المختلفة – ظهر في رده على جيلسون في نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الإكويني في : «نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الإكويني وفي رده على ماسينيون في دراسته عن الحلاج» (١٢) . أقول قبل أن نعرض لهذا الموقف نشير إلى اهتمام قنواتي الأصيل بكتابات جيلسون كما يظهر في دراساته المختلفة ومنها دراسته «الفلسفة وعلم الكلام والتصوف» في تراث الإسلام ج٢ ليبين أن كتاب النفس المنسوب إلى جند يشلب (ق ٦ هـ / ١٢م) يعين بدء دخول آراء ابن سينا في الفكر المسيحي اعتماداً على بحث جيلسون «الأصول الإغريقية العربية المتأثرة بابن سينا عن أرشيف التاريخ والعقائد والآداب في العصورالوسطى مجلد ٤ ، ١٩٢٩ – ١٩٣٠» [ص ١٥١] – وكذلك دراسته «لماذا نقد القديس توما الإكويني القديس أوغسطين» (المجلة نفسها عام ١٩٢٦ – ١٩٢٧) [ص ٦ – ١٢٧] . وفي هذا الإطار المقارن بين اتخاذ رانس سكوت من فلسفة ابن سينا أساسًا بنى عليه أقواله في ما وراء الطبيعة معتمداً على ما كتبه جيلسون عن «ابن سينا ونقطة البداية عند دانز سكوت» . بالمجلد نفسه (مجلد ٣، ١٩٢٧) [ص ٨٠ – ١٤٩] ويعلق المترجمان على إشارته بإيمان ابن رشد بالحقيقة المزدوجة بإرجاعنا إلى كتابات جيلسون : «دراسات فلسفية وسيطة» الفلسفة في العصور الوسطى – طبعة باريس . وتاريخ الفلسفة المسيحية بالإنجليزية – نيويورك ١٩٥٥ (١٣) ولا ندري لماذا يقبل قنواتي تأثير ابن سينا (الإشراقي) على اللاتين ، ويرفض تأثير ابن رشد (العقلاني) عليهم وبالتحديد على الإكويني كما أشار محمود قاسم علينا إذ عرض رأي الأخير في ذلك وبيان موقفه من جيلسون في رأيه في هذه القضية قضية تأثر الإكويني بالفيلسوف العربي .

ب – الموقف النقدي من جيلسون :

يهتم محمود قاسم أستاذ الفلسفة الإسلامية المتميز والحاصل على الدكتوراه من جامعة السربون بتفنيد آراء مؤرخي الفلسفة الغربيين أمثال جيلسون والمستشرقين أمثال ماسينيون تفنيداً علمياً موثقًا حين يناقش آراء هؤلاء في الفلسفة الإسلامية . وهو يحرص في كتابه : «نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند توماس الإكويني» على التأكيد بأن الأخير عرف أهم الكتب الشخصية التي ألفها الأول ، ومن هنا يورد للفيلسوف العربي نصاً يتفق ويتطابق مع نص أورده جيلسون في كتابه عن «التوماوية» يبين وجهة نظر الإكويني بصدد فكرة الخلق (١٤) . لقد ظن جيلسون أن فكرة الخلق المستمر ابتكرها الإكويني الذي يقول عنه إنه رفض أن يسلك مسلك الفلاسفة العرب – وأتباعهم من الغربيين في تجزئة القدرة الإلهية ، ويورد نصوصًا لابن رشد مبينًا أن النصوص التي أوردها

جيلسون ليست إلا صدًى راجعًا إلى محض الصدفة . إن جيلسون أخذ عن الإكويني الذي أخذ عن ابن رشد (١٥) أن جيلسون ذهب إلى القول إن ابن رشد ينكر العناية الإلهية ومن المحتمل أن جيلسون لا يعرف العربية ولا نصوص ابن رشد ، ويؤكد أن الإكويني تبع خطوات ابن رشد إلى أكبر حد في مسائل عديدة أخرى كمشكلة تعدد موضوعات العلم الإلهي . ومشكلة العلم الإلهي ، وفكرة الزمن ، ولم يبتعد عنها كثيرًا في مسألة علم الله للممكنات المستقبلة التي يقترب فيها من ابن سينا (١٦) ويكرر نقده لمؤرخي الفلسفة ، ومنهم جيلسون في عدة صفحات بسبب موقفهم من ابن رشد (١٧) لقد ألف مؤرخو الفلسفة أن ينظروا إلى ابن رشد على أنه أرسطوطاليسيًا أكثر مما يبرره الواقع . وقد بدأوا جميعًا بالقول إن الشارح الأكبر لم تكن له فلسفة خاصة به . ويعرض لرأي جيلسون الذي يربط بين ابن رشد وأرسطو من إنكار العناية الإلهية والعلم الإلهي ، ويلتمس له العذر لعدم اطلاعه على النصوص العربية للفلسفة الإسلامية خاصة النصوص الرشدية فإذا جاء جيلسون ليجمع بين أرسطو وابن رشد ، ويقول إن الشارح الأكبر مقلد أعمى لآراء أستاذه ، فمعنى ذلك أنه يريد تجاهل مذهب فلسفي قائم بنفسه ، وأنه يهدم فلسفة متسقة في جميع أجزائها وأنه يعطي الإكويني كل المجد الذي ليس جديرًا بأن يخلعه عليه ، وربما يكون هذا الرأي بسبب ضيق قنواتي بكتابات محمود قاسم الذي «يرى» أن القول إن ابن رشد ينكر العناية الإلهية معناه أن جيلسون أو غيره يغلق عينيه حتى لا تقع على تلك النصوص العديدة التي يحتوي عليها كتاب «مناهج الأدلة» ومعناه أيضًا أنه يصر على ألا ينظر نظرة محايدة إلى نصوص أخرى (١٨) عديدة لابن رشد .

وتوضح كتابات محمود قاسم في العلاقة بين ابن رشد والإكويني موقفه من جيلسون التوماوي الذي ينحاز إلى فلسفة الإكويني ، وبالتالي فهو غير محايد في دراسته لجهد ابن رشد ، ويعبر قاسم عن موقفه من جيلسون أكبر مؤرخي فلسفة الإكويني في عصرنا في بيان افترائه على ابن رشد - فهو (جيلسون) ينسب إلى فيلسوفنا نظرية لم يقل بها قط ؛ بل ينسب إليه نظرية تتناقض مع النصوص الرشدية الموثوق بها . وحقيقة الأمر - كما يبين قاسم - أن ابن رشد لم يقل قط إن الله يجهل الممكنات المستقبلة أو إنه ليست هناك عناية إلهية - يرى على عكس ما يقرره جيلسون أن هذا الفيلسوف ابتكر نظرية أصيلة سطا عليها توماس الإكويني فيما بعد (١٩) هكذا يحدد قاسم موقفه من الإكويني ومن جيلسون في الوقت نفسه بطريقة حاسمة مغايرة لما نجده عند البعض في مواقفهم العارضة والناقلة عن جيلسون .

وتخطو زينب الخضيري في تعاملها مع جيلسون خطوة أبعد مما سبق حيث لا تكتفي بالاعتماد على كتاباته والنقل منها واستخدامها كمصادر لأبحاثها ؛ بل تدخل معه في حوار حول أحكامه وتحليلاته لعلاقة الفلسفة الإسلامية بالغربية في العصور الوسطى ، ويظهر هذا الحوار على مرحلتين من كتاباتها . الأولى في استخدامها كباحثة في مرحلة الدكتوراه لكتاباته والثانية تلي ذلك في دراستها عن «ابن سينا وتلاميذه اللاتين» ، حيث تبدو أكثر جرأة وثقة مما كانت عليه في «أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى» - وسنعرض لموقفها حسب تطور كتاباتها .

في حديثها وتساؤلها : هل هناك فلسفة إسلامية و«فلسفة مسيحية» أم لا ؟ في كتابها عن «أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى» (٢٠) تعرض لتفرقة جيلسون لما تسميه فلسفة مسيحية وفلسفة يهودية من جهة . ومانسميه فلسفة إسلامية من جهة أخرى [١٠٢] وتعرض رأيه من أن كبار اللاهوتيين المسيحيين المتفلسفين أصبحوا تلاميذ للفلاسفة المسلمين أكثر من كونهم تلاميذ للاهوت المسيحي [١٠٣] ، وتبين أن تعريف جيلسون للفلسفة المدرسية جاء كرد فعل لتعريف بيكافيه ودي وولف فهي عنده تلك الفلسفة التي توفق بين الدين والفلسفة ، وتعرض لنتيجة غريبة بعد بيان رأي جيلسون في قولها «ينتهي جيلسون إلى هذه النتيجة ، وهي أن المسيحية لم تسهم في إثراء التراث الفلسفي للإنسانية» [١٠٩] وتبين متفقة مع جيلسون أن ابن رشد لم يخرج أبدًا في كتاباته عن المفاهيم العقائدية التقليدية للمجتمع الإسلامي بالرغم من أن الوجه الفلسفي للحقيقة كان بالنسبة له هو أعلى نمط من أنماط الحقيقة الإنسانية وتستخدم من مصادرها مع كتابات جيلسون الفرنسية كتاباته بالإنجليزية عن «تاريخ الفلسفة المسيحية» [١٣٠] .

وترى أن جيلسون كان أفضل من عبر عن موقف

توماس الإكويني وجيلسون من المؤمنين بالفلسفة التوماوية إيمانًا شديدًا ، إلا أن هذا لم يمنعه أبدًا من دراستها دراسة موضوعية ، وتعرض لقول «مؤرخ الفلسفة المسيحية العظيم والمتفهم لروحها تفهمًا عميقًا» [١٥٢] . وتذهب مع جيلسون إلى أن موقف توماس الإكويني من أرسطو لم يكن أبدًا هو موقف عالم اللاهوت الخالص ، وأنه ليمكننا الوقوف على نظريته فيما يتعلق بالتوفيق لابد من معرفة رأيه بالنسبة لمصادر المعرفة أو الحقيقة عند كل من الفيلسوف واللاهوتي المتفلسف – وترى مع جيلسون أنه بينما تستنبط الفلسفة براهينها من (ماهيات) الأشياء ، وبالتالي علل الأشياء ذاتها يعتمد اللاهوت على العكس دائمًا في براهينه على العلة الأولى لكل الأشياء أي على الله [١٥٤] وترى مع جيلسون أن فلسفة (الإكويني) لا ترجع إلى كونها مسيحية ؛ بل إلى كونها حقيقية وهي مجهود ضخم من أجل إعادة بناء الفلسفة كما أنه من الجلي أن اتفاقها واللاهوت نتيجة ضرورية لمقتضيات العقل ذاته [١٥٦] .

وترى مع جيلسون في حديثها عن سيجردي برابانت أن الحقيقة الوحيدة هي الحقيقة الدينية إذ إنها الحقيقة المطلقة [١٧٣] فالحقيقة لا يصف بها التأمل الفلسفي فهي فقط ما جاء به الوحي [١٧٤] وتعلق على ما جاء عند جيلسون من أن سيجر لم يغير مجرى مشكلة العلاقة بين الفلسفة والدين ، وترى أن جيلسون انتقائي اعتمد على نص يخدم فكرته ، ولو رجع للنص الذي جاء في «شرح السماء والعالم» والذي ذكره «ماندونييه» لتغير موقفه تمامًا [١٧٥] تتقدم الخضيري هنا خطوات للأمام ، وتناقش جيلسون وتعدل من أحكامه بناء على رجوعها إلى نصوص أخرى أو تقديمها تفسيرًا جديدًا للنصوص نفسها .

وفي عرضها لمشكلة العالم عند الإكويني توضح أولاً عرض القديس توما لحجج القائلين بالقدم [٢٥٢ – ٢٥٣] اعتمادًا على كتاب جيلسون (التوماوية) وأنه بعد أن قدم حجج الفلاسفة على القدم يحاول هدمها [٢٥٤] لقد ذهب إلى أنه لا يمكن البرهنة على قدم العالم فهل حاول البرهنة على حدوث العالم . لقد وقف موقفًا وسطًا بين الرشديين (قدم العالم) وبين الأوغسطينيين (حدوثه) بأن قال بإمكانية بدء العالم من الزمان ، وبإمكانية قدمه أيضًا [٢٥٥] ويعتقد جيلسون أن القديس توما نجح في التوفيق بين المسيحية وبين الأرسطية فيما يتعلق بنظرية العالم ، وهي لا توافق جيلسون على رأيه هذا لأن القديس توما شك بما تقوله المسيحية ، ولم يأت بجديد [٢٥٦] وتتوقف عند فكرة شديدة الخطورة يلفت نظرنا إليها جيلسون ، وإن كان كما تقول يمر عليها بسرعة لا تتناسب مع أهميتها [٢٦٤] وهي أن العدم ليس هو بالقطع عند القديس توما «الرحم الأصلي» الذي خرجت منه كل المخلوقات ؛ لأن الوجود لا يمكن أن يصدر إلا عن الوجود [٢٦٤ – ٢٦٥] .

وحين تتناول علاقة النفس بالبدن عند أرسطو وابن رشد تعرض لرأي جيلسون في نظرية العقل عند أرسطو وعرضه لها ، ولما تثيره من مشكلات بالنسبة لأي فيلسوف مؤمن ، وذلك في صفحات طوال [٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١] وتعرض لتأويل جيلسون لفكر أرسطو ثم تبين اعتراف جيلسون بأن هذا التأويل السليم من رأيه ما هو إلا تأويل ابن رشد الذي يعتمد أساسًا على نصوص الكتاب الثالث من النفس .. وتعرض لرأي الإكويني من النفس وعلاقتها بالبدن اعتمادًا على كتاب «التوماوية» [٣٥٥] وأن اتحادهما وسيلة لتحقيق الكمال المطلق [٣٥٦] وتعتمد عليه صفحات [٣٦٤ ، ٣٦٥] وتبين ما يذهب إليه جيلسون من أن ابن ميمون قال بنظرية في النفس متأثرة بابن رشد أدت به إلى تصور خاص في الخلود [٣٨٩ – ٣٩٠] وهكذا يتضح أنها ورغم اعتمادها على كتابات جيلسون المختلفة ورجوعها إلى مجلته المهمة وكتبه بالإنجليزية والفرنسية ، تحاول مناقشة آراء جيلسون اعتمادًا على إلمامها بنصوص الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد مما جعلها تصحح أو تعدل بعض آراء المؤرخ التوماوي .

وتظهر هذه النزعة النقدية بصورة أوضح في دراستها التالية : «ابن سينا وتلاميذه اللاتين» (٢١) فهي تذكر أثر ترجمة ابن سينا على الفكر اللاتيني ، وأن تأثيره كان واسعًا للغاية وأن تفاوت عمقه من فيلسوف إلى آخر كما جاء لدى جيلسون في «فلسفة ابن سينا وتأثيرها على أوروبا الوسيطة» [٣٠] وتتوقف عند تحليل جيلسون لكتاب «العلل» وتأثر مؤلفه بابن سينا وترجيحه أن يكون (جاند يسالقي) هو مؤلف الكتاب ، وترى أن جيلسون لم يقدم حلاً للغز هذا الكتاب ، وتعارض رأي جيلسون بفرض مقابل وهو أن جاند يسالقي وهو مترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وضع من عنده إضافات توحي بأن صاحبه مسيحي رغبة في التوفيق بين قضاياه والمسيحية [٣٦ – ٣٧] وتبين

اعتماداً على جيلسون في بحثه (مصادر الأوغسطينية السيناوية) أن «العلل» هو توفيق بين الأفلاطونية المحدثة العربية وبين الأفلاطونية المحدثة المسيحية [٤١] .

وتحاول بيان أثر ابن سينا في الفلسفات اللاحقة عليه وانتباه الباحثين لهذا الأثر ، وليس أدل على ذلك من اعتراف جيلسون بذلك في «المصادر اليونانية والعربية للأوغسطينية السيناوية» [٤٢] وتبين أنه في القرن الثالث عشر غلب تأثير ابن سينا على جيوم دوفرني وروجر بيكون، وأظهر ما أطلق عليه جيلسون الأوغسطينية السيناوية [٤٤] وتبين موقف دوفرني من أرسطو ومن ابن سينا ، وأنه بالرغم من هجومه عليه فقد كان يعتقد أنه خير من فسر عالم ما تحت فلك القمر ، وأنه كذلك يستحق لقب المعلم الأول، اعتماداً على جيلسون [٨٦] وتعرض لحياة روجر بيكون في صفحات طوال نقلاً عن جيلسون [٩٧ – ٩٨ – ٩٩] وحديثها عن «ثورة بيكون على فلاسفة ولاهوتيي عصره ، تذكر أنه لم يستطع مثل كل مجدد الاستغناء عن كل عناصر التراث القديم» [١١٢] وفي مقدمة ذلك الاقتناع بأن اللاهوت هو سيد العلوم . وتبين أنه إذا كان جيلسون يرى في مثل هذا القول تناقضاً صارخاً في فكر بيكون : لأنه يدعو للتجريب من جهة ويؤكد سيادة اللاهوت من جهة ثانية فهي ترى أن مثل هذا القول مما يتفق ومنطق مذهب بيكون الذي أراد أن يحتفظ للاهوت بمكانته اللائقة به ومثل هذه المكانة لا تتحقق إلا إذا كانت مضمونة يقينياً أما وسيلة اليقين الإنساني فهي التجريب أو الملاحظة [١١٤] وتبين في حديثها عن نظرية النفس عند جيوم دوفرني أنه أخذها عن ابن سينا ، وأن مفهوم لا مادية النفس هذا سيستمر عند الأوغسطينيين من بداية القرن السادس عشر لسبب بسيط هو أنه يتفق والروح العامة لمذهب أوغسطين . وتبين أن الله يؤدي عند دوفرني دور العقل الفعال السيناوي «كما جاء في جيلسون : لماذا انتقد القديس توما القديس أوغسطين ؟» [١٦٢ – ١٦٣] فالله الذي يمنح المقولات الأولى عن طريق الإشراق على العقل ، والنصوص المقدسة جميعها تؤكد أن المبدأ الذي يضيء نفوسنا إنما هو أسمى من هذا فهو الله ولا أحد غيره [١٦٥] ، وتتساءل هل اعتقد دوفرني أن النشاط الناجم عن الإشراق الإلهي يرجع الفضل فيه لله وحده أم اعتقد أن للإنسان دوراً في عملية الإدراك وترى أن دوفرني طرح على نفسه السؤال نفسه ولكنه لم يهتد إلى حل واضح حاسم [١٦٥] .

٣ - موقف أساتذة الفلسفة الحديثة

ويخطئ من يظن أن جهود جيلسون تقتصر على التاريخ للفلسفة الأوربية في العصر الوسيط فقط ؛ بل هي تتجاوز دراسة فلسفة العصور الوسطى المسيحية وعلاقتها بالفلسفة اليونانية والإسلامية إلى الفلسفة الحديثة وفروعها المختلفة ، وأنه ينطلق من الفلسفة الوسيطة إلى الفلسفة الحديثة ليبين ما في الأخيرة من أصول أسكولائية ، فقد حاول أن يبرهن في رسالته للدكتوره «الحرية عند ديكارت واللاهوت» على أن ديكارت قد تأثر إلى حد بعيد بالأسكولائية «فالعصر الوسيط لم يكن فقيراً (في الفلسفة) وهو المكون للمدنية الحديثة بمفهومها وعلومها» . وفلسفته تساعد على فهم أكمل للفلسفة الحديثة على الأقل لعدة أطروحات رئيسة فيها مثل الكوجيتو الديكارتي (دراسات عن دور الفكر الوسيط في تشكيل المذهب الديكارتي) وهذا أيضاً ما يشير إليه في بداية كتابه «روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط» ومن هنا نجد أساتذة الفلسفة الحديثة قد اعتمدوا عليه ، وأشاروا إليه ، ونقلوا عنه في ترجمتهم وكتاباتهم عن «أبو الفلسفة الحديثة» ديكارت .

يعتمد محمود الخضيري في تعليقاته (٢٢) على ترجمته «مقال في المنهج» على ذكر جهود الشراح السابقين ، وفي مقدمتهم جيلسون حيث يذكره أكثر من ثلاثين مرة في حديثه عما يقصده ديكارت بالتهور والسبق إلى الحكم قبل النظر والجلاء والتمييز [٤٣] ، ومعنى الصورة عنده بوصفها مبدأ وباتحاده مع المادة يتكون جسم طبيعي ويحل في نوع معين [٥٧] ، وفي إشارات ديكارت إلى عدم كفاية العلم الذي تلقاه [٥٩] وفي ترجمته لكلمة شيشرون اللاتينية [٦٩] ويذكر تعليق جيلسون على ضرورة مراجعة الكتب التي درسها ديكارت في مدرسة لافليش [٧٢] وعلى عدد قواعد المقال وقواعد كتاب «قواعد لهداية العقل» [٧٤] ويذكر تعليقاته في صفحات [٧٧ – ٧٨] وفي حديثه عن قاعدة التأليف وتفسير بيير سلفان رجيس للعقل والإرادة اقتبسه جيلسون [٨١] ، ويشير إليه مرتين في صفحة [٩٤] في تعليقه عن استعمال ديكارت الماهية والطبيعة كمترادفين . وتحديد ديكارت للمقصود بالنفس والروح في ردوده على الاعتراضات . وأن ديكارت يقصد بقوله «كلمات المدرسة» اصطلاحات العلماء في العصور

الوسطى التي لم تكن قد هضمتها اللغة الفرنسية [٩٧] ، وفي تعليقه على قول ديكارت أن المركب يدل على تبعية يأتي بتعليق جيلسون «إن أجزاء المركب يعتمد بعضها على البعض الآخر وأن الكل نفسه يعتمد على الأجزاء التي تكونه» [٩٨] ويشير بأن تراجع الدفاع عن ديكارت ضد كانط وجاسندي [١٠٠ - ١٠١] وفي بيانه لأنواع اليقين عند ديكارت يعتمد على تعليق جيلسون [١٠٣ - ١٠٤] ، وينقل تعليقات جيلسون منسوبة إلى صاحبها صفحات [١٠٦ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٢ - ١٢٥ - ١٣١] بأمانة كاملة مثلما يفعل مع كل مصادره الأخرى . وربما يكون الخضيري أو من ذكر جيلسون من الكتاب والباحثين العرب في بداية العقد الثالث حين أخرج فور تخرجه كتاب ديكارت المهم «المقال في المنهج» [١٩٣] .

ويستخدم جميل صليبا - في مقدمة ترجمته للمقال في المنهج (٢٣) وفي ملاحظاته المختلفة - تعليقات جيلسون وإن كان لا يذكر مصادر هذه الملاحظات . والإشارة الوحيدة التي يذكر فيها جيلسون في المقدمة تفصح كثيرًا عن مدى اعتماده على شروحه وتعليقاته الخاصة في عرضه لـ «فلسفة الأخلاق عند ديكارت» حيث يقول : «إننا نلخص هنا ما كتبه جيلسون في مقدمة المقال في المنهج طبعة فرين - باريس ١٩٣٤ [٤٤ وما بعدها] ويشير إلى كتابه *Etudes surle nole L'peusee medivole daus le formation* وفي حديثه عن اليقين عند ديكارت يذكر أنواعه كما جاءت في «مبادئ الفلسفة» وفي تعليق رابيه على كتاب «مقال في المنهج» ولدى جيلسون في تعليقه [٩٨] ويذكر جيلسون أيضًا في آخر تعليقاته من نهاية ترجمته لـ «مقال في المنهج» حيث يلمح ديكارت بطريقة أقرب إلى التصريح بأنه لن يلبي رغبة الدولة إذا هي طلبت منه استخدام علمه لغاية ضريبية . راجع تعليق جيلسون ص ١٣٨ طبعة فيرن [١٣٣] .

ويصفه عثمان أمين ، وهو حجة بين مؤرخي الفلسفة الديكارتية في أيامنا هذه ، بالعبارة السابقة نفسها في كتابه المهم عن ديكارت (٢٤) حيث يعتمد في مقالته : «ديكارت في هولندا» مجلة الميتافيزيقا ١٩٢١ ، على مقارنة ديكارت بجماعة «روزكروا» [٤٣] ويعتمد على المقال نفسه في تعليقه على الاكتشاف الديكارتي من ١٠ نوفمبر ١٦١٩[٤٥ - ٤٦] ويرى أن ما سجله ديكارت في كتابه يعبر عن ذكريات حقيقية . وأن الخطوط الكبرى التي رسمها الفيلسوف في ماضيه هي بالجملة الخطوط التي يستطيع التاريخ أن يجيزها ، واللحظات الحاسمة التي ذكرها هي اللحظات التي تطابق مددًا زمنية ذات أهمية استثنائية متخذًا من تعليق جيلسون على المقال في المنهج مرجعًا يستند إليه في الفصل الخامس من الباب الثاني (نظرات في مقال في المنهج) [١٤٣] وكذلك في حديثه عن «الكوجيتو» الفصل الأول من الباب الثالث (اليقين الأول - وجود النفس) ويبين أنه اكتشاف ديكارتي أصيل ، وديكارت هو الذي اهتدى إلى تلك البداية الرائعة للفلسفة الحديثة معتمدًا على ما جاء من تعليق لجيلسون على المقال بأن «صيغة الكوغيتو أنا أفكر إذن أنا موجود لا توجد بنصها إلا عند ديكارت» [١٥٩] .

ويشير عثمان أمين إلى محاضرات ليفي برول عن ديكارت بالسربون (١٩٠٥ - ١٩٠٦) التي لم تنشر ، والتي أشار إليها المسيو جيلسون في رسالة «الحرية عند ديكارت وعلم اللاهوت - باريس ١٩١٣» [٢٥٨] وكذلك بينت لنا مباحث جيلسون (دراسات في تكوين المذهب الديكارتي) ١٩٣٠ إن ديكارت - وقد تغذى بلبان الفكر الوسيط - عاد إلى وجهة نظر القديس توما فصرح بأن الحقائق المتعلقة بالإيمان يجب أن تكون أول ما نصدق به . ويذكر قول جيلسون : إننا لكي نكون منصفين في أحكامنا على ديكارت يجب علينا حين نورد القاعدة المشهورة قاعدة: «المقال في المنهج» التي تنص على «أن لا نقبل قط شيئًا على أنه حق ما لم يتبين ببداهة العقل أنه كذلك» ؛ وأن نذكر أن فوقها قاعدة أخرى ذكرها في كتاب «مبادئ الفلسفة» حيث - قال فيها «يجب أن نتخذ لنا قاعدة تعصمنا من الزلل ، وهي أن ما أوحى به الله هو اليقين الذي لا يعدله يقين آخر» [٢٦٢] وفي الفصل الثاني من الباب الرابع يناقش التأويلات المختلفة لفلسفته مستعينًا برأي جيلسون [٢٧١] ويرجع إلى طبيعيات ديكارت في «مبادئ الفلسفة» متابعًا جيلسون [٢٢٧] .

ويرى مع جيلسون أن ديكارت على الرغم من الاختلاف بينه وبين فرنسيس بيكون في العقلية يشاركه في الاتجاه العام نحو عصر الآلات والصناعة والطب العلمي [٢٧٢] لقد قصد ديكارت منذ البداية إلى الحكمة وكتب حوالي ١٦٦ رسالة باللاتينية عنوانها : «دراسة العقل المستقيم» ويمكن أن يترجم العنوان - فيما يرى جيلسون

بداية الحكمة [٢٨٩] ويشير عثمان أمين إلى قول جيلسون إن جزءًا كبيرًا من الفلسفة الديكارتية مشتق من مذاهب القرون الوسطى . سواء أكان ذلك بالنقل المباشر أو بطريق «رد الفعل» المقصود اعتمادًا على ما جاء في «دراسات في الدور الذي قام به فكر القرون الوسطى في تكوين مذهب ديكارت» [٢٩٧].

وبالإضافة للجوانب المختلفة من تاريخ الفلسفة اليونانية والأوربية في العصور الوسطى والحديثة عند ديكارت ، فقد عرف الكتاب والباحثون العرب ناحية أخرى في جيلسون ربما تكون خافية على الكثيرين ، وهي ناحية اهتمامه بعلم الجمال فقد ترجم أحمد حمدي محمود دراسته عن «الفوتوغرافيا والجمال» (٢٥) ، في العدد السابع من مجلة ديوجين ، النسخة العربية ، القاهرة مايو ١٩٦٨ - انطلاقًا من تساؤل فلسفي مهم هو هل تعد الفوتوغرافيا فنًا حقًا وبأي معنى ، تلك هي النواحي المختلفة في فلسفة جيلسون التي رجع إليها كتاب العرب المعاصرون والتي تبين موقف كل منهم ليس من جيلسون فقط ، ولكن من دراساته وأحكامه المختلفة على تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية والغربية في العصور الوسطى والتي تظهر أصالة هذه الفلسفة .

الهوامش

١ - بتروبي : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا . ترجمة عبدالرحمن بدوي ، دار النهضة العربية . القاهرة . ج ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

٢ - عبدالرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى . النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦١ .

٣ - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط . دار الكاتب المصري . القاهرة ١٩٤٦ - ص ١١ .

٤ - المصدر السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٢٥٨ .

٥ - علي زيعور : أوغسطين . دار اقرأ . بيروت لبنان ١٩٨٣، ص٥٦.

٦ - إشبين جيلسون : روح الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط . عرض وتعليق إمام عبدالفتاح إمام - دار الثقافة للطباعة والنشر . ط ٢ القاهرة ١٩٨٢ - المقدمة .

٧ - محمد عبدالهادي أبو ريدة : تعليقاته على ترجمة كتاب دي بور - تاريخ الفلسفة في الإسلام - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ص ١٢١ - ١٢٣.

٨ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني : ابن سبعين وفلسفته الصوفية - دار الكتاب اللبناني ٧٣ .

٩ - انظر في ذلك على سبيل المثال كتابات عاطف العراقي والتي يطلق عليها سلسلة العقل والتجديد . تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية ط٤ القاهرة . دار المعارف - ص ١٠٣ - ١٠٤ - الميتافيزيقية في فلسفة ابن طفيل . دار المعارف ط ٠- ١٩٧٩ - ص ١٤ - ٦٦ - ٨٥ - ١٣٧ - ٢٢١ - النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد - دار المعارف ط ٤ - ١٩٧٩ - ص ٧ - ١٠٦ - ٢٨٤ - ٢٨٦ - ٣٠١ - ٣٦٧ - «المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد - دار المعارف ط ٤ - ١٩٨٤ ص ٦٩ - ٨٥ - ٢٠٧ - ٣٠٢ .

١٠- أحمد فؤاد الأهواني : مقدمة تحقيق تلخيص كتاب النفس لابن رشد النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٠ .

١١- الأب جورج شحاته قنواتي - مؤلفات ابن رشد - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المطبعة الحديثة = القاهرة ١٩٧٨ ص٧٢ ويشير في حديثه إلى كتابات جيلسون في البحوث التي كتبت عن ابن رشد باللغات غير العربية فيذكر كتابه عن تاريخ الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ص ٣١٤ ويذكر ما كتبه عن الرشدية اللاتينية عند سيجر البهناني - ٣٤٠ .

١٢- محمود قاسم : ماسينيون والحلاج والقرامطة . مجلة كلية دار العلوم . القاهرة .

١٣- قنواتي : الفلسفة وعلم الكلام والتصوف في شاخت ويوزورث - تراث الإسلام ط ٢ الكويت ص ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٩ .

١٤- محمود قاسم نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الإكويني . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط ٢ ص ٧٦ .

١٥- المصدر السابق ص ١٠٣ - ١٠٤ .

١٦- المصدر نفسه ص ١٢٦ - ١٢٧ .

١٧- المصدر نفسه صفحات ١٧٨ - ١٨٠ - ١٩٨ - ١٩٩ .

١٨- المصدر نفسه ص ١٩٨ - ١٩٩ .

١٩- المصدر نفسه ص ٢٤٢ .

٢٠- زينب الخضيري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى - دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٣.

٢١- زينب الخضيري : ابن سينا وتلاميذه اللاتين - مكتبة الخانجي - القاهرة ط ١ - ص ٨٦ .

٢٢- محمود الخضيري : مقدمته وتعليقاته على ترجمة كتاب ديكارت - المقال في المنهج مطبعة سيركو - القاهرة ط ٢ - ١٩٨٤.

٢٣- جميل صليبا - مقالة الطريقة - لجنة الأونسكو - لترجمة الروائع الإنسانية - بيروت ١٩٥٢ .

٢٤- عثمان أمين : ديكارت ط ٧ مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٦ .

٢٥- إشبين جيلسون : الفوتوغرافيا والجمال - مجلة ديوجين . النسخة العربية العدد ٧ القاهرة . مايو ١٩٦٨ .

المسح الوثائقي

إعداد : جُون أ. فلكْنرْ
جمعية الأرشيفيين الأمريكية

نقله للعربية بتصرف

عبدالرحمن عبدالله الشيخ

مقدمة المترجم

أظن أن هذه الترجمات عن النهج الأمريكي في دراسة الوثائق والأرشيفات والتي رحَّبت بنشرها مجلة **عالم الكتب** الغراء ، قد باتت ضرورية لتطوير أقسام الوثائق في الجامعات العربية التي نشأت في أحضان أساتذة أجلاء اختصاصيين في التاريخ ، فطبعوا بصماتهم النظرية على هذه الأقسام ، ثم توقف الجيل التالي فلم يُضف جديداً ، مما جعل خرِّيجي هذه الأقسام يكادون لا يصلحون لأي ميدان عملي أو نظري ، فلا هم أرشيفيون ، ولا هم مؤرخون . وذلك بعكس النهج الأمريكي الذي سأبسط جانبًا منه في هذه المقدمة الموجزه وأترك لهذا البحث والبحوث الأخرى المترجمة أن تُكمل ما أوجزته هنا . فبعض أقسام الوثائق في الجامعات العربية تقوم بتدريس مقرر «الوثائق العثمانية أو التركية» لطلبة لا يعرفون التركية الحديثة أو التركية بالأحرف العربية . وغني عن القول إن هذه الدراسة لا تتعدى استيعاب بضع صفحات نظرية ليس لها أي مردود عملي ؛ لأن دارسها لن يستطيع فهرسة أو فهم أو تصنيف الوثائق التركية . وبحوث معظم الاختصاصيين في الوثائق لا تتعدى تناول وثيقة واحدة (وثيقة مفردة) يقوم بفهرستها ونشرها ، مع مقدمة تاريخية عرجاء لسبب بسيط وهو أن الوثيقة الواحدة قلّما يمكن الاعتماد عليها وحدها لاستخلاص الحقيقة التاريخية ، ولم نر ، ولم نسمع أن اختصاصياً في الوثائق تناول مجموعة وثائقية متكاملة أو مقسّمًا وثائقيًا على حد التعبير الأمريكي ، والذين فعلوا شيئاً كهذا هم من غير الوثائقيين إذ تناول بعضهم المقسّم الوثائقي في دار الوثائق البريطانية عن حرب سنة ١٩٥٦م مثلاً .

وتخلو أقسام الوثائق العربية من المعامل لدراسة الأحبار وتتبع الخطوط والعلامات المائية ، مما يجعل خريجي أقسام الوثائق لا جدوى منهم في مجالات البحث الجنائي ونسبة الخطوط إلى بلدانها ، أو زمنها ، أو كاتبها .

إننا نجد في هذه الدراسة مسحًا وثائقياً قامت به الأرشيفات الأمريكية عن كل الوثائق المتعلقة بروسيا والاتحاد السوفيتي ، وتشير هذه الدراسة إلى تدريب الطلاب في مختلف التخصصات لممارسة عمليات المسح ، وإجراء اللقاءات interviews تمامًا كما يحدث في العلوم الاجتماعية الأخرى .

وللمسح الوثائقي - كما للمسح الاجتماعي - استبياناته التي تصمّم بطريقة توائم هدفه . فهل يعلم طلاب الوثائق عندنا طريقة تصميم استبيان لجمع معلومات عن الوثائق ؟ إنها دعوة - إذن - لتطوير أقسام الوثائق والأرشيف في المعاهد والجامعات .

إن كل جهدي في هذا البحث هو مجرد عرض للأفكار الواردة في مطبوع جمعية الأرشيفيين الأمريكية عن المسح الوثائقي ، ولمزيد من الفائدة نوجه القارئ المهتم بالنظم الأرشيفية الأمريكية لمطالعة بعض مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ومقال نشر بمجلة عالم الكتب بالمجلد العاشر ، العدد الرابع ، نوفمبر ١٩٨٩م . وعلى الله قصد السبيل .

(١) ماهو المسح الوثائقي ؟

المسح الوثائقي – بمعناه الضيق – هو إجراءات نظامية يستخدمها الأرشيفيون ، ومديرو الوثائق الحكومية وغيرهم – بُغية جمع المعلومات عن الوثائق الحكومية ، والأوراق المخطوطة وغيرها مما هو موجود في مستودعات وأماكن أخرى (غير التي عندهم) . ومعظم القائمين على المسح الوثائقي يعملون كجزء من برامج أرشيفية أوسع (أشمل) لإيجاد (أو لخلق) أدوات بحثية للمساعدة في بناء المجموعات الوثائقية (المتجمّعات) ، ولتحسين حفظ المواد الأرشيفية أو لتحقيق أهداف المكلّفين بالمشروع أو الذين طلبوا القيام به .

وجمع المعلومات في هذه المشروعات يُعد هو الخطوة الأولى ، ونهدف من هذا البحث إلى توضيح أساليب (تقنيات) جمع المعلومات عن الوثائق ، وتوضيح العلاقة بين هذه العملية ، والأهداف الأرشيفية بمعناها الواسع .

ولعملية مسح الوثائق الحكومية تاريخ طويل ، إذ يُقال إن حمورابي الملك البابلي ، أمر بإجراء مسح وثائقي في البلاد التي فتحها . أما اليوم فالمسوح (جمع مسْح) الوثائقية عادة ما تتم كمشروعات خاصة بالهيئات والمؤسسات الأرشيفية . ويتم تمويلها من ميزانياتها ، أما إذا كان المشروع المسحي كبيرًا ويحتاج لمئات الألوف من الدولارات ، فيمكن البحث عن مصادر تمويل أخرى .

ومن أهم المسوح الوثائقية ، مسوح التنظيم الإداري للوثائق الحكومية وهي مسوح تغطي وثائق إدارة أو جهاز حكومي واضح المعالم ، ومعروف الاختصاص تمامًا . وهذا النوع من المسوح تناولته عدة نشرات وكتيبات وبعض مقالات مجلة الأرشيفي الأمريكي بشكل واضح (١) وقد أجري هذا النوع من المسح على ولايات بكاملها ، ومن ذلك مسح نيويورك ، الذي تناول ٥٠,٠٠٠ مقسّم وثائقي .

والنوع الثاني هو مسوح المخازن الوثائقية Re-pository Surveys التي تصف المواد الوثائقية في أكثر من مؤسسة أو هيئة . وقد تم كثير من المسوح من هذا النوع بتمويل فدرالي (مركزي) أو تمويل مشترك . ويركز هذا المسح على المواد في مجالات موضوعية بعينها ، كتاريخ المرأة ، أو البيولوجيا الجزيئية ، أو المواد الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية عن تاريخ روسيا والاتحاد السوفيتي ... إلخ ومعظم هذه المسوح يتمخّض عنها أدلة .

والنوع الثالث هو المسوح غير المخزنية The non-repository Survey وهو أقل الأنواع انتشارًا ، ويهدف إلى حصر الوثائق خارج الرعاية الأرشيفية . ويقوم به الأرشيفيون الذين يفحصون الوثائق في الهيئات والمنظمات الأخرى كمسح ويسكنسون Wisconsin الذي تناول وثائق ٤٠٠٠ شركة .

★ الأغراض :

المسح – حتى ولو كان صغيرًا – عملية معقدة ، لذلك لا بُد من التاكد من جدواه والأسباب التي تدعو للقيام به ، قبل الشروع فيه فعلاً . ومن هذه الأهداف :

١ – زيادة الكفاءة الإدارية
To foster Administrative Effeciency

الاقتصاد والكفاءة في إدارة الوثائق تعدان من الأهداف الأساسية لكل البرامج الأرشيفية . فالمسح الوثائقي هو جزء من عملية جمع البيانات في أية عملية إدارية . فقاعدة البيانات الناتجة عن المسح قد تستخدم أيضًا لتحليل عملية إنتاج الوثائق وظروف التخزين والتكاليف بقصد تطوير التوصيات ، في المجالين الإداري والتشريعي . فالمسح الوثائقي في أية هيئة أو مؤسسة ليس بعيدًا عن تطوير الهيئة أو المؤسسة بشكل عام ، فاتخاذ القرار السليم يعتمد على توافر البيانات التي تحويها الوثائق التي يحويها أرشيف الهيئة .

٢ – مساعدة الباحثين
To aid Reseavchers

تهدف المهنة الأرشيفية إلى تيسير وصول المواد الأرشيفية لطالبيها من خلال نظام فهارس ونظام تسجيل وأدلة وغير ذلك من مُعينات البحث . والمسح الوثائقي لا يفيد فقط بالنسبة للوثائق الموجودة في مخزن (مستودع) بذاته وإنما في مستودعات أخرى ، ويقدم لها وصفًا . كما أن المسوح في مجالات موضوعية (عن روسيا مثلا أو عن عمل المرأة) تفيد الباحثين في مجالاتها فائدة كبرى .

وفيما يلي الحروف الأولى لبعض المسوح المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية لمن يهمه أمرها ، لأنها تطلب عادة بهذه الحروف :

– المسح الوثائقي لتاريخ الإدارة HRS .

– الفهرس الوطني الموحد لمتجمعات الأوراق

المخطوطة NUCMC .

– منشورات ووثائق وأدلة التاريخ الوطني (الأمريكي) NHPRC .

ولاشك أن الباحثين العرب ينظرون بعين الحسد للباحثين الأمريكيين الذين تتوافر لديهم هذه المسوح وتلك الأدلة مما يتيح لهم إلقاء نظرة شاملة على موضوعات بحوثهم قبل الإغراق في تفاصيل أحد العناصر، مما يساعد على الوصول إلى نتائج دقيقة يُبْنى عليها قرار سليم .

٣ – تطوير تخطيط البرامج الأرشيفية :

المعلومات المجموعة بواسطة المسح، يمكن استخدامها في مجالات مختلفة لتخطيط البرنامج الأرشيفي، فالمسح المشار إليه آنفًا (NHPRC) قد كيف برنامج أدلته الجديدة على الأسس التالية : معلومات عن المستودعات الوثائقية ومقتنياتها، مما يساعد على تطوير البرامج الأرشيفية الأمريكية . ومسوح الوثائق الحكومية غالبًا ماتُسْفِر عن التعاون بين المؤسسات الأرشيفية .

٤ – الإسراع ببرنامج تجميع الوثائق :

في حالة شمول المسح لوثائق خارج الأرشيفات التابعة للهيئات أو المصالح أو المعاهد العلمية، فهناك احتمال كبير القيام بعملية جمع الوثائق المهمة لإيداعها في أحد الأرشيفات المشار إليها . وينطبق هذا بشكل خاص على الوثائق المهمة ذات القيمة العلمية أو السياسية أو الأدبية.

٥ – تحسين وسائل حفظ المواد الأرشيفية :

كثير من الوثائق الحكومية القيِّمة في أجهزة الحكومات المحلية، وفي المؤسسات الخاصة ولدى الأفراد – معرَّضة لخطر التلف بسبب ظروف التخزين السيئة، والمسح الوثائقي يكتشف ذلك وينبه له، وهذا في حد ذاته قد يكون أمرًا منبهًا للمسئول عن الوثائق، وقد يدفع لاتخاذ إجراءات أخرى من لَدُن المؤسسة صاحبة الوثائق . وقد يقوم القائمون على المسح بتقديم توصيات، أو قائمة بالإجراءات اللازمة لإنقاذ الوثائق والأوراق المخطوطة .

٦ – التعليم والتدريب :

المسوح الأخيرة التي أجريت في الولايات المتحدة، خاصة في ولايتي ميتشجان وتكساس، أظهرت أهمية الخبرة العملية في مجال المسوح الوثائقية بالنسبة للطلبة الجامعيين، سواء كجزء من دراستهم في مجال التاريخ أو العلوم الأخرى المتصلة به أو كجزء من تدريبهم ليعملوا كأرشيفيين .

(٢) تخطيط المسح الوثائقي

عملية تخطيط المسح الوثائقي تمتد لتشمل كل مراحله بدءًا من وضع فكرته (أي فكرة المشروع المسحي) حتى الوصول إلى نهايته (نتائجه الأخيرة) رغم أن معظم التخطيطات يجب أن توضع وتحدد تفاصيلها قبل البدء في جمع البيانات . فالعملية التخطيطية لاهي خطِّية (أي تسير في خط مستقيم) ولا هي منطقية (أي نظرية)، وإنما عملية تنطوي على تحديد الأهداف، واختيار المناهج أو الطرق التي تؤدي إلى المشروع الفعلي من خلال المتاح من الإمكانات البشرية والمالية .

★ من الذي سيدير المسح الوثائقي ؟

تفرض الأهداف العامة للمسح الوثائقي وتصميمه الشامل أو خطوطه العريضة .. شكل الإشراف عليه ونوعية رعايته أو التحكم فيه . وفي بعض الحالات كما في مشروع المسح الوثائقي لولاية واشنطن، أو مشروع أرشيفات هستون، من الضروري تضافر الجهود المعاونة أو المساعدة لتأمين التنسيق والتعاون .

وبالنسبة للمسوح التي ترعاها مؤسسة واحدة فإن وجود هيئة استشارية (أو مجلس إشراف) قد يؤدي الغرض نفسه (التنسيق والتعاون) إذا كان مُمثلاً فيه أعضاء من المناطق الجغرافية المختلفة، واختصاصيون أكاديميون وأعضاء من الأجهزة الحكومية، وآخرون ممَّن لهم اهتمامات بالمشروع . والمجلس الاستشاري أو مجلس الأشراف أهمية كبيرة فهو يعطي للمشروع قيمة، ويثير اهتمام المجتمع به، كما يعطي المشروع شرعية أو صفة قانونية، ويطمئن أولئك الذين سيسمحون باستخدام أرشيفاتهم أو مجموعاتهم الوثائقية أو الذين سيطلبون اعتمادات مالية . وبالإضافة لهذا فإن الاختيار الموفق لأعضاء المجلس يضيف للمشروع خبرات تقنية (فنية) وإمكانات اتصالات شخصية، وحكمة في اتخاذ القرارات في الوقت المناسب .

ومع أهمية المجلس الاستشاري أو مجلس المشروع فإن وجود شخص واحد يمثل الواجهة وله سلطة اتخاذ القرار النهائي يعد من الأمور الضرورية، فعلى عاتق مدير المشروع تقع مهام التدريب والإشراف على العاملين وتطوير تفاصيل الإجراءات واعتماد الميزانية، والتصرف

حيال الأمور المتغيرة ، إدارة غرفة العمليات أو غرفة تشغيل المشروع . وتختلف الشروط التي يجب توافرها في المدير باختلاف المشروع من حيث صِغَره أو كبره ، وبساطته أو تعقيده ، وبشكل عام يجب أن يكون ملماً بالأسس الأرشيفية والإجراءات المعمول بها في الأرشيفات المختلفة ، وأن يكون لديه خبرة في تنظيم الأرشيفات والوثائق الحكومية ، وأن يكون ملماً بالتفاصيل ، وأن يكون لديه القدرة على رؤية العمل من خلال نتائجه .

ويحتاج المسح الأرشيفي لأشخاص ذوي مهارة في المجالات التخصصية المختلفة ، مثل التحرير ، النشر ، إعداد البيانات ، إدارة الوثائق، الميكروفيلم، وسائل الحفظ ، بالإضافة لتخصصات أكاديمية مختلفة .

فالإكثار من البرامج الأكاديمية لتدريب الأرشيفين قد خلق عدداً كبيراً من الموظفين والعاملين الذين يمكن استخدامهم في مشروعات مسح وثائقية .

فالطالب الذي يحمل درجة الماجستير وحصل في الوقت نفسه على تدريبات أرشيفية يكون لديه الأدوات والمهارات الفنية ، والإمكانات العقلية ليشارك في المشروعات المسحية خاصة إذا أبدى اهتمامات أرشيفية.

والتصميم العام للمشروع المسحي الأرشيفي يكون ناجحًا ويمكن اعتماده ، إذا كان في مقدور أي إنسان - سواء كان لديه خبرة في التعامل مع الأرشيف أو لم يتلق أي تعليم أرشيفي - التعامل معه واستخدامه .

★ **اختيار استراتيجية جمع المعلومات :**

يجمع الماسحون (المسّاحون) Surveyors المعلومات عن الوثائق والأوراق المخطوطة عن طريقين :

١ - قد يعتمدون على أمناء الوثائق أو القيِّمين عليها ، لإمدادهم بالمعلومات .. وعادة مايكون ذلك عن طريق استبيانات مرسلة بالبريد .

٢ - أو أن يرسلوا عاملين ميدانيين (الباحثين في الحقل أو الباحثين الميدانيين field workers) لفحص المواد الوثائقية مباشرة ، وجمع المعلومات منها . وهذه الطريقة الأخيرة لاغنى عنها في حالة المسح الذي يتطلب معلومات مفصلة عن مجموعات وثائقية كبيرة ، وفي حالة المسح الذي يتطلب جهداً كبيراً لايستطيع أمناء المجموعات الوثائقية القيام به بمفردهم . واستخدام الاستبيانات المرسلة بالبريد لايجدي كثيراً بالنسبة للأوراق والوثائق الموجودة خارج الأرشيفات . فعلى سبيل المثال نجد أن القائمين على مسح أطلنطا Atlanta Survey لم يتلقوا إلا ١٠٪ من مجموع المؤسسات التي راسلوها وعددها ٢,٣٦٤ مؤسسة . ومن أهم أسباب عدم تلقي الردود : أمور تتعلق بمدى فهم أغراض المسح، والجهل بظروف المجموعة الوثائقية ، وعدم وضوح الاستبيان ، واقتضاب الخطابات المرسلة .

واستخدام المصطلحات الأرشيفية المعقدة دون تعريفها يؤدي إلى عدم تلقي الاستجابة المطلوبة ، فمصطلحات مثل «records» أي الوثائق الحكومية و «papers» أي الأوراق التاريخية المخطوطة، و «linear feet» أي القدم الخطي أو الطولي، كلها مصطلحات لا يفهمها بمعناها الاصطلاحي غير الأرشيفيين ، وبالتالي فإن استخدامها مع غير الأرشيفين غير ضروري إلا إذا شرحناها أو عبرنا عن مفاهيمها بشكل أبسط . وبعض مسئولي الأرشيفات لايدركون مدى أهمية وثائقهم ومدى فائدتها للباحثين لذلك لا يكونون قادرين على وصف مقتنياتهم بشكل مفيد .

وفي المناسبات ، قد تتعاون عدة مؤسسات أرشيفية لإنتاج دليل مشترك بالمواد الوثائقية التي في حوزتها . ومثال ذلك الدليل التالي :

The Guide to Historical Resources in Milwalkee Area Archives (milwaukee, 1976)

والمطبوع التالي :

The Michigan History Division,s Bibliography of Sources Relating to Women (East lansing , 1975)

فكلا المطبوعين اعتمدا على معلومات جمعتها عدة مؤسسات ، ثم خضعت لعملية تحرير قبل نشرها . وكلا المشروعين استلزما عدة لقاءات وأخذا وقتًا من العاملين في هذه المؤسسات . وكلا المشروعين كان تمويلهما مشتركاً ، أي تولته أكثر من مؤسسة .

واستخدام العاملين في الحقل (العاملين الميدانيين) يتيح جمع بيانات أكثر دقة لأن القائمين على المسح سيستخدمون في هذه الحالة مصطلحات موحدة وتقنيات rechniques واحدة .

★ **اتخاذ القرارات بشأن طبيعة المعلومات المراد تجميعها :**

- ما المواد الوثائقية المطلوبة ؟
- وما المعلومات المراد جمعها عنها أو منها ؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين تهدي القائمين على المسح لاتخاذ القرارات فيما يتعلق بالمسألتين التاليتين :

– من الذي سيقوم بالمسح ؟

– وكيف سيتم ؟

والإلمام بالنظام الإداري الذي يحكم الوثائق الحكومية مسألة أساسية لأنه سيقلل كثيرًا من الصعوبات ، لذلك فهذا الإلمام هو الخطوة المنطقية الأولى إذ سيساعد في إعداد جداول لمجموعات الوثائق المستبعدة أي التي لن يجري البحث فيها . وهذا المسح الإداري أو التنظيمي العام يشمل معرفة المقسمات ، وأماكن الأصول ، ومحتويات الوثائق (مضامينها) ، وأماكن الوثائق ، والوثائق جارية الاستخدام ، والعلاقة بين المقسمات ، وكميات الوثائق ، ويجب أن يغطي المسح كل الوثائق ، الحية Active وغير الحية inactive وذات القيمة الدائمة ، وذات القيمة المؤقتة ، والوثائق المخزونة ، والتي لها استخدام آني in use ، والوثائق الورقية ، والوثائق على وسائل أخرى غير ورقية in other media .

والمسوح المحددة بتاريخ معين (في الفترة من ... إلى ...) وتسمى بالاستبيانات أو المسوح المغلقة closed - ended أيسر من غيرها .

وفيما يلي الحد الأدنى من المعلومات التي يطلبها أي مسح عن الوثيقة المفردة ، أو مجموعة الوثائق :

أ – اسم الشخص أو الهيئة أو الوكالة أو المؤسسة التي أنتجت الوثائق أو الأوراق المخطوطة .

ب – عنوان المقسم series الوثائقي (لا علاقة للفظ series هنا بسلاسل الكتب وهو المصطلح الذي يستخدمه المكتبيون) .

ج – نوع الوثائق ، أو أنواعها .

د – التواريخ الحاصرة (من ... إلى ...) .

هـ – الكمية .

و – مدى إباحة هذه الوثائق للاطلاع (إذا كانت البيانات قد تم جمعها لخدمة الباحثين) .

ومن المفهوم أن الإلمام بتاريخ المؤسسة أو الهيئة التي تتعامل مع وثائقها من الأمور المهمة ، وتشمل هذه الإلمامة التاريخية :

أ – نوع النشاط الذي تمارسه الهيئة أو المؤسسة .

ب – التغيرات والأحداث المهمة التي مرت بها .

ج – بداية نشاطها ، ونهايته (إن كانت قد ألغيت) أو انتقال هذا النشاط إلى مؤسسة أو هيئة أو إدارة أخرى .

بعض المشروعات المسحية تكتفي بجمع البيانات data فقط ، ثم تنظمها في ملفات بنهج بسيط ، يجعلها – أي البيانات – متاحة عند الطلب .

وهناك مشروعات أخرى تجري مزيدًا من التحليلات للبيانات المجموعة بغرض وضع تقرير .

وأخيرًا فإن كثيرًا من المشروعات المسحية تسعى لوضع دليل للمواد الوثائقية موضوع المسح .

والمشروعات المسحية الضخمة جدًا قد تستخدم تقنيات الإعداد الآلي للبيانات automated data processing (ADP) لخزن المعلومات المجموعة وتداولها .

والحاسب الآلي ذو إمكانات هائلة لخزن البيانات وتحديث easy up - data قاعدة البيانات – خاصة بالنسبة للمشروعات المسحية المستمرة . وباستخدام SPINDEX وهو برنامج حاسب آلي طوره الأرشيف القومي الأمريكي National Archives – يمكن تأمين نظام لاستخدام المعلومات والأسماء والموضوعات . واستخدام الحاسب الآلي يهيئ جانبًا من قاعدة المعلومات يمكن نشره كما هو . وبرنامج ADP معقد ومكلف ويتطلب اختصاصيين في إعداد البيانات data Specialist .

والنشر ليس هو الوسيلة الوحيدة لجعل المسح الوثائقي ذي فائدة للباحثين فعلى سبيل المثال نجد أن القائمين على مسح أطلنطا Atlanta Survey ، والقائمين على مسح ويسكونسن Wisconsin قد أتاحوا استخدام البيانات المجمعة لديهم ، لكل من ذهب إلى مؤسساتهم ، وكل من استفسر بالبريد . كما أن القائمين على المشروع المسحي في مجال تاريخ الكيمياء البيولوجية والبيولوجيا الجزيئية يستخدمون الخطابات الإعلامية ، أو الخطابات التي تخبر بأخبار المسح newsletters وغير ذلك من وسائل الاتصال للإعلام عما لديهم ، ويحثون الباحثين على الاتصال المباشر بهم .

قبل نهاية مرحلة التخطيط للمشروع المسحي ، لا بُد من وضع تقرير مفصل يشرح المشروع ويوضح أهميته .

وإن كان ذلك مهمًا على إطلاقه ، فهو أكثر مايكون أهمية للمشروعات التي تتطلب اشتراك أكثر من هيئة أو مؤسسة في عملية المسح ، ففي هذه الحال - نجد أن الفهم المشترك للمشروع وغاياته و وسائل تنفيذه توجد لغة مشتركة بين هذه المؤسسات تساعد على نجاح المشروع .

ولابُد - بشكل عام - أن يحتوي مشروع المسح على عدة عناصر :

أولها : هدف المشروع

أو ما يُراد إنجازه ، وتبيان أهمية أهدافه للقائمين بالمسح وللآخرين الذين سيستفيدون منه ، وأولئك الذين سيمولونه ، ولابد من التركيز على توثيق (إيراد أدلة الإثبات) الفائدة الجارية (الحالية أو العملية) ، وعلاقة المشروع بالبرامج الأخرى وعلاقته بالتاريخ المحلي والتاريخ العام ، والمنح الدراسية والباحثين الأكاديميين والموظفين الحكوميين والعاملين في الأرشيفات .

ثانيها : تقديم خطة عمل Plan of work

تبين كيف ستتحقق أهداف المشروع . وتوجز الخطة والقرارات المتعلقة بالمسئول عن المشروع والعاملين معه ، واستراتيجية جمع المعلومات ، والمصادر التي سيجري المسح عليها ، وخطة الجمع والنشر ، وترتيب الأعمال التي ستتم ترتيبًا زمنيًا (من خلال جدول زمني) . لاحظ أن الخطة التي تنقصها التفاصيل تعد من أكبر العوامل المعوّقة لأي مشروع . ومن التفاصيل المطلوبة :

- المصادر المتاحة للمشروع .
- أسماء الأشخاص ذوي الصلة بالمشروع ودور كل منهم فيه وخلفياتهم العلمية والمهنية وخبراتهم .
- الإمكانات المتاحة للماسحين (استخدام الأدوات كالتلفونات وماكينات التصوير والآلات الكاتبة والأثاث) واستخدام السيارات وغرف الموظفين ... إلخ .

ثالثها : الميزانية

- تحديد الحد الأدنى والحد الأقصى للمبالغ المطلوبة والتي يحتاجها المشروع .
- يراعى أن تكون الميزانية واقعية ، فلا نتعمد تقليلها أملاً في الموافقة على المشروع ، لأن ذلك سيحدث إرباكات فيما بعد ، وألا تكون ضخمة جدًا لأن هذا سيجعل الممولين يحجمون عن التمويل .

(٣) الأعمال المصاحبة للمشروع Getting underway

ثمة خطوات يجرى اتخاذها أثناء مرحلة التخطيط للمشروع ، ويجب أن تنتهي قبل إرسال الاستبيانات بالبريد أو قبل وصول العاملين في الميدان ، ومن بين هذه الأعمال : الإعلان عن المشروع وتحديد الذين سيتم الاتصال بهم ، وتصميم نماذج البحث والاستبيانات وتدريب القائمين على المسح ، وتجريب (أو اختبار) المسح .

★ الإعلان عن المشروع . وتحديد الذين سيتم الاتصال بهم :

التعاون المستمر بين القائمين على المسح الوثائقي وأمناء الوثائق أو القائمين عليها ، يعتمد على الاتصالات .

- الاتصالات المباشرة تكفي إن كانت الهيئات التي يجرى التعامل معها محدودة العدد .
- في حالة تعدد الأفراد والهيئات بشكل كبير يمكن استخدام واحدة أو أكثر من الوسائل التالية :

أ - الخطابات الإخبارية .

ب - الإعلان في الصحف المحلية .

ج - الاتصالات بالجماعة المهنية والعلمية من خلال النقابات والجمعيات .

د - إعلان أمناء المحفوظات في الهيئات المختلفة .

★ إعداد النماذج (الاستمارات)

النموذج المتقن يساعد كثيرًا في تحرير المادة النهائية، وتنظيم نتائج المسح ، ورصد الموجودات الوثائقية . والمسح الوثائقي يشبه المسح الذي تعتمد عليه معظم بحوث العلوم الاجتماعية التي تقوم على الاستبيانات واللقاءات الشخصية . وأهم ما نوصي به أن تكون اللغة المستخدمة مفهومة تمامًا لمن نوجه إليه الاستبيان بمعنى عدم استخدام اصطلاحات غير مفهومة ، أو كلمات لها أكثر من دلالة دون تحديد الدلالة المقصودة وكما في كل المسوح في مجال العلوم الاجتماعية ، لابُد أن يكون المسح الوثائقي واضحًا ، ومصاغًا بشكل جذاب ، ومرتبًا بطريقة منطقية .

ومسح المواد المخطوطة يواجه صعوبات أكثر . كما أن مصطلحات مثل (archival) أو (records) قد تؤدي لبعض التداخل أو الاضطراب ، كما أن مصطلح Manu-scripts (الأوراق المخطوطة) قد يُفسّر تفسيرًا ضيقًا

ليستثني الخرائط الأصلية .

ومن مشكلات سوء الفهم الناتج عن عدم تحديد المصطلحات تعريف وحدة الوصف Unit of de-scription التي يطلبها القائم على المسح . ويلاحظ أن المقسّم الوثائقي records series (لا علاقة لمصطلح Series هنا بالسلاسل التي اصطلح عليها العاملون في مجال المكتبات) هو الوحدة المرغوبة أو المطلوبة لأغراض إدارة الوثائق أو معرفة هيكلها التنظيمي ، ولأغراض المسح الوثائقي أيضًا وفيما يلي بعض العناصر الأساسية التي يعمد القائمون بالمسح على جمعها ، والتي تعد أمورًا أساسية في تصميم المسح وأدواته :

١ - منشئ الوثيقة Author or Creator :

بالنسبة للوثائق الرسمية (الحكومية) أو وثائق الهيئات لا بد من ذكر اسم المؤسسة أو المنظمة ، وأقسامها الفرعية (تشعيباتها الإدارية) . وبالنسبة للوثائق الأخرى (غير الحكومية) يمكن ذكر اسم الفرد أو اسم الأسرة وأحيانًا لايكون اسم الفرد أو الأسرة أو الهيئة غير كافٍ لتوضيح النشاط المذكور في الوثائق ، وفي هذه الحالة يطلب من الموجّه إليه الاستبيان إضافة بعض الجمل الشارحة . (انظر شكل ١ - النص الإنجليزي) .

٢ - العنوان :

معظم المقسّمات الوثائقية لها عنوان واضح على كعوب الملفات ، وفي حالة عدم وجوده يمكن للقائم بالمسح وضع عنوان وصفي بعد فحص الملفات .

٣ - المحتويات

وهو أصعب العناصر لأنه يتوقف على مهارة الباحث أو العاملين الميدانيين ، كما أن ذلك يتوقف على طبيعة الوثائق والوقت المتاح - لكن أهم عناصر المحتويات على أية حال هي وظيفة الوثائق أو هدفها (لماذا نشأت هذه الوثائق ؟) ، ونوع الوثائق (خطابات ، سجلات ، محاضر ، إيصالات ، ...) والذين يتناولون الأوراق المخطوطة قد يضيفون للمحتويات أسماء الأشخاص ، وقوائم بروس الموضوعات التي تتناولها ....

٤ - التواريخ الحاصرة

ونعني بها المدة الزمنية التي تغطيها الوثائق ، ابتداء من .... وانتهاء إلى ....

٥ - كمية الوثائق

سواء بالقدم المكعب أو غيره .

٦ - الظروف المادية

وهو عنصر مهم للمسوح الهادفة لوضع برامج لحفظ الوثائق ، ويستخدم مركز حفظ الوثائق بنيو إنجلند نموذجًا لجمع معلومات فنية عن نوع المادة الوثائقية ، وطريقة التخزين ، التأثيرات التخريبية للأحماض ، أثر الحشرات (العثّة وغيرها ..) ، تأثيرات كيماويات التصوير ... إلخ .

٧ - موقع

(مكان) مستودع الوثائق (يمكن الاستعانة بخريطة) .

٨ - معينات البحث

السجلات ، الكشافات ، التصنيف ... إلخ .

٩ - مدى إباحة الوثائق للاطلاع العام ، والقيود إن وجدت ... إلخ .

★ تدريب القائمين على المسح :

معرفة أهداف المشروع ، ومنهجه أو طريقة إتمامه بتفصيل واضح هو الخطوة الأولى في وضع خطة العاملين في الحقل الميداني للمشروع . ويشتمل برنامج التدريب على : خلفية المتدربين ، ودور كل منهم في المشروع . الإلمام بالتنظيم الإداري للهيئات أو المؤسسات التي سيتعاملون مع وثائقها ، برنامج للوصف الأرشيفي ، الإلمام بكيفية استخدام معينات البحث (الكشافات والسجلات وخلافه) ، دراسة موضوعية لموضوع الوثائق (نشاط المرأة أو الوثائق المتعلقة بروسيا ... إلخ) ،

الجمعية التاريخية لولاية وسكونسن

مسح وثائق العمل

طبيعة العمل أو الخدمات المؤداة : ....

اسم الشركة : ....

العنوان : ....

متى أنشئت شركتك ؟ ....

هل أصدرت شركتك نبذة تاريخية عن تطورها ؟ ....

إن كانت الإجابة بنعم ، فما هو عنوان هذه النبذة ؟ ....

وأين ومتى نشر ؟ ....

أي أنواع وثائق العمل التالية تحتفظ بها الشركة ؟ وما تواريخها التقريبية ؟

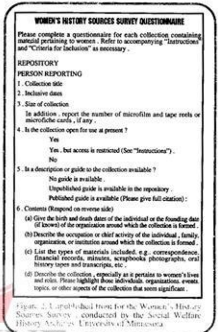
- محاضر اجتماعات الهيئة التنفيذية ....
- محاضر اجتماعات حاملي الأسهم ....
- سجلات سنوية أو أية تقارير سنوية ....
- عقود حرب War Contract (؟) ....
- عقود عمل ....
- براءات اختراع ....
- فهارس أو قوائم أسعار ....
- مراسلات عامة ....
- رسومات هندسية ....
- وثائق مفيدة للأغراض التاريخية ....

نموذج (استمارة) لمسح وثائق العمل / الجمعية التاريخية لولاية وسكنسون /

تدريب على ملء النماذج (الاستمارات) والاستبيانات ، برنامج لاكتساب مهارات في العمل النظامي (المنتظم في أوقات محددة) ، التدريب على إجراء اللقاءات بشكل تلقائي و دون خضوع لإشراف من مسئول المسح ، والتدريب على مواجهة الظروف الصعبة أو غير المتوقعة والتدريب على كيفية استخدام الوسائل السمعية والبصرية .

★ **تجريب المسح** Testing the Survey

وتجريب المسح مسألة معروفة في كل المسوح (جمع مسح) التي يقوم بها الباحثون في مضمار العلوم الاجتماعية ، وقد يؤدي تجريب المسح (أو اختباره) إلى اكتشاف صعوبات في الجمع أو التحرير (أي تحرير النتائج أو الدليل في نهاية المشروع) وقد يؤدي إلى تقرير أكثر دقة للوقت والجهد اللذين يتطلبهما المشروع .

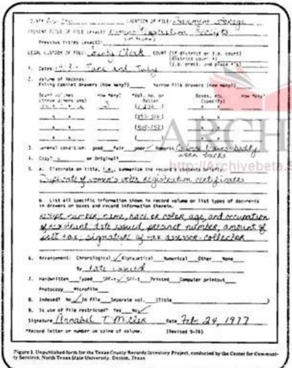


WOMEN'S HISTORY SOURCES SURVEY QUESTIONNAIRE

Please complete a questionnaire for each collection containing material pertaining to women. Refer to accompanying "Instructions" and "Criteria for Inclusion" as necessary.

REPOSITORY
PERSON REPORTING
1. Collection title
2. Inclusive dates
3. Size of collection
In addition, report the number of microfilm and tape reels or microfiche cards, if any.
4. Is the collection open for use at present?
Yes
Yes, but access is restricted (See "Instructions").
No
5. Is a description or guide to the collection available?
No guide is available.
Unpublished guide is available in the repository.
Published guide is available (Please give full citation):
6. Contents (Respond on reverse side)
(a) Give the birth and death dates of the individual or the founding date (if known) of the organization around which the collection is formed.
(b) Describe the occupation or chief activity of the individual, family, organization, or institution around which the collection is formed.
(c) List the types of materials included, e.g., correspondence, financial records, minutes, scrapbooks photographs, oral history tapes and transcripts, etc.
(d) Describe the collection, especially as it pertains to women's lives and roles. Please highlight those individuals, organizations, events, topics, or other aspects of the collection that seem significant.

Figure 2. Unpublished form for the Women's History Sources Survey, conducted by the Social Welfare History Archives, University of Minnesota.



LOCATION OF FILE: Basement storage
PRESENT TITLE OF FILE (exact): Women's Registration Receipts
Previous titles (exact):
LEGAL CUSTODY OF FILE: County Clerk COURT (If district or J.P. court) (district court #) (J.P. prect. and place #'s)
1. Dates:
2. Volume of Records:
Filing cabinet drawers (how many?) Narrow file drawers (how many?)
Bound volumes (three dimensions) How Many? Vol. no. or letter* Boxes, etc. (specify) How Many?
3. General condition: good fair poor ✓ Remarks: badly worn backs
4. Copy? or Original?
5. a. Elaborate on title, i.e., summarize the record's contents briefly.
Duplicate of women's voter registration certificates
b. List all specific information shown in record volume or list types of documents in drawers or boxes and record information therein.
receipt number, name, race or color, age, and occupation of recipient, date issued, precinct number, amount of poll tax, signature of tax assessor-collector
6. Arrangement: Chronological ✓ Alphabetical Numerical Other None
By date issued
7. Handwritten Typed Printed Computer printout
Photocopy Microfilm
8. Indexed? No ✓ In file Separate vol. (Title)
9. Is use of file restricted? Yes No ✓
Signature Annabel T. Miller Date Feb. 24, 1977
*Record letter or number on spine of volume. (Revised 9-76)

Figure 3. Unpublished form for the Texas County Records Inventory Project, conducted by the Center for Community Services, North Texas State University, Denton, Texas.

(٤) إتمام المسح

★ **الاتصال المباشر :**

عند مسح المواد الوثائقية المتناثرة في عدة أماكن أو عدة أرشيفات – فإن إرسال خطابات هي الوسيلة الأولى التي نترقب منها حدوث استجابات .

وفيما يلي الشروط التي يجب توافرها في خطابات طلب المعاونة أو المشاركة في المسح :

١ – أن يكون مقنعًا بمعنى أن يورد أسبابًا عملية للمسح ، وألاّ يكلّف الجهة المرسل إليها كثيرًا من الجهد دون مساعدة أو دون مقابل مادي أو معنوي .

٢ – أن يكون جذابًا ، جيِّد الطباعة ، مكتوبًا على ورقة طباعة في رأسها اسم المؤسسة أو الهيئة المُرسِلَة ، وعنوانها .

٣ – أن يكون مختصرًا ومباشرًا موضحًا الخطوط العريضة لأهداف المشروع ، وأن يعرِّف بالمشرف على المشروع أو المتكفل به .

٤ – أن يذكر بشكل واضح ماهو المطلوب من المُرسَل إليه .

انظر في ذلك نموذج خطاب أرسله معهد كينان للدراسات الروسية المتقدمة ، وقد أوردناه بنصه المترجم من الإنجليزية .

٥ – أن يكون الخطاب متسمًا بروح المودة وأن يركز على التعاون والفوائد المتبادلة ، كما أن إضافة لمسة شخصية تزيد من

تأثير الخطاب ، فتوجيه الخطاب إلى شخص مسئول أفضل من توجيهه باسم الهيئة أو المؤسسة ، وفي هذه الحالة لابد أن يكون الاسم صحيحًا .

وبالنسبة لمسوح (جمع مسح) ولاية أطلنطا ، فقد تم تصميم نماذج استبيانات لكل نوع من المؤسسات التي تراسلها .

وأبسط إجراء يمكن عمله في مجال المسوح عن طريق الاستبيانات هو إرفاقها - أي الاستبيانات - بالخطاب المبدئي . ومن المفهوم أن بعض المسوح أو الاستبيانات قد صُمِّمت بشكل غير مباشر . والخطاب المبدئي في هذه الحالة يقدم المشروع المسحي ، ويوجه - فقط - سؤالاً عمّا إذا كان المرسل إليه لديه مواد ، أو يمكنه أن يكمل النموذج (الاستمارة) أو أن يسمح للعاملين في مجال المسح بدراسة المواد التي بحوزته .

الوسائل المتبعة لتشجيع الردود من المرسلة إليهم :

١ - أن يقترح الماسح (صاحب الاستبيان) تلقى ردًا هاتفيا .

٢ - إرفاق بطاقة بريدية عليها عنوان المرسِل .

٣ - بعد مرور مدة تتراوح بين ٤ و ٦ أسابيع يرسل خطاب متابعة ، أو إجراء اتصال هاتفي ويجب أن يكون خطاب المتابعة (الاستعجال) ودودًا ومختصرًا جدًا .

مركز ويلسون

عزيزي . . . .

أكتب إليكم طالبًا مساعدتكم في مشروع يُعِدُّه مؤخرًا معهد كنان kennan ، لتقديم العَوْن للباحثين والدارسين .

فمنذ عام ، ونحن نقومُ بعمل مسح للأوراق المخطوطة وغيرها من المواد الأرشيفية المتعلقة بروسيا والاتحاد السوفيتي . ويغطي هذا المسح الوثائق الخاصة والجامعية والحكومية والمتعلقة بمختلف الأعمال ، ويشمل ذلك الأوراق الخاصة والمراسلات والميكروفلمات (المصغّرات الفلمية) والأشرطة المسجلة للتاريخ الشفهي وغير ذلك من المواد غير المنشورة المتعلقة بروسيا والاتحاد السوفيتي . ويرعى مكتب (إدارة) الولايات المتحدة للتعليم مشروعنا هذا ، الذي سيظهر في مجلّد منشور .

إنني آمل أن نجمل مسحنا هذا كاملاً بقدر الإمكان ، وسأكون ممتنًا ، إذا أفدتنا بالمواد غير المنشورة المتعلقة بروسيا في مستودع وثائقكم (في أرشيفكم) بملء استمارات البيانات المرفقة . وقد قمنا بملء بعض استمارات البيانات هذه ، بأنفسنا ، وسنرحب بأيّة إضافات أو تصحيحات تجرونها عليها .

وإذا لم يُسعفكم وقتكم لاستكمال استمارات البيانات المخصّصة لكم ، فإننا - مع ذلك - نقدّر أن نسمع منكم عن المواد المتعلقة بروسيا في أرشيفكم .

المخلص

جون . هـ . برون

الباحث المنسّق

للمشروع الأرشيفي

ترجمة خطاب مركز ويلسون - من النص الإنجليزي

★ ***العمل الميداني :***

يعتمد النجاح الميداني للعامل على عدة عوامل منها :

١ - الاتصالات الشخصية الناجحة مع أمناء الوثائق (القيمين عليها أو أصحابها) .

٢ - وهناك عدة عوامل تؤثر في هذه الاتصالات منها : العمر ، الجنس (ذكر أم أنثى) طريقة اللباس ، المظهر الخارجي ، الشخصية .

٣ - يجب أن يقسم فريق العمل (شخصان أو أكثر) تبعات العمل فيما بينهم ، بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، أي أن يقوم كل شخص بما يتناسب مع عمره وجنسه ومظهره وطريقته في الحديث ... إلخ (الأمريكيون عادة يدفعون بالأنثى الجميلة لتبدأ هي الحديث وتعرف بالمشروع إن كان المخاطب رجلاً ، كما أنهم يدفعون بالفحل (أي الرجل) ليقدم المشروع إن كان المخاطب امرأة .

٤ - وسواء كان القائم بالعمل فردًا واحدًا أم فردين ، فيجب أن يكون عمله (أو عملهما) متابعة لخطابات كانت قد أرسلت ، أي أن تسبق الخطابات ، وصول فريق العمل .

٥ - بعض العاملين في الحقل الميداني يفضلون أن تسبقهم إشعارات رسمية خاصة بالنسبة لزيارتهم الأولى - خاصة إذا كانت الزيارة لمستودع (مخزن) وثائق وإذا حدث هذا فلا بد أن يرسل الإشعار قبل وصول العاملين (الباحثين) بمدة كافية . وهناك عاملون (باحثون) آخرون يرون أنه لا ضرورة للإشعار المسبق بوصولهم ، لأن هذا الإشعار - حسب رأيهم - يؤدي إلى نتائج سلبية .

٦ - يجب أن يتصل العاملون في الحقل الميداني مباشرة

صفحة من دليل

John A. Fleckner ... Guide to Historical resources in Milwaukee Area Archives ...

دليل المصادر التاريخية في أرشيفات منطقة ملووكي

وثائق بلدية ملووكي

- ١٢٧ مج تشمل المحاضر والمراسلات الخاصة بلجنة مدرسة المنطقة . . .
- الإشراف ، لجنة الإشراف (الهيئة العليا للإشراف)
  محاضر جلسات من سنة ١٨٣٨ - ١٠ + مج
- الدليل الإرشادي لحكومة المنطقة . . . . ١٩١١ - ١٩٣١ ، ١٩١٣ مفقود ، ١٠ مج .
- أمين صندوق المنطقة
  التقرير السنوي ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ - ١٩١٦ ، ١٩٤٠ ، ٥ مج
- وثائق رسمية ١٨٤٥ - (١٩٠٠ - ١٩٥٣) ١ صندوق يشتمل على مستندات قانونية ، إيصالات ، مراسلات مبدئية من دفع الضرائب

. . . .

. . . .

بأشخاص لديهم من السلطات والصلاحيات، ما يجعلهم قادرين على تقديم المساعدة المطلوبة. كأن يتصل بكاهن الأبرشية وليس براعي الكنيسة إذا كان يقصد أرشيف الكنيسة، وإلى مدير الشركة وليس إلى كاتب فيها.

(والواقع أن هذا أمر مقبول دائمًا في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، لكن الباحث في بلاد العالم الثالث قد يرى - في بعض الأحيان - أن الاتصال بموظف بسيط يمكن أن يحل له كل المشكلات دون اللجوء للمسئول الكبير، ويرجع ذلك إلى أن الموظف الصغير - في بعض دول العالم الثالث - كثيرًا ما يتجاوز اختصاصاته، بل وكثيرًا ما يكون مدعومًا أو مسنودًا من شخص ربما كان أقوى من رئيس المؤسسة التي يعمل بها - ورغم أن هذا يفسد النظام الإداري، إلا أننا في هذا المجال لسنا بصدد نقده، وإنما لتنبيه من سيعملون في مجال مسح الوثائق).

صفحة من دليل

(بإيجاز)

. . . .

١٩ - مستندات البيع وفاء للضرائب ١مج، "١٨ × ١٣" × ٢"

وثائق الممتلكات المباعة وفاء بالضرائب المتأخرة في منطقة بل Bell، توضح صاحب الممتلكات، ووصف الممتلكات، وسبب البيع، اسم الشخص الذي بيعت له، المبلغ الذي بيعت به، تاريخ البيع، تاريخ توقيع موثق العَدْل (الموثق العام أو الكاتب العَدْل)، تاريخ الإدراج في الملف. مرتب زمنيًا وفقًا لتاريخ الإدراج في الملف (ملف الوارد) . . . غير مكشّف.

الرُّهونات والمديونية :

٢٠ - إيصالات الأمانة (سندات برهن عقاري).

نسخ مسجلة من إيصالات الأمانة التي تستخدم كرهونات أو مديونيات على العقارات . . . تبين التاريخ، ومكان التنفيذ (توقيع الحكم)، أسماء الراهنين والمرهونين، وصف الممتلكات، مبلغ التعاقد وشروطه، توقيع الراهن (المدين)، شهادة تعريف . . . . . .

٢١ - تقارير مالية وصورة معتمدة. ١٩٦٦ - جاري ٢٣٠ درج ملفات، ١٠.٥ قدم مكعب.

ملاحظات كتبها كاتب المنطقة (الموظف المسئول) تُفيد أن المدين . . . . . .

كما توضح عنوان المدين واسمه، وتاريخ الـ . . . . . .

المصدر (الدليل نفسه) :

Stewart D.Smith and David W.Jarezewski , Comps : Inyntory of County Records , Bell County County Courthouse , Belton , Texas (Austin : North Texas State University & Texas State Liberary .) 1976 , p. 21 .

٧ - لابُد أن يلم الباحث الميداني بالهيكل العام للمؤسسة التي يزورها وأن يعرف إجراءات المراسلات (الصادر والوارد) بها.

★ ***التقدم بحذر :***

كل ما يجمعه العاملون في الحقل (الميدان) من مخططات وخرائط واستبيانات، ستمكّن الماسح (أو المساح أو القائم بالمسح الوثائقي Surveyor) من أن يقوِّم مدى التقدم في المشروع المسحي. لذلك فكل استبيان أو نموذج مسح (استمارة) يتم تلقّيها لا بُد أن تسجل في السجل الرئيسي أو تُدْرج في الملف (الإضبارة) الرئيسي Master file للعناوين، ولابد أن يكتب موجز عن محتواها مركزًا وشاملاً بقدر الإمكان. وقد يَعِنُّ للماسح (القائم بالمسح) أن يُعيد الاستبيان لاستكمال بعض البيانات، للعامل في الميدان، أو

صفحة من دليل

مصادر تاريخ المرأة

- مكتبة جامعة أوريجوس، المجموعات الخاصة.

كانت نالان باحثة اجتماعية ومدرسة ومؤلفة كتب للشبيبة، تشمل المجموعة مراسلات مع ناشر كتبها صاحب دار رائدم للنشر، ومراسلات مع قرائها

. . . .

- ٤٢٨.١٤ نلسون، ثيرا

أوراق ١٩٣٩ - ١٩٧٢. ٣ قدم

سجل وملحق لدليل منشور

جامعة أوريجون، المكتبة، المجموعات الخاصة

مراسلات شخصية ومهنية، قصاصات، مجلات.

. . . . .

وهكذا.

يعيدها بالبريد، أو يستخدم الهاتف لاستكمالها، أو تصحيح بعض ماجاء فيها. وإجراء مثل هذه الاتصالات بسرعة يزيد من الإحساس بأهمية المشروع.

ولابُد أن يسلم العاملون في الحقل (العاملون الميدانيون) النماذج مستكملة في مدد منتظمة، خاصة في المراحل الأولى للمشروع.

والمراجعة الفورية ستُعجل باكتشاف الأخطاء وتهيئ الفرص لإجراء التعديلات المطلوبة .

وقد يقدم العاملون في الحقل (العاملون الميدانيون) تقارير عن مدى تقدمهم في عملهم .

والمراجعة المتأنية للمسح تتيح اكتشاف الأخطاء . وقيام العاملين الميدانيين بتقديم نماذجهم من موقع المسح يتيح فرصًا أفضل للتصحيح والاستكمال .

BIBLIOGRAHY

Bahmer, Robert H. "Scheduling the Disposition of Records" American Archivist 6 (1943) : 169 - 75 .

Benedon, William. Records Management . Englewood Cliffs, N.J.1969.

Blouin, Francis X. et al. "Surveys of Historical Records" American Archivist 40 (1977) : 305 .

Cross, John W. "Inventorying and Scheduling Records." Records Management Quarterly 7 (1973) : 28-31.

Emmons, Julis Voorhees. "Taking the Man Out of Manuscripts : Atlanta's Pilot Project for the Women's History Sources Survey" Georgia Archive 4 (Winter 1976) : 35-38 .

Evans, Frank B., comp. Modern Archives and Manuscripts : A Select Bibilography. Chicago, 1975 .

-------- "Writings on Records Management : A Select List." American Arhivist 36 (1973) : 367-71 .

Fleckner, John A. "Reaching Out : The Place of Records Surveys in Archival Practice." The Midwestern Archivist 2 (Number 1, 1977) : 14-21 .

Gurr, Steve. "Collecting for Clio : The Perspective of an Historian / Archivist." Georgia Archive 3 (1975) : 30-37 .

Kerlinger, Frederich N. Foundations of Behavioral Research. 2d ed . New York, 1973

Leahy , Emmet J. and Cameron, Christopher A. Modern Records Management . New York, 1956 .

McDonald, William F. Federal Relief Adminstration and the Arts. Columbus, 1969 .

McGowan, Washington (Winn) E. "The Historical Records Survey in Juneau County." the Midwestern Archivist 2 (Number 1, 1977) : 22-40 .

Mitchell, Thornton W. "The Illinois Record Management Survey." American Archivist 20 (1957) : 119- 30 .

Pearson, Mary S., and Laforte, Robert S. "The Eyes of Texas : The Texas County Records Inventory Project." American Archivist 40 (1977) : 179-87 .

Smith, Herman W. Strategies of Social Research : The Methodological Imagination. Englewood Cliffs, N. J., 1975 .

Somers, Dale A.; Crimmins, Timothy J.; and Reed, Merl E. "Surveying the Records of a City : The History of Atlanta Project." American Archivist 36 (1973) : 353 - 59 .

Thomson, Robert P. "The Business Records Survey in Wisconsin." American Archivist 14 (1951) : 249-56 .

Zitmore, Irving. "Planning a Records Management Survey." American Archivist 18 (1955) : 133-40 .

الجداول (القوائم) المساعدة في تصنيف ديوي العشري (ت د ع)

كلية مجتمع إربد للبنات
الأردن

دراسة مقارنة
القسم الثالث : الدراسة المقارنة (١)

تناول القسمان الأول والثاني من هذه الدراسة الملامح العامة والخاصة للجداول المساعدة في تصنيف ديوي العشري والتصنيف العشري العالمي . ويتناول القسم الثالث والأخير أهم نقاط التشابه والاختلاف بين الجداول المساعدة في كلا النظامين . وقد قسمت الدراسة المقارنة إلى قسمين . تركز القسم الأول منها حول أوجه التشابه والاختلاف العامة ، وتركز القسم الثاني حول نقاط التشابه والاختلاف بين القوائم المنهجية المقننة للجداول المساعدة المتناظرة في كلا النظامين ، وهي الجداول التي تتعلق بتقسيمات الشكل والمكان واللغة والعرق والأشخاص .

١ / ١ وجـــود الجـــداول المتناظرة التي تشترك في المفاهيم والوظيفة نفسيهما .

يشترك النظامان في مجموعة من الجداول المساعدة التي تؤدي الوظيفة والمفاهيم نفسيهما مع اختلافات بسيطة هنا وهناك. ويمكن القول بعبارة أخرى إن هذه الجداول هي نفسها الجداول المساعدة الموجودة في ت د ع . ولكن جرى عليها بعض التعديل والتطوير في ت ع ع . ويوضح الجدول رقم (١) مجموعة الجداول المساعدة المتناظرة في النظامين .

ج ١ : التقسيمات الموحدة	ج (J) I المساعدات العامة للشكل (٠٠٠ه)
ج ٢ : المناطق الجغرافية	ج (e) I المساعدات العامة للمكان (1/9)
ج ٥ : الجماعات الجنسية والوطنية والعرقية	ج (g) I المساعدات العامة للجنس والجنسية (=٠٠٠)
ج ٦ : اللغات الفردية	ج (c) I المساعدات العامة للغة 9 =2/ =
ج ٧ : الأشخاص	ج 05 - (k) I الأشخاص والخصائص الشخصية

١ / ٢ اشتمال (ت د ع) على جداول مساعدة لا يوجد لها مثيل في (ت ع ع) واشتمال (ت ع ع) على جداول مساعدة لا يوجد لها مثيل في (ت د ع).

١ / ٢ / ١ يتميز (ت د ع) بوجود جداول مساعدة مستقلة للتقسيمات أو الأشكال الأدبية الموحدة التي يمثلها الجدول المساعد رقم (٣)، وللتقسيمات اللغوية الموحدة التي يمثلها الجدول المساعد رقم (٤). في حين أن التقسيمات الأدبية الموحدة في (ت ع ع) تعد مساعدات خاصة ترد تحت الرقم 82 -1/-9 وتستخدم مع الأرقام / 82 89 التي تمثل الآداب المختلفة. أما التقسيمات اللغوية الموحدة في (ت ع ع) فتعد هي الأخرى مساعدات خاصة ترد تحت الرقم /802] 809]-1/-8، التي تعد قابلة للاستخدام مع جميع اللغات.

١ / ٢ / ٢ وفي المقابل يتميز ت ع ع بوجود جداول مساعدة مستقلة لا مثيل لها في ت د ع، وهذه الجداول هي:

أ - الجدول (R) I المساعدات العامة للزمن "..."

ب - الجدول (i) I المساعدات العامة لوجهات النظر 00.

جـ - الجدول (k)-03 I المساعدات العامة للمواد.

١ / ٣ تضم الجداول المساعدة في (ت ع ع) بالإضافة إلى القوائم المنهجية المقننة علامات وإشارات تستخدم في ربط وتوسيع وتجزيء الموضوعات، وتمثيل المفاهيم المتكررة لها. وتنقسم هذه العلامات إلى قسمين:

أ - العلامات أو الإشارات التي تستخدم كمساعدات عامة في القسم الأول من الجداول المساعدة، وهذه العلامات هي:

- إشارة الجمع + التي تستخدم لربط رقمين أو أكثر غير متتابعين.
- إشارة الشرطة المائلة / التي تستخدم لربط الأرقام المتتابعة.
- إشارة العلامة الشارحة : التي تستخدم لتوضيح العلاقة بين الأرقام.
- إشارة الأقواس المعقوفة [ ] التي تستخدم لحصر الموضوعات أو الأرقام المركبة والمضافة إلى أرقام أخرى.
- إشارة العلامة الشارحة المزدوجة :: التي تستخدم لأغراض الربط الترتيبي بين الأرقام التي تمثل موضوعات مركبة تجمع بين أرقام الجداول الرئيسة ورموز الجداول المساعدة.
- إشارة النجمة * التي تستخدم لأغراض التخصيص، بإضافة رموز من خارج (ت ع ع) إلى أرقام التصنيف.
- إشارة التساوي = التي تستخدم لتمييز اللغات.
- الأقواس الهلالية ( ) التي تستخدم لحصر مساعدات الشكل والمكان والجنس (تستخدم الأقواس الهلالية مع إشارة التساوي لتمييز الأجناس).

ب - العلامات أو الإشارات التي تستخدم كمساعدات خاصة في القسم الثاني من الجداول المساعدة، وهذه العلامات هي:

- الشرطة القصيرة 9 - / 1 -
- الفاصلة العليا '1/'9
- النقطة والصفر 01/.09.

أما الجداول المساعدة في (ت د ع) فلا تضم أي نوع من العلامات أو الإشارات السالفة. وتكتفي باستخدام الأرقام العربية المتبوعة بالشرطة القصيرة كرموز لتقسيماتها.

١ / ٤ تنقسم الجداول المساعدة في (ت ع ع) إلى مساعدات عامة، ومساعدات خاصة، وتنقسم المساعدات العامة بدورها إلى مساعدات عامة مستقلة، ومساعدات عامة غير مستقلة، أما الجداول المساعدة. في (ت د ع)

فجميعها عامة، ولكنها تنقسم من حيث إضافة رموزها إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة إلى فئتين :

أ - فئة تضاف رموزها إلى جميع أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة من المعارف العامة وحتى التاريخ والجغرافيا ، وهذه الجداول هي :

- ج ١ : التقسيمات الموحدة .
- ج٢ : المناطق الجغرافية .
- ج٥ : الجماعات الجنسية والوطنية والعرقية.
- ج٦ : اللغات .
- ج ٧ : الأشخاص .

ب - وفئة لا تضاف رموزها إلاّ لأقسام معينة في الجداول الرئيسة، وهي:

- ج٣ : تقسيمات الأدب . الذي تضاف رموزه إلى قسم الأدب فقط .
- ج٤ : تقسيمات اللغات . الذي تضاف رموزه إلى قسم اللغات فقط .

١ / ٥ لا تستخدم رموز الجداول المساعدة في (ت د ع) بمفردها إطلاقاً ، بمعنى أنه لا يجوز اعتبارها أرقام تصنيف مستقلة؛ بل ينبغي إضافتها دائماً إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة . ولذلك تكون هذه الرموز متبوعة دائماً بالشرطة القصيرة قبل إضافتها ، ولا تحذف إلا عند الإضافة .

أما رموز الجداول المساعدة في (ت ع ع)، فتنقسم من حيث استخدامها إلى فئتين :

أ - فئة يمكن استخدامها بمفردها كأرقام تصنيف مستقلة ، وفي الوقت ذاته يمكن إضافتها إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة ، ويطلق على هذه الفئة المساعدات العامة المستقلة وهي بالتحديد المساعدات العامة للغة ، والشكل ، والمكان ، والجنس ، والزمن .

ب - وفئة لا يجوز استخدامها كأرقام تصنيف مستقلة ؛ بل تضاف دائمًا إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة ، ويطلق على هذه الفئة المساعدات العامة غير المستقلة ، وهي بالتحديد المساعدات العامة للتخصيص، ووجهات النظر ، والمواد ، والأشخاص ، بالإضافة إلى المساعدات الخاصة .

١ / ٦ تضاف رموز الجداول المساعدة في (ت د ع) إلى نهاية أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة دائماً . أما رموز المساعدات العامة المستقلة في (ت ع ع) وهي مساعدات اللغة والشكل والمكان والجنس والزمن ، فيجوز إضافتها في نهاية الرقم ، أو بدايته ، أو وسطه . ولا ينطبق ذلك على المساعدات العامة غير المستقلة أو المساعدات الخاصة .

١ / ٧ تنقسم الجداول المساعدة في (ت د ع) من حيث كيفية إضافتها إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة إلى مجموعتين :

أ - مجموعة الجداول التي تضاف رموزها بناء على تعليمات محددة ترد في الجداول الرئيسة، ولا يجوز إضافتها بدون تعليمات إطلاقًا ، وهذه الجداول هي :

١ - الجدول المساعد رقم (٣) تقسيمات الأدب .
٢ - الجدول المساعد رقم (٤) تقسيمات اللغات .
٣ - الجدول المساعد رقم (٦) اللغات الفردية .

ب - مجموعة الجداول التي تضاف رموزها بتعليمات وبدون تعليمات ، وهذه الجداول هي:

١ - الجدول المساعد رقم (١) التقسيمات الموحدة.
٢ - الجدول المساعد رقم (٢) المناطق الجغرافية ، ويشترط عند إضافة رموز هذا الجدول بدون تعليمات استخدام التقسيم الموحد 09 - من الجدول الأول، ويمثل المعالجة الجغرافية للموضوع.
٣ - الجدول المساعد رقم (٥) الجماعات الجنسية والوطنية والعرقية ، ويشترط عند إضافة رموز هذا الجدول بدون تعليمات استخدام التقسيم الموحد 089 - من الجدول الأول ، ويمثل تاريخ الموضوع ووصفه تبعًا لعلاقته بالجماعات العرقية .

٤ - الجدول المساعد رقم (٧) الأشخاص ، ويشترط عند إضافة رموزه استخدام التقسيم الموحد 088 - من الجدول الأول ، ويمثل تاريخ الموضوع ووصفه تبعًا لعلاقته بفئات معينة من الأشخاص ، وكذلك استخدام التقسيم الموحد 024 - من الجدول الأول ويمثل الأعمال الموجهة لفئة معينة من الأشخاص والمستخدمين .

أما الجداول المساعدة في (ت ع ع) فتنقسم من حيث كيفية إضافة رموزها واستخدامها إلى :

أ - المساعدات العامة المستقلة وغير المستقلة ، وهذه تضاف رموزها بدون تعليمات على الإطلاق . وقد يجد المصنف أحيانًا تعليمات في الجداول الرئيسة والمساعدة تطلب منه استخدام رموز هذه الجداول عند اللزوم .

ب - المساعدات الخاصة ، وهذه كالجداول المساعدة في (ت د ع) لا تضاف ولا تستخدم علاماتها ورموزها إلا بناء على تعليمات محددة ترد في الجداول الرئيسة ، وأحيانًا في المساعدات العامة . وذلك راجع أساسًا إلى خصوصية هذه المساعدات وطبيعتها التي لا تعمل على توسيع الأرقام . كما أنها لا تستخدم الإشارات ذات النهايات الطرفية كالأقواس الهلالية .

إن ارتباط إضافة رموز الجداول المساعدة في (ت دع) بالتعليمات الواردة في الجداول الرئيسة في أغلب الحالات ، يدل على أن الجداول المساعدة في (ت ع ع) تتمتع بمرونة عالية ، إذ لا يتوجب على المصنف مراعاة أية تعليمات أو اعتبارات عند استخدامها .

١ / ٨ تحصر رموز المساعدات العامة المستقلة في (ت ع ع) (باستثناء مساعدات اللغة) بين علامات ذات نهايات طرفية ثنائية هي الأقواس الهلالية وعلامة التنصيص . أما مساعدات اللغة فتتميز بعلامة التساوي = . وفي المقابل لا تحصر رموز الجداول المساعدة المماثلة في (ت د ع) بين أية أقواس ولا تميز بأية علامات ، سوى الشرطة القصيرة التي تحذف عند إضافتها إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة .

ولا شك أن حصر رموز المساعدات العامة المستقلة في (ت ع ع) بين الأقواس الهلالية أو علامات التنصيص يساعد كثيرًا في تمييزها عن الأرقام الأخرى ، ولا يؤدي إلى حدوث أخطاء في عمليات التركيب كما هو الحال في (ت د ع) ، وخاصة عندما يخطئ المصنف في تطبيق التعليمات المتعلقة بإضافة أحد رموز الجداول المساعدة إلى رقم تصنيف معين في الجداول الرئيسة .

ثانيًا : مقارنة خاصة بين القوائم المنهجية المقننة للجداول المساعدة المتناظرة في كل من (ت د ع) و (ت ع ع).

يبدو للوهلة الأول من استعراض التقسيمات الأساسية (الملخصات) للجداول المساعدة المتناظرة في كل من (ت د ع) و (ت ع ع) أن هناك تشابهًا كبيرًا بين هذه الجداول . إلا أن نظرة فاحصة لهذه الجداول تظهر أن هناك اتفاقًا عامًا في التقسيمات الأساسية (مع بعض الاختلافات) وأن هناك اختلافًا كبيرًا في التفاصيل والفروع الثانوية للتقسيمات الأساسية . وحيث إن حصر الاختلافات في مجال التفاصيل بالغ الصعوبة ويحتاج إلى جداول كثيرة تبين الفروق بين هذه التفاصيل ، فسوف يتم التركيز على الاختلافات بين الجداول المساعدة في مجال التقسيمات الأساسية ، مع تدعيم ذلك بجداول تبين أهم نقاط الاتفاق والاختلاف بين هذه الجداول .

٢ / ١ الجدول المساعد رقم١ : التقسيمات الموحدة ، مقابل ، الجدول I (d) المساعدات العامة للشكل .

لمعرفة نقاط الاتفاق والاختلاف بين هذين الجدولين ، لابد من التعرف على التقسيمات الأساسية لكل منهما . ويبين الجدول رقم (٢) هذه التقسيمات .

الجدول رقم (٢)
التقسيمات الأساسية للجدول المساعد رقم (١) والجدول I (d)

ت د ع	ت ع ع
الجدول المساعد رقم (١) التقسيمات الموحدة	الجدول I (d) المساعدات العامة للشكل
01 - الفلسفة والنظريات	(01) البيليوجرافيات
02 - المنوعات والمتفرقات	(02) الكتب بشكل عام
03 - المعاجم والموسوعات	(03) الأعمال المرجعية . المعاجم . الموسوعات
04 - موضوعات خاصة	(04) المواد غير المسلسلة . النشرات . المحاضرات
05 - المطبوعات المسلسلة . الدوريات	(05) المطبوعات المسلسلة . الدوريات
06 - المنظمات والإدارة	(06) منشورات الجمعيات والمنظمات
07 - التعليم والبحث والموضوعات ذات الصلة	(07) الوثائق المخصصة لأغراض التعليم
08 - تاريخ ووصف الموضوعات تبعًا لعلاقته بفئات معينة من الأشخاص .	(08) الأعمال المجمعة (المجموعات) المستنسخات القوائم . المواد الإيضاحية . المنشورات التجارية
09 - المعالجة التاريخية والجغرافية وتراجم الأشخاص	(09) المعالجة التاريخية . المصادر القانونية والتاريخية

يتضح من الجدول السابق أن هناك اتفاقًا بين الجدولين المساعدين على استخدام الرموز 06, 07, 09, 03, 05 لمفاهيم متشابهة هي على الترتيب الأعمال المرجعية كالمعاجم والموسوعات ، والمطبوعات المسلسلة ، والمنظمات والجمعيات ، والتعليم والدراسة ، والمعالجة التاريخية للموضوعات بشكل عام .

كما يتضح أن هناك اختلافًا بين الجدولين المساعدين في استخدام الرموز المتبقية وهي 01, 02, 04, 08 ، إذ إنها تحمل مفاهيم مختلفة تمامًا . كما يتضح أن هناك بعض الاختلاف في الرموز ذات المفاهيم المتشابهة فمثلاً الرمز 03 - في (ت د ع) مخصص مباشرة للمعاجم والموسوعات ، بينما في (ت ع ع) للأعمال المرجعية بصفة عامة بما فيها المعاجم والموسوعات .

والرمز 07 - في (ت د ع) مخصص للتعليم والتعلم ، وللبحث ومناهجه ، في موضوع معين بالإضافة إلى الأغراض الأخرى ذات الصلة بالتعليم والبحث كالمعارض والمقررات الدراسية ، بينما في (ت ع ع) مخصَّص للوثائق المتعلقة أساسًا بالتعليم والتدريس والدراسة والتدريب .

٢ / ٢ الجدول المساعد رقم (٢) المناطق الجغرافية ، مقابل الجدول I (e) المساعدات العامة للمكان (1/9) .

هناك تشابه كبير جداً بين هذين الجدولين ، وخاصة في الرموز من 3 - 9، وتظهر الاختلافات بشكل واضح في المفاهيم التي تمثلها الرموز 1 ، 2 . ويبين الجدول رقم (٣) التقسيمات الأساسية للجدولين

الجدول رقم (٣)

التقسيمات الأساسية للجدول المساعد رقم (٢) ، والجدول المساعد I (e)

ت د ع	ت ع ع
ج ٢ : المناطق الجغرافية	ج I (e) المساعدات العامة للمكان
1 - العالم : المناطق والجهات والأماكن بشكل عام	(1) المكان والفضاء بشكل عام . العالم .
2 - الأشخاص بشكل عام	(2) الجغرافية الطبيعية والمناخية
3 - أماكن العالم القديم	(3) الأماكن في العالم القديم
4-9 - القارات والدول والأماكن في العالم الحديث والوسيط	(4/9) الأماكن في العالم الوسيط والحديث . القارات والدول الحديثة
4 - قارة أوربا ودولها	4 - أوربا ودولها
5 - قارة آسيا ودولها	5 - آسيا ودولها
6 - قارة أفريقيا ودولها	6 - أفريقيا ودولها
7 - قارة أمريكا الشمالية ودولها	7 - أمريكا الشمالية والوسطى
8 - قارة أمريكا الجنوبية ودولها	8 - أمريكا الجنوبية
9 - مناطق العالم الأخرى . والعوالم غير الأرضية وجزر المحيط الهادي	(9) أوقيانوسية . القارة القطبية الشمالية والجنوبية

المساعدين المتعلقين بالمناطق الجغرافية والمكانية .

من خلال الجدول السابق يتضح لنا ذلك التطابق الكبير بين تقسيمات الجدولين وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذا الجدول لم يتعرض للكثير من التعديل والتطوير في ت ع ع .

ويلاحظ أن الجدولين اختلفا في تحديد المفهوم الذي يمثله الرمز 2 ، فبينما هو مخصص في (ت د ع) للأشخاص بغض النظر عن المكان الذي ينتمون إليه أو الموضوعات التي يهتمون بها . نجده يمثل في (ت ع ع) تقسيمات المناطق الطبيعية والمناخية . وهناك اختلافات كبيرة في تفاصل الرمز 1 - التي نجدها موسعة بشكل كبير في (ت ع ع) لدرجة تجعلها مختلفة تمامًا عن تفاصيل الرمز - 1 في (ت د ع) .

٢ / ٣ الجدول المساعد رقم (٥) الجماعات الجنسية والوطنية والعرقية ، مقابل ، الجدول المساعد I (R) المساعدات العامة للجنس والجنسية .

شهد هذا الجدول بعض التعديل والتطوير في (ت ع ع) ، ولعل نظرة على الجدول رقم (٤) تبين ذلك .

الجدول رقم (٤)
التقسيمات الأساسية للجدول رقم (٥) ، والجدول I (R)

ت د ع	ت ع ع
ج ٥ : الجماعات الجنسية والوطنية والعرقية	ج I (R) المساعدات العامة للجنس والجنسية
03-04 الأجناس الرئيسة	(88=/081 =) الشعوب البدائية والنامية والمتقدمة
1 - الأمريكيون الشماليون الأوربيون	(1-81=/5 -1=) الشعوب الاستعمارية والأصلية .
2 - البريطانيون . الإنجليز . الأنجلو – ساكسون	(2 =) الجنس الأبيض عمومًا – الأوربيون
3 - الشعوب الجرمانية . الألمان	(20 =) الإنجليز . الأنجلو – ساكسون
4 - الشعوب اللاتينية الحديثة . الفرنسيون	(3 =) الشعوب الجرمانية
5 - الإيطاليون والرومان	(30 =) الألمان والشعوب الناطقة بالألمانية
6 - الأسبان والبرتغاليون	(4 =) الأجناس الرومانية واللاتينية
7 - الشعوب الإيطالية الأخرى	(40 =) الفرنسيون . الناطقون بالفرنسية
8 - اليونانيون والجماعات الأخرى	(81 =) الشعوب السلافية
9 - الجماعات الجنسية والعرقية الأخرى	(9 =) الأجناس الشرقية والأفريقية والملونة

يلاحظ من الجدول السابق أن هناك توسعًا لمفاهيم الرموز 2 ، 4 في (ت ع ع) بحيث يمثل الرمز 2 الجنس الأبيض عمومًا والأوربيين ، وليس الإنجليز والأنجلو ساكسون فقط كما هو الحال في (ت د ع) . وبحيث يشمل الرمز 4 الأجناس الرومانية واللاتينية ، وليس الشعوب اللاتينية فقط كما هو الحال في (ت د ع) . كما يلاحظ اختفاء الرمز 5 ، 6 ، 7 من الجدول I (R) ؛ لأن الأجناس والشعوب التي تمثلها دمجت في الرمز 4، كما أن الرمز 8 الذي يشغله اليونانيون في (ت دع) تشغله الشعوب السلافية كالروس في (ت ع ع) ولعل الملاحظة المهمة على الجدولين بشكل عام أنهما يعكسان التحيز في كل من (ت د ع) و(ت ع ع) للأجناس والشعوب الغربية والأوربية عمومًا ، وهذا يعني أن مساعدات الجنس والجنسية في (ت ع ع) لم تتخلص من مسألة التحيز والإهمال المتعمد للثقافات والموضوعات المتصلة بالشعوب الأخرى غير الأوربية والأمريكية .

٢ / ٤ الجدول المساعد رقم (٦) اللغات، مقابل، الجدول I (C) المساعدات العامة للغات .

الاختلافات بين هذين الجدولين طفيفة ، سواء في مجال التقسيمات الأساسية أو التفصيلات والفروع الثانوية لهذه التقسيمات . ويبين الجدول رقم (٥) التقسيمات الأساسية لهذين الجدولين .

الجدول رقم (٥)

التقسيمات الأساسية للجدول المساعد رقم (٦) ، والجدول المساعد I (c)

ت د ع	ت ع ع
ج ٦ : اللغات الفردية	ج I (C) المساعدات العامة للغات
2-8 - اللغات الهندوأوروبية	9 =/2 = اللغات الفردية
21 - الإنجليزية	2 = اللغات الغربية عمومًا
3 - اللغات الألمانية	20 = الإنجليزية
31 - الألمانية	3 = اللغات الألمانية
4 - اللغات الرومانية	30 = الألمانية
41 - الفرنسية	4 = اللغات الرومانية عمومًا
5 - اللغات الإيطالية والرومانية	40 = الفرنسية
51 - الإيطالية	50 = الإيطالية
6 - الإسبانية والبرتغالية	60 = الأسبانية
61 - الأسبانية	690 = البرتغالية
69 - البرتغالية	7 = اللغات الكلاسيكية . اللاتينية واليونانية
7 - اللغات الإيطالية الأخرى واللاتينية	81 = اللغات السلافية عمومًا
71 - اللاتينية	9 = اللغات الشرقية والأفريقية والأخرى
8 - اللغات الهلينية	
89 - اليونانية الحديثة	
9 - اللغات الأخرى	

يتضح من الجدول السابق أن الاختلاف الرئيسي بين الجدولين يتمثل في مفهوم الرمز 8 ، فهو في (ت د ع) يمثل اللغات الهلينية (أي اليونانية) ، بينما في (ت ع ع) يمثل اللغات السلافية ، التي تعالج في (ت د ع) ضمن اللغات الأخرى في الرمز 9 - .

وكما هو الحال في الجدول المساعد رقم (٥) ، ونظيره الجدول المساعد I (R) ، يظهر بشكل واضح مدى التحيز في الجدولين رقم (٦) ونظيره I (c) للغات الغربية عمومًا وإهمال اللغات الأخرى التي حشرت جميعًا في الرمز 9 - في كلا الجدولين . وهذا بدوره يبين مدى الترابط بين الجدولين المساعدين ٥ ، ٦ ونظيريهما I (R) و I (c) ، حيث إن جدولي الجماعات العرقية والوطنية مبنيان أساسًا على جدولي اللغات في كل من (ت د ع) و (ت ع ع) .

٢ / ٥ الجدول المساعد رقم (٧) الأشخاص ، مقابل ، الجدول 05 - I (k) المساعدات العامة للأشخاص والخصائص الشخصية

هناك تشابه واضح في تسمية الجدولين رقم ٧ ونظيره 05 - I (k) غير أن هذا التشابه لا يعني أن وجود اختلافات جوهرية عميقة بين الجدولين ، سواء في مجال التقسيمات الأساسية ، أو في مجال الفروع والتفصيلات . وهذا يعني أن تعديلاً أساسيًا طرأ على جدول تقسيمات الأشخاص في (ت ع ع) ، مما يجعله مختلفًا عنه جملة وتفصيلاً . ويبين الجدول رقم (٦) التقسيمات الأساسية للجدولين .

الجدول رقم (٦)
التقسيمات الأساسية للجدول المساعد رقم (٧) ، والجدول المساعد 05 - I (k)

ت د ع	ت ع ع
ج ٧ : الأشخاص	ج 05 - I (K) المساعدات العامة للأشخاص والخصائص الشخصية
09 -01 الأشخاص حسب الخصائص غير المهنية. 1 - الأشخاص العاملون في حقل الفلسفة وعلم النفس 2 - الأشخاص العاملون في حقل الديانات 3 - الأشخاص العاملون في حقل العلوم الاجتماعية 4 - الأشخاص العاملون في حقل اللغات 5 - الأشخاص العاملون في حقل العلوم الطبيعية 6 - الأشخاص العاملون في حقل العلوم التطبيقية والتكنولوجيا 7 - الأشخاص العاملون في حقل الفنون 8 - الأشخاص العاملون في حقل الأدب 9 - الأشخاص العاملون في حقل التاريخ والجغرافيا	05 - الأشخاص المعنيون . الخصائص الشخصية 051 - الأشخاص كمنفذين وممارسين 052 - الأشخاص كأهداف وزبائن ومستفيدين 053 - الأشخاص حسب العمر والمجموعات العمرية 054 - الأشخاص حسب الخصائص العرقية والجنسيّة 055 - الأشخاص حسب خصائص الجنس (ذكر/أنثى) والقرابة 056 - الأشخاص حسب بنية الجسم وصحته ، وحسب الاتجاهات والوراثة والسمات الأخرى 057 - الأشخاص حسب الوظيفة والتخصص والتعليم 058 - الأشخاص حسب الطبقة الاجتماعية والوضع الاجتماعي

يلاحظ من الجدول السابق أن الجدول المساعد رقم ٧ في (ت د ع) يميز بين نوعين من الأشخاص هما :

أ - الأشخاص حسب الخصائص غير المهنية كالعمر والجنس والحالة الاجتماعية.

ب - الأشخاص حسب الوظيفة أو التخصص أو مجال النشاط .

وقد شغل الأشخاص الذين ينتمون إلى الفئة الثانية معظم الأرقام الرئيسة في الجدول 9-1 ، بحيث قسموا تقسيمًا موضوعيًا يشبه تقسيم الموضوعات في (ت د ع). أما الأشخاص الذين ينتمون إلى الفئة الأولى فقد شغلوا الرموز 09 - 01 مع تقسيمهم حسب الخصائص غير المهنية.

أما الجدول المساعد 05 - I (k) في (ت ع ع) فيعتمد على تقسيم الأشخاص تقسيمًا يعتمد على خصائص متعددة كالعمر والعرق والجنس (ذكر / أنثى) والوظيفة والتخصص والوضع الاجتماعي ... إلخ ، وذلك بشكل متكافئ وبدون التركيز على خصائص دون الأخرى . وهذا يعني أنه تم إعادة بناء جدول الأشخاص في (ت ع ع) على أسس جديدة تختلف عن الأسس التي بني عليها جدول الأشخاص في (ت د ع) .

الهوامش

(١) تعتمد هذه الدراسة في المقارنة العامة والخاصة بين الجداول المساعدة المتناظرة في كل من (ت د ع) و(ت ع ع) على الطبعة العشرين من تصنيف ديوي العشري الصادرة عام ١٩٨٩ . والطبعة الدولية المتوسطة (الطبعة الإنجليزية الثالثة المتوسطة) الصادرة باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٥ . وقد تم الإشارة إلى هاتين الطبعتين في مراجع وهوامش القسم الأول من هذه الدراسة .

كتاب اللُّمَعَة في صَنْعَةِ الشِّعْر لأبي البركات

عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)

أيمن محمّد ميدان

مدرس الأدب العربي المساعد

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

كثيرة تلك الكتب والمصنفات التي ألفها علماء العربية قديماً مُتَّخذةً من صَنْعَةِ الشعر مركزاً لها ونقطة انطلاق ، مترجمة موقفهم من الشعر وصنعته ، فالشعر – في عرفهم – صَنْعَةٌ تستلزم جهداً وخبرة وثقافة واسعة متنوعة لتستقيم قناته ويحكم بنيانُه ، وعِلْمٌ لا يقتصر نظمه على الموهبة وحدها فحسب ؛ بل يجب أن تردف تلك الموهبة بما يصقلها ويهذبها.

من هذه الكتب وتلك المصنفات : كتاب صناعة الشعر لأبي الهفا المَهْرَمِيّ (ت ١٩٥هـ)، وقواعد الشعر لثعلب (٢٩١هـ) ، وصناعة الشعر لأبي زيد البلخي (٣٢٢هـ) وعيار الشعر لابن طباطبا (٣٢٢هـ) ونقد الشعر لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) وصَنْعَة الشعر للسيرافي (٣٦٨هـ) وصناعة الشعر للخالع (٣٨٠هـ) وحلية المحاضرة للحاتمي (٣٨٨هـ) والصناعتين لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) والممتع في صنعة الشعر لعبدالكريم النهشلي والعمدة لابن رشيق (٤٥٦هـ) ... إلخ.

ترجمة أبي البركات (١)

مؤلف اللمعة في صَنْعَةِ الشعر هو أبو البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري ، الملقب بكمال الدين النحوي ، ولد بالأنبار عام ٥١٣هـ ، وإليها ينتسب ، سمع من أبيه بالأنبار ، ثم أخذ عن ابن الشجري بعد أن انتقل إلى بغداد ، كما أخذ عن ابن الرزاز الفقه على مذهب الإمام الشافعي ، واللغة والأدب عن أبي منصور الجواليقي .

وتزهّد أبو البركات في أخريات زمانه ، ولزم بيته يقرأ ويتعبّد ، ولم يزل على حاله تلك حتى أدركته المنية ببغداد في شعبان عام ٥٧٧هـ .

توثيق نسبة الكتاب

نصّ عددٌ غير قليل من علماء العربية على نسبة كتاب (اللُّمَعة في صَنْعَةِ الشعر) لأبي البركات الأنباري ، من هؤلاء : السيوطي في بغية الوعاة ٢ / ٨٧ ، والصفدي في الوافي بالوفيات ٦ : ١ / ٧٣ ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ١٥٦٥ ، وميرزا الخوانساري في روضات الجنات ٤٢٦ ... إلخ.

هذا إلى جانب إشارة أبي البركات الأنباري ذاته في كتابنا هذا في معرض حديثه عن التضمين ، بأنه ناقش الضرب الثاني من التضمين الذي لا يدخل في صَنْعَة الشعر في كتابه الموجز في علم القوافي ، وبالعودة إلى كتاب الموجز في علم القوافي لأبي البركات الذي نشره الأستاذ عبدالهادي هاشم في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٦م وجدنا أنه ناقش هذا الضرب من التضمين مناقشة واعية بوصفه عَيْبًا من عيوب الشعر .

الأصول الخطية للكتاب

لكتاب (اللمعة في صَنْعَةِ الشعر) – فيما نعلم –

أصلان خطيّان ، هاكم وصفهما :

أ – نسخة بمكتبة سليم أغا بتركيا ، ورقمها ١٠٧٤ ، وهي عبارة عن مجموع يغطي كتابنا منه أربع ورقات (٩٦–٩٧) ، في الصفحة قرابة تسعة عشر سطرًا . في كل سطر اثنتا عشرة كلمة في الغالب .

والنسخة مكتوبة بخط نسخي واضح ، تسهل قراءته، مشكول شكلاً تامًا تقريبًا ، لا يعوّل عليه كثيرًا ؛ لما شابه من أخطاء ، هذا وقد اعتاد الناسخ أن يصل في كتابه بين صدر البيت وعجزه غالبًا ، وكثر ما عمد إلى تسهيل الهمزة، من مثل : (قايلاً) بدلاً من (قائلاً) ، و(قوايمه) بدلاً من (قوائمه) .... إلخ .

وقد جاء في صفحة العنوان : «كتاب اللُّمْعَة في صَنْعَة الشعر ، صنعة الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي ، قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه» .

وختمت هذه النسخة بما يلي : «تمّت اللمعة ، والحمدلله رب العالم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ... ووقع الفراغ من نسخها ثالث شوّال سنة تسع عشر وستمائة . غفر الله لكاتبها إسماعيل بن خويدار البزاز الاسعردي ولوالديه ، ولجميع المسلمين» .

ب – نسخة كائنة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول تحت رقم ٢٧٢٩ ، وهي أيضًا ضمن مجموع نفيس ، وتقع في قدر عشر صفحات ، بما فيها صفحة العنوان وتغطي الأوراق من (١٠٨ – ١٠٩) ، كتبت بخط فارسي واضح قليل الشكل، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجري، حسب ما يعرف من المجموع الذي يضمها ، وليس في نهايتها ما يدل على اسم ناسخها وتاريخ النسخ، هذا وقد وضع الناسخ على هامش كل صفحة صفحتين من النص.

جاء في صفحة العنوان : «كتاب اللمعة في صَنْعَة الشعر ، صنعة الشيخ الأجل ، السيد الأوحد ، العالم الزاهد ، كمال الدين ، جمال الإسلام ، معين الأمة ، ناصر السنة ، عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي» ، وجاء في آخرها : «والحمدلله وحده ، والصلاة على محمد عبده» .

وبمقابلة هاتين النسختين الخطيتين نكتشف أن ثمّة فروقًا غير قليلة بين النسختين ، على أن أهم هذه الفروق ما يلاحظ من اختلاف بين النسختين في إيراد بعض الشواهد ؛ فشاهد الإيغال في نسخة سليم أغا هو قول امرئ القيس :

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسًا
لدى وكرها العُنّاب والحشف البالي (٢)

وشاهده في نسخة أحمد الثالث قول زهير :

كأن فتات العِهْن في كل منزل
نَزَلْنَ في حَبّ الفنا لم يُحَطَّمِ (٣)

وشاهد الاستطراد في نسخة سليم أغا قول المنخّل اليشكري :

إن كنتِ عاذلتي فسيري
نحو العراق ولا تحوري (٤)

وشاهده في نسخة أحمد الثالث قول حاتم الطائي :

إن كنتِ كارهة لعيشتنا
هاتا فَحُلّي في بني بَدْرِ (٥)

منهج الكتاب

إن نظرة ثاقبة بين صحائف كتاب «اللُّمْعَة في صَنْعَة الشعر» لأبي البركات لتؤكد على أن الإيجاز يُعَدُّ أهم سمات المنهج لديه ، وهذا ما أشار إليه أبو البركات نفسه في بداية كتابه ، حيث قال : « ... وبعد فهذه لُمْعَة في صَنْعَة الشعر ، ومعرفة فنونه ، معرّاة عن الإطناب ، مجردة عن الإسهاب ..» ، وعليه فقد جاء الكتاب بلا مقدمة تكشف النقاب لنا عن دواعي لجوء أبي البركات إلى هذا النمط من أنماط التأليف ، والمنهج الذي آثر اتباعه دون غيره من المناهج .

على أنني أسارع فأقرر أنه لا يخفى على القارئ الواعي أن ثمّة دوافع تربوية وتعليمية سوّلت لأبي البركات اتباع هذا النمط من الإيجاز ، تتمثل في تيسير حفظه على الناشئة في طلب صَنْعَة الشعر ، والراغبين في نظمه .

ولم يقف الإيجاز عند هذا الحدّ ، بل كثر ما تعدّاه إلى ذكر اللون البلاغي وإيراد شاهده ، دون تعريف لهذا اللون البلاغي أو ذاك ، ودون تحديد موضع الشاهد في البيت المستشهد به ، الأمر الذي شكّل شيئًا من العسر في تَبَيُّن الوجه المراد من الشاهد ، من ذلك – مثلاً – قوله :

« ... ومنها : التصحيف ، وهو كقول الشاعر (٦) .

فلم يَكُنِ المُغْتَرُّ بالله إذْ سَرَى
ليُعْجِزَ والمُعْتَزُّ بالله طالبه (٧)

ومنها الغُلُوّ ، كقول الشاعر (٨)

هذا الذي تعرف البطحاءُ وَطْأتَهُ
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ

يكادُ يُمْسِكُهُ عرفانَ راحته
ركنُ الحطيم إذا ما جاء يَسْتَلِمُ (٩)

وثمّة إيجاز أيضًا في إيراد الشواهد ، فأبو البركات يقتصر على التمثيل لكل لون بلاغي بمثال واحد ، وقد يكتفي من الشاهد بإيراد صدره ، من ذلك قوله :

«ومنها التسميط ... كقول الشاعر (١٠)

مكرٍّ مفرٍّ مُقْبلٍ مُدْبرٍ مَعًا ....» (١١)

وقوله : «ومنها المُوَارَدَة ، وهو أن يوافق قولُ شاعر قولَ شاعر آخر في اللفظ والمعنى ، من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر ؛ كموافقة قول طرفة قول امرئ القيس في قولهما :

وقوفًا بها صحبي على مَطيهم ..... (١٢)» .

* دعّم أبو البركات الأنباري كل لون بلاغي من الألوان الستة والأربعين التي رصدها بالشواهد الشعرية ، التي جاءت غفلاً من النسبة إلى قائليها ، اللهم إلاّ في مواضع ثلاثة جاءت منسوبة لقائليها ، للخنساء شاهدان على كلٍّ من لوني الترصيع ، وبراعة الاستهلال . ولعُتْبان الحَروريّ شاهد على الموازبة .

والقارئ للشواهد الشعرية التي أوردها أبو البركات في ثنايا كتابه بعد نسبتها لقائليها يجدها تعكس تنوعًا واسع النطاق ، إذ جمعت بين الجاهلي والمخضرم والأموي والعباسي ؛ فقد استشهد بأشعار كل من : ابن ميّادة ، وأبي تمّام ، وأبي صعرة البولاني وأبي العتاهية وأبي نواس والأحوص والأشتر النخعي وامرئ القيس وأوس بن حجر وأوس بن مغراء ، والبحتري ، وبشار ، وجرير ، وجعدة ابن معاوية العقيلي ، وحاتم الطائي ، والحَكَم الخُضْري ، والخنساء ، وربيعة بن مقروم الضبّي ، وزهير ابن أبي سُلْمَى وزياد بن حمل التميمي ، والسموأل بن عادياء ، والشماخ بن ضرار ، والصِّمَّة القُشيري ، وطرفة ابن العبد وطفيل الغنوي ، والعباس بن قطن الهلالي وعبدالملك الحارثي وعتبان الحروري وعدي بن الرقاع والعرجي وعروة ابن الورد وعروة الدوسي وعمرو بن كلثوم ، والفرزدق ، وقعنب بن ضمرة ، وكثير عزّة وكثير السهمي وكعب بن زهير ، ومالك بن أسماء الفزاري ومحمد بن وُهَيْب الحميري والمرار الفقعسي ومروان بن أبي حفصة ومعن بن أوس والمنخل اليشكري ، والنابغة الجعدي والنابغة الذبياني ونُصَيْب بن رياح ، وهند بنت النعمان ، ووجيهة بنت أوس الضبيّة ، ويزيد بن الطثْرية .

يضاف لما سبق أن أكثر هذه الشواهد التي أوردها أبو البركات الأنباري ليست – في الغالب – من الشواهد التي شاعت فيما ألّفه بلاغيو العربيّة من كتب اتخذت من صناعة الشعر وفنونه ميدانًا لها ونقطة انطلاق .

هذا وقد استشهد في موضع واحد بالقرآن الكريم ، وذلك في معرض حديثه عن المجانسة ، حيث استشهد بقوله عزّ وجلّ في سورة البقرة آية ١٩٤ ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ، بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

* كثر ما يتفق ما أطلقه أبو البركات على الألوان البلاغية الستة والأربعين من أسماء مع تلك التي يطلقها عليها غيره من العلماء الذين تناولوا في مؤلفاتهم هذه الألوان ، من ذلك : الاستعارة ، حيث سميت بذلك في الصناعتين ٢٠٥ والعمدة ١ / ٢٦٨ . والبديع في نقد الشعر ٤١ والمثل السائر ٢ / ٧٠ وتحرير التحبير ٩٧ وأنوار الربيع ١ / ٢٨٨ ونهاية الأرب ٧ / ٤٩ والكافي في العروض والقوافي ١٧٤ .

على أن ثمّة بعض أسماء الألوان البديعية اختلفت عمّا ورد في مؤلفات بعض البلاغيين الآخرين ، من ذلك – مثلاً – المطابقة حيث عرّفها أبو البركات بقوله : «وهي على ضربين : ذكر المعنى وضده ، وردّ آخر الكلام على أوله» . وهي كذلك في العمدة ٢ / ٥١ والصناعتين ٢٣٨ ، على حين أطلق عليها (التناسب بين المعاني) في المثل السائر ١٤٣/٣ ، وأطلق عليها (التطبيق) في : البديع في نقد الشعر ٣٦ وتحرير التحبير ١١١ ، ونهاية الأرب ٧ / ٩٨ وأنوار الربيع ٢١/٢ والكافي في العروض والقوافي ١٧٠ .

* وآخر ملامح منهج أبي البركات في كتابه هذا يتمثل في حرصه على الاقتصار على هذا الجانب من جوانب صَنْعَةِ الشعر دون سواه ، فإذا عرض له شيء لا يندرج تحت هذا الجانب نأى عنه ، وأحالنا إلى مصدر آخر يمكن الرجوع إليه ، من ذلك – مثلاً – قوله :

«ومنها التضمين ، وهو أن لا يتم معنى البيت إلا بالذي بعده ، وهو على ضربين ، أحدهما يدخل في صَنْعَةِ الشعر ؛ كقول الشاعر (١٣) :

أقول لصاحبي والعيسُ تَهْوِي
بنا بين المُنيفةِ فالضِّمَارِ

تَمَتَّعْ من شـميم عَرارِ نَجْدٍ
فما بعـد العشيَّة مـن عَرارِ

والثاني لا يدخل في صَنْعَة الشعر ، وهو أن تتعلق قافية البيت الأول بالذي بعده ، وهو عَيْبٌ من عيوب الشعر، وقد بَيَّنَّاه في كتابنا الموجز في علم القوافي» . وبإذن الله سوف يصدر - قريبًا - كتابنا هذا بتحقيق الدكتور صلاح الدين الهادي .

نقد نشرة الكتاب

هذا وقد سبق لكتاب (اللمعة في صَنْعَة الشعر) لأبي البركات الأنباري أن نُشِرَ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٥م (مجلد ٣٠ / ٥٩٠ - ٦٠٧) بعناية عبدالهادي هاشم ، والقارئ لهذه النشرة سوف يلمس أنها محدودة الجدوى ؛ إذ ينقصها تخريج الشواهد ونسبتها لقائليها وتبديد ما اعتراها من غموض ، والترجمة للأعلام ، هذا إلى جانب عدم تتبع موقف البلاغيين والنقاد من هذا اللون البديعي أو ذاك .

يضاف - لما سبق - شيء من الخطأ والوهم في قراءة الأصل الخطي ، من ذلك - مثلاً - قوله : «ومنها الموازنة : وهي أن تكون أوزان الكلام متساوية ..» على حين وردت كلمة (متعادلة) بدلاً من (متساوية) في الأصل الخطي للكتاب .

هذا وقد تصرَّف الناشر في النص بالتبديل والتغيير، من ذلك إيثاره رواية ديوان الخنساء على تلك الرواية التي وردت في الأصلين الخطيين (١٤) ، وكان عليه أن يترك رواية الأنباري كما هي ، وينص على رواية الديوان في الهامش .

كانت تلك قراءة سريعة لكتاب (اللُّمْعَة في صَنْعَة الشعر) لأبي البركات الأنباري سلطنا الضوء من خلالها على أبي البركات الأنباري وكتابه وتوثيق نسبته إليه ، والمنهج الذي اتبعه في تشكيل مادته .

الحواشي والتعليقات

١ - انظر ترجمته في : الوافي بالوفيات ٦ : ١/٧٠، وبغية الوعاة ٢ / ٨٦ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٣٥٠ ، وإنباه الرواة ٢/١٦٩ ، وطبقات ابن شهبة ٢ / ٧٦ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٢٤٨ والمزهر ٢ / ٤٦٨ ، ومقدمة رمضان عبدالتواب لكتابيْ «البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٦ - ٣٦ ونجدة السؤَّال في علم السؤال ٧ - ٥١».

٢ - ديوان امرئ القيس ٣٨ ، والعمدة ١ / ٩٠ ، ٢ / ١٩، والصناعتين ١٨٥ - ١٨٦ والمصون ٦٥ ، وديوان المعاني ١/٨١.

٣ - البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى ، انظر ديوانه ٧٧ ، والعمدة ٢ / ٧٨ ، والكافي في العروض والقوافي ١٨٠ ، والبديع في نقد الشعر ١٠٤ والصناعتين ٣٠١ .

٤ - البيت للمنخَّل اليشكري في شرح ما يقع فيه التصحيف ٣٩٠ والمؤتلف والمختلف ١٧٨ والحماسة ١/ ٢٧٦ ، والأصمعيّات ٥٨ .

٥ - ديوان حاتم الطائي ٢٠٤ ، برواية (إن كنت كارهة عيشتنا هذي .....) . والكافي ١٨٨ ، وسمط اللآلئ ٥٤٨ ونوادر أبي زيد ١٠٨ وقواعد الشعر ٥٢ وورد البيت منسوبًا لعروة بن الورد العبسي في أشعار النساء للمرزباني ١٦٧ .

٦ - البيت للبحتري .

٧ - ديوان البحتري ١ / ٢١٥ ، وتحرير التحبير ١٠٦ والبديع في نقد الشعر ١٧ والعمدة ١ / ٢٢٤ .

٨ - البيت للفرزدق .

٩ - ديوان الفرزدق ٨٤٨ برواية (عليه حين يستلم) . والبيتان منسوبان لكثير بن كثير السّهمي في المؤتلف والمختلف ١٦٩ ، وروى البيت الثاني فيه «وكاد يمسكه».

١٠- البيت لامرئ القيس في معلقته الشهيرة .

١١- عجز البيت في ديوان امرئ القيس ١٩ والصناعتين ٢٤١ ، هو:

كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ

١٢- صدر بيت لكل من طرفة بن العبد وامرئ القيس بن حجر ، وعجزه في ديوان طرفة ضمن معلقته ص٢٠: «يقولون : لا تَهْلَكْ أسىً وتَجلَّدِ» . وعجزه في ديوان امرئ القيس ضمن معلقته ص ٩ : «يقولون : لا تَهْلَكْ أسىً وتجمَّلِ» .

١٣- البيتان للصِّمَّة القشيري في : لسان العرب (عرر) ، وشرح الحماسة للمرزوقي ١٢٤٠ ومعاهد التنصيص ٢ / ٨٥ . وهما في المسلسل ٣/٤ متنازعا النسبة بين المرار والصمة القشيري.

١٤- البيت موطن الخلاف هو :

جوابُ قاصيةٍ جزازُ ناصيةٍ
عقَّادُ ألويةٍ للخيـل جرَّارُ

هكذا روي في الأصلين الخطيين الموجودين لدينا من الكتاب ، ومع ذلك آثر رواية ديوان الخنساء وهي:

.... للجيش جَرَّارُ

وكان عليه أن يترك رواية الأصل كما هي ، والإشارة إلى رواية الديوان في الحواشي .

المراجعات

الإملاء المختصر في شرح غريب السير للخشني

تحقيق - عبدالكريم خليفة

عبدالإله نبهان
كلية الآداب - جامعة البعث - سورية

الخشني ، أبو ذر مصعب بن أبي بكر / الإملاء المختصر في شرح غريب السير .- عمّان : دار البشير ، ١٩٩٠م .- ٧٦٢ ص .

شغل الاهتمام بالتاريخ وأحداثه حيِّزًا واسعًا جداً في التراث العربي الإسلامي ، ولا يزال هذا التراث التاريخي الضخم يستقطب جهود الباحثين من العرب ومن غيرهم ممن يعمل في هذا المجال ، فمنهم مَنْ يتجه إلى تحقيق مخطوطاته وكتابة البحوث حولها ، ومنهم مَنْ يتجه إلى تدوين مرحلة من مراحله بأسلوب جديد ومنهم مَنْ ينشئ فيه البحوث فيحلل ويركب ويستنتج ويبرز حقائق كانت غائبة ، أو ينقض أباطيل كانت متلبسة مسوح الحقائق .

ويكفي للتدليل على اهتمام العرب بالتاريخ أن ننقل في هذا التقديم ما قاله شاكر مصطفى في مقدمة كتابه (التاريخ العربي والمؤرخون) قال : « ... ومع أن كافة الأمم تشترك في النزعة التاريخية التي تكاد لعمقها وثباتها واستمراريتها وأثرها التلقائي الفعّال ندعوها بالغريزة التاريخية . مع ذلك كلّه فإننا نلاحظ أنّه ما من أمة في الأرض قبل العصور الحديثة ، كتبت في التاريخ وألفت فيه المؤلفات الضخمة جدّ الضخامة ، وفرعت الفروع العديدة ، وسجلت دقائق ما عاشت من الأحداث مثل ما كان في العهد العربي الإسلامي ....» ، «فقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية بالنزعة التاريخية الواضحة التي تجلّت في ظهور حوالي خمسة آلاف مؤرّخ على الأقلّ فيها ، وما يزيد على عشرة إلى اثني عشر ألف كتاب تاريخ - في أقل تقدير - لديها . وبعض هذه الكتب في خمسين وثمانين ومائة مجلد ...» .

ويشير شاكر مصطفى بحق إلى أن هذا الاهتمام بالتاريخ عند العرب ليس وليد مصادفة وجود الورق وانتشاره ، وإنما يعود أمره إلى الجذور النفسية والدينية والمادية عند العرب. وكان الاهتمام بسيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ وأحداث حياته وغزواته وظروف الدعوة بشكل مسارًا مهماً من المسارات التي اتجه إليها جهد التصنيف لدى نفر من المؤرخين ، وأطلق على هذه الكتب التي قصرت اهتمامها على الرسول الأعظم وما يتصل به اسم كتب السيرة ، مع أنه لا يخلو كتاب من كتب التاريخ الكبيرة من جزء أو أجزاء منه تخصص للسيرة النبوية ؛ لأن المسلمين يعدّون «ظهور الرسول الأعظم خطّاً فاصلاً في مسيرة التاريخ» ، وقد أدرك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- هذه الحقيقة الإسلامية الكبرى فوضع التاريخ الهجري أساسًا للتقويم الإسلامي .

وكان من أبرز مَنْ كتب في الرسول ﷺ محمد بن إسحاق المطلبي (ولد سنة ٧٥ هـ تقريبًا وتوفي سنة ١٥١ هـ أو ١٥٢ هـ) وقد كتب أقدم سيرة نبوية ، وأذكر أنني كنت اطلعت فيما غبر على جزء صغير منها صدر في المغرب ، وأظنّ أن إصدارها لم يكتمل . وقد اتّبع فيها أسلوب الإخباريين ونقل من الكتب القديمة ، ولم يكن له تدقيق في الأسانيد ، ولا في مصادر الأخبار ، وذكر كثيرًا من الإسرائيليات .. ومنذ القدم اتّهمه محمد بن سلام الجمحي في مقدمته النفيسة لكتابه «طبقات فحول الشعراء» الذي حققه العلامة محمود محمد شاكر ، قال ابن سلام : «وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كلّ غثاء منه ، محمد بن إسحاق بن يسار - مولى آل مخرمة ابن المطّلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير،

قال الزُّهري : لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة ، وكان أكثر علمه بالمغازي والسِّيَر وغير ذلك - فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ، ويقول : لا علم لي بالشعر ، أُتينا به فأحمله . ولم يكن ذلك له عُذْرًا ، فكتب في السِّيَر أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود ، فكتب لهم أشعارًا كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلامٌ مؤلف معقودٌ بقوافٍ» .

ولم تلْقَ سيرته رواجًا في المدينة ، وإنما راجت في المشرق وانتشرت ، وكانت رواية زياد بن عبدالله البكائي (توفي ١٨٣ هـ) لها ، من الروايات التي بقيت ، فتلقَّفها ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك قراءةً في الكوفة على زياد ابن عبدالله (ت ٢١٨هـ) ، وتناولها بالتنقيح والتهذيب والتقريب ، فأصبحت من أبرز كتب السيرة المعتمدة لدى المؤرخين وعموم المسلمين حتى يومنا هذا . وقد نشرت عدة نشرات، كما نشرت بعض شروحها ، ومختصرات لها .

وكان الفقيه أبو ذرّ مصعب بن أبي بكر ممّن اهتمّوا بهذه السيرة ، فقد أملى عليها شرحًا لغويًا سمّاه «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» وهو موضوع بحثنا .

المؤلف

هو أبو ذرّ مصعب بن محمد بن مسعود الخُشني الأندلسي الجيّاني ، وقد رجّح محقّق الكتاب أن تكون نسبته «الخشني» إلى قبيلة خُشين ، وهي قبيلة من قُضاعة تنسب إلى خُشين بن النمر بن وبرة ... وليست نسبة إلى خُشين التي هي قرية بالأندلس .

ذكر ابن الأبّار أن مولد أبي ذرّ كان سنة خمس وثلاثين وخمس مئة بجيّان ، وكان والده أبو بكر محمد بن مسعود إمامًا في النحو والأدب ، حُفظت ترجمته في كتب التراجم التي أجمعت على تقدّمه في النحو واللغة ، وعلى أنه كان متقنًا لمسائل سيبويه ، وأنّه تصدّر للإقراء ، ورحل الناس إليه لقراءة سيبويه عليه ... ولما استوطن غرناطة في أخريات أيامه أقرأ بها وولي صلاة الفريضة والخطبة بجامعها .

في كنف هذا الأب ولد مؤلف كتابنا أبو ذرّ ، وكان والده شيخه الأول ، فأخذ عنه علم العربية والآداب ، ثم تابع تحصيله على جلّة شيوخ عصره ومن أبرزهم :

- محمد بن أحمد بن طاهر الأنصاري النحويّ الإشبيلي، وهو المشهور بالخِدَبّ ، وكان قائمًا على كتاب سيبويه وأصول ابن السراج ، ومعاني القرآن للفراء ، والإيضاح للفارسي . وتوفي سنة ٥٨٠هـ .
- والحافظ أبو عبدالله النميري بن عبدالرحمن وكان محدثًا ، سمع منه أبو ذرّ .
- وعلي بن أحمد بن أبي بكر الكتانيّ المعروف بابن حنين الطليطلي ثم القرطبي المتوفى سنة ٥٦٩ . وقد سمع أبو ذرّ منه الحديث بمدينة فاس .
- ومحمد بن علي بن جعفر المعروف بابن الرمامة ، وكان قاضيًا فقيهًا نظّارًا ، سمع منه أبو ذرّ الخشنيّ بفاس وروى عنه . وكانت وفاته بفاس سنة ٥٦٧هـ .
- وعبدالرحمن بن يحيى بن الحسن بن محمد القرشي الأموي الإشبيلي أبو القاسم ، وكان مقرئًا محدثًا زاهدًا ورعًا . حدّث عنه أبو محمد عبدالحقّ الإشبيلي وأبو ذرّ بن أبي ركب وأبو علي الشلَوبين .
- وعبيد الله بن عمر بن هشام الحضرميّ ، وكان مقرئًا نحويًا أديبًا شاعرًا جوالة في البلاد ... حدّث عنه أبو ذرّ وسمع منه كثيرًا واختصّ به ، وأخذ عنه القراءات والآداب .
- والحافظ أبو بكر يحيى بن محمد بن رزق وقد سمع منه أبو ذرّ .
- ومحمد بن محمد بن عبدالله بن معاذ اللخمي من أهل إشبيلية ، ويعرف بالفلنقي ، من علماء القراءات ، وكان ممّن أخذ عنهم أبو ذرّ ، وكانت وفاته بفاس سنة ٥٥٣هـ.
- وعبدالحقّ بن عبدالرحمن أبو محمد الإشبيلي المعروف بابن الخراط المتوفى سنة ٥٨١هـ ، كان فقيهًا حافظًا عالمًا بالحديث وعلله . وقد روى عنه أبو ذرّ .
- وأبو القاسم خلف بن عبدالملك المعروف بابن بشكوال ، صاحب تاريخ الأندلس . والمتوفى سنة ٥٧٨هـ ، وقد روى عنه بقرطبة أبو ذرّ الخشني .

كما أنّ أبا ذرّ أخذ عن غير هؤلاء ، وأجاز له غيرهم، وكان له تلاميذ كثر أخذوا عنه .

لمّا ولد أبو ذرّ عام ٥٣٥هـ كان سنّ والده إذ ذاك أربعة وخمسين عامًا ، ولم يمتّع طويلاً بصحبة والده الذي ما لبث أن توفي سنة ٥٤٤هـ ، وتركه يتيمًا ابن عشر سنوات ، فإذا ما ذكرنا أن والده كان خلال هذه السنوات في غرناطة ، فلابدّ أن أبا ذرّ كان مع والده في تلك الأيام

الصعبة التي كانت الأندلس تتساقط فيها بلدًا بعد بلد ، وتتقطع عضوًا بعد عضو أمام جحافل الفرنجة . وكانت الأندلس تحت حكم المرابطين ، وكان أمرهم آيلاً إلى ضعف وشتات ، أما نجم الموحدين فكان إلى سطوع ، وجدّهم إلى صعود في المغرب ، وسيكون لهم الأمر بعد سقوط المرابطين .

على كل حال فإنه ليس هناك تفصيلات عن حياة المؤلف في تلك المرحلة لكن محقق الكتاب استنبط أن أبا ذرّ اتّجه إلى تلمسان بدليل تلك الروايات التي أفادت بأنّ أبا ذرّ سمع كثيرًا من عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي بتلمسان ، واختصّ به وأخذ القراءات عنه والآداب وذلك قبل سنة ٥٥٠هـ . ثم إن الروايات تحدث بأنه سمع من شيخه الفلنقي بمدينة فاس قبل المحرم من سنة ٥٥٣هـ . ولابدّ أنه ترك مدينة فاس بعد أن استوطنها مدّة؛ لأننا نراه في إشبيلية متوليًا الخطبة بجامعها أيام الموحدين ، كما أنه ولي قضاء جيّان أيام المنصور ، وكان يتصدر فيها للتدريس ثم حيكت له دسائس فغادر جيان إلى بجاية ، وأخذ فيها عن عبدالحق الأزدي الإشبيلي (ت ٥٨١هـ) ، وتصدّر للتدريس ثم غادرها إلى فاس واستقر فيها يعلّم العربية ويسمع الحديث إلى أن توفي فيها ضحى يوم الإثنين الحادي عشر لشوال سنة ٦٠٤هـ ، ودفن لصلاة العصر منه بعدوة القرويين بخارج باب الفتوح .

أثنت المصادر على أبي ذرّ الخشنيّ ، وأشادت بمكانته العلمية العالية ، قال فيه صاحب الذخيرة السنيّة «وكان رحمه الله أحد الأئمة المتقدمين ضبطًا وتقييدًا ، وأحد المعتمد عليهم في علم اللغة والآداب ، إمامًا في العربية ، عالمًا بكتاب سيبويه .. ولم يكن في وقته أتمّ وقارًا ولا أحسن سمتًا وعقلاً منه رحمه الله ، ولا أضبط ولا أتقن تقييدًا منه في جميع علومه حفظًا وعلمًا ، وكان نقّادًا للشعر عالمًا به مطلق العنان في معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدّمًا في ذلك كلّه ، وفي إقراء كتاب سيبويه ومعرفة أغراضه وغوامضه» .

الكتاب

ربما بدا أنه ليس من علاقة مباشرة بين مضمون الكتاب موضوع حديثنا وبين مقدمة هذا البحث ، فكتابنا ليس في السيرة ولا التاريخ ، بل هو شرح لغوي لسيرة سيد المرسلين التي اختصرها ابن هشام من سيرة ابن إسحاق ، أي هو ضرب من النشاط اللغوي الذي نشأ وتمحور حول السيرة النبوية وتعلق بها ، ومن هنا وجدنا المسوغ لأنفسنا أن نبدأ الحديث حول السيرة لننتقل إلى ما ألف حولها ودار في فلكها .

بدأ أبو ذر كتابه بمقدمة وجيزة بيّن فيها الغرض من تأليفه الكتاب ، فلم يكن من غرضه الكتابة في السيرة ، وإنما صرف عنايته إلى شرح غريب لفظها وما صعب من تراكيبها قال : «... وبعد فهذا إملاء أمليته من حفظي بلفظي على كتاب سيرة رسول الله ﷺ ، التي تقدّم محمد ابن إسحاق إلى جمعها وتلخيصها ، وعني عبدالملك بن هشام بعده بتهذيبها وتخليصها ، أوان سُمع هذا الكتاب مني ، وقيّدت رواياته بطرقها عنّي ، قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وإيضاح ما التبس تفسيره على حامله وراويه ، مع اختصار لا يخلّ ، وإيجاز يتمّ به البيان ويستقلّ ، لم يقصد فيه قصد التأليف فتمدّ أطنابه ، ولا يُنْحى به نحو التصنيف فتمّهد فصوله وأبوابه ، وإنما هي عجالة الخاطر وغنية الناظر ، ثم عُرض عليّ هذا الإملاء بعد كماله فتصفحته ورُغب في حمله عني ، فبعد لأي ما أذنت في ذلك وأبحته» .

وأعقب ذلك بترجمة موجزة لكل من ابن إسحاق وابن هشام وزياد بن عبدالله البكائي . ثم بدأ أبو ذرّ بشرح السيرة فماذا شرح ؟

لقد فسّر أولاً ما ورد من الكلمات الغريبة التي مرت به في نسب رسول الله ﷺ ، ثم أخذ في شرح الغريب الذي يرد في السيرة ، ومن الطبيعي أن يكون معظم هذا الغريب في الشعر الذي رواه ابن هشام ، ولم يكن ذلك الشعر مقحمًا على السيرة ؛ بل كان مرتبطًا بالأحداث التي ترويها ، ويمكن أن نعدّه جزءًا أساسيًا منها ..

وكان معظم اهتمام أبي ذرّ منصبًا على هذا الشعر يقف عند القصيدة ، ويشرح مفرداتها ، وقد يتسع في شرح بعض المعاني ، مراعيًا تفسير الألفاظ في سياقها الذي وردت فيه ، مع الإشارة إلى بعض اللهجات ، والاستشهاد في مواضع بآيات من الذكر الحكيم أو بأبيات من الشعر تؤيد ما يذهب إليه ، وقد يعلّق على أسماء بعض الأعلام ؛ ومن نماذج ذلك ما قدمه في شرحه لأبيات رجل من حِمْيَر: [من الخفيف] .

لاه عينا الذي رأى مثل حسـ
ـان قتيلاً في سالف الأحقاب
قتلته مقاولُ خشية الحبـ
ـس غداة قالوا لَبابِ لَباب
ميتكم خيرنا وحيكمُ ربٌ
علينا وكلكم أربابي

قال أبو ذرّ: [قتلته المقاول: هم الذين يخلفون الملوك إذا غابوا ، قوله : لَباب لَباب : قد فسّره ابن إسحاق ، ويقال : لباب كلمة فارسية معناها : القَفْل القَفْلَ أي الرجوعَ الرجوعَ] .

ووقف أبو ذرّ عند خبر الإسراء والمعراج ، ففسّر غريبه، قال : تفسير غريب حديث الإسراء : قوله : فوضع جبريل يده على معرفته . المعرفة : اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف، والضرب من الرجال الخفيف اللحم ، والجعْد : المتكسّر الشعر . والأقنى : المرتفع قصبة الأنف . وشنوءة : قبيلة من الأزد . والخيلان : جمع خال وهو الشامة السوداء .. وقوله : كأنه خرج من ديماس ، الديماس هنا : الحمّام . وقوله : لم يكن بالطويل الممغّط . الممغط: بالغين المعجمة هو الممدّد ، وكذلك هو بالعين مهملة، وقال أبو علي الغسّاني: الممعّط بالعين المهملة هو المضطرب الخَلْق ... إلخ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف وضع عنوانات كتابه بحسب تسلسل القصائد في السيرة كقوله : تفسير غريب أبيات الأعشى ، تفسير أبيات غالب بن عبدالعزّى ، تفسير أبيات سبيعة بنت لاحب ... وهكذا ، مما قد يوهم أن المؤلف اقتصر على شرح الألفاظ الواردة في الشعر فقط . والناظر في الكتاب يرى أن أبا ذرّ لا يقتصر على شرح ما يرد في الشعر من غريب ، وإنما يلحق به ما يمر به من غريب في أخبار السيرة الواردة بعد الشعر ، حتى يصل إلى قصيدة تالية فيضع عنوانًا جديدًا .

وأبو ذرّ على الرغم من شهرته نحويًا بارزًا ومدرّسًا لكتاب سيبويه ، فإنه لم يعرض في كتابه لمسائل النحو ولا الصرف ولا قضايا علم المعاني ، وإنما اقتصر على الشرح اللغوي ، متجهًا إلى تفسير الغريب ، ومفهوم الغريب عنده هو شعوره بأن هذه الكلمات التي يشرحها فيها شيء من الغرابة على جمهور تلاميذه وعموم الناس في أيامه ، وأنها بحاجة إلى ما يوضحها . ونحن اليوم عندما نقرأ شرحه نقرّ بأن أبا ذرّ كان على حقّ عندما تصدّى لتفسير هذه الكلمات وشرحها ، فهو يفسّر مثلاً بعض الألفاظ الواردة في شعر ضرار بن الخطاب : [من الطويل] .

وتَرْدِي بنا الجُرْدُ العناجيج وسطكم
بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر

فيفسر تَرْدي بقوله : تسرع ، والجرد : بالخيل العتاق القصيرات الشعر ، والعناجيج جمع عنجوج وهو الطويل السريع ... إلخ .

التحقيق

ندب عبدالكريم خليفة نفسه لتحقيق هذا الكتاب، واعتمد ثلاث مخطوطات : الأولى مصورة عن مخطوطة القرويين بفاس /ر ل ٤٠ / ٢٨٧ . والثانية مصورة عن مخطوطة الأسكوريال c a s / 57 . والثالثة مصورة عن مخطوطة السليمانية بإستانبول (راغب باشا ٩٧٥) .

ألزم المحقق نفسه بضبط كلمات الكتاب وأعلامه ، وخرّج الآيات القرآنية الكريمة وسائر الشواهد الأخرى ، وأورد في حواشيه على الكتاب نصوص القصائد التي وردت في السيرة ، التي عرض الخشني لشرحها ، وذلك ليتمكن القارئ من الربط بين النص والشرح .

وقدّم المحقق للكتاب بمقدمة عرّف فيها بالمؤلف ومكانته العلمية ، وبآثاره ، وذكر أهمية كتابه «الإملاء المختصر» ، وقال إن هذا الكتاب كان قد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٩هـ بتحقيق المستشرق الألماني برنله Paul Bronnle ، وأنه اطلع عليه فوجد فيه كثيرًا من السقط والتحريف ، مما حدا به إلى شحذ الهمّة لتحقيق الكتاب وإخراجه صحيحًا سليمًا معافى مما ألمّ به ، مع الاعتراف بفضل السبق وجهد الريادة للمستشرق برنله . ثم ذكر المحقق أنه كان على وشك الانتهاء من تحقيق الكتاب عندما ظهر كتاب (السيرة النبوية لابن هشام مع شرح أبي ذرّ الخشني عليه) بتحقيق همام سعيد والسيد محمد بن عبدالله أبو صعيليك . الأردن ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م وقد قرأه المحقق ووجد فيه ما وجده في طبعة برنله، ورأى أن هذه النشرة لا تلغي (ولا تغير شيئًا مما ندب نفسه إليه ، فالأهداف مختلفة والوسائل متباينة) .

نشر المحقق كتابه في ثلاثة أجزاء ، ذيل كل جزء منها بطائفة من الفهارس : فهرس للأمكنة ، وفهرس

للقبائل ، وفهرس للأعلام ، وفهرس للغريب . فجاء الكتاب مضبوطًا مفهرسًا مزودًا بالحواشي والإيضاحات والنصوص ذات العلاقة بطبيعة الكتاب ومتنه .

إن نشر هذا الكتاب على هذه الصورة المتقنة من التحقيق والضبط يعد خدمة جلّى للسيرة النبوية الزكية ، قدمها عبدالكريم خليفة . وما أجدر هذا الكتاب بأن يطبع دائمًا في حواشي السيرة النبوية لابن هشام ليجتمع المتن والشرح وما يلحق بهما في صفحة واحدة أمام عين القارئ .

جزى الله المحقق خير الجزاء لما بذله ويبذله في خدمة العربية خاصة والتراث العربي الإسلامي عامة .

ديوان أبي تمام الطائي

بشرح الخطيب التبريزي

تحقيق : محمد عبده عزام

«تصحيح واستدراك»
عبدالكريم حبيب
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
جامعة البعث - سورية

أبو تمام الطائي ، حبيب بن أوس / ديوان أبي تمام الطائي بشرح الخطيب التبريزي؛ تحقيق محمد عبده عزام .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٧م .- ٤ جـ .

مقدمة : أخذ ديوان أبي تمام الطائي من اهتمام الأدباء قديمًا نصيبًا وافرًا من العناية ، وذلك لما يمتاز به هذا الشاعر من خصائص شعرية متفرّدة حتى أصبح رائد مذهب التصنيع في الشعر ، ويعود ذلك إلى ذهنية متفرّدة ، وسليقة عزّت على الشعراء ، وذكاء مفرط ، يُحسن التوليد اللغوي وضروب البيان ، مما جعله يُحسن استخدام الأساليب الشعرية التي كانت مثار الأدباء واللغويين ، وباعث فضول عند الجميع ليخوضوا غمار هذا الشاعر ، مما جعل نصيب شعره من الجَمْع والتدوين والإيضاح غنيّاً ، فأول من تصدى لجمع شعره وشرحه أبو بكر الصولي المتوفى (٣٣٥هـ) ثم جمعه علي بن حمزة الأصفهاني وغيّر في ترتيب الصولي فرتبه وفق الأنواع والأغراض ، وكذلك جاء بعده أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى (٣٧٠هـ) فشرحه وتعرّض للغته ، وكذلك فعل حسين بن محمد الرافعي المشهور بالخالع والمتوفى (٣٨٠هـ) وأبو الريحاني محمد بن أحمد الخوارزمي المتوفى (٤٤٠هـ) . وكذلك تصدّى المرزوقي فشرح جزءًا منه وقد توفي (٤٢١هـ) وتعددت شروحه كثيرًا ، ومن يَعُد إلى كشف الظنون (١) يرَ ثبتًا طويلاً بأسماء شارحيه ، وكل واحد له طريقته وأسلوبه في الشرح ، وما يهمني من تلك الشروح ، هو شرح الخطيب التبريزي الذي تميّز عن غيره بميزات معينة سأذكرها لاحقًا .

وكما ظهر هذا الاهتمام الكبير بشرح الديوان قديمًا ، اهتم الأدباء بنشره حديثًا ، فقاموا بتحقيقه ونشره وفق مذاهبهم في النشر حيث نشره محي الدين الخياط في المطبعة الأدبية ببيروت (١٨٨٩م) وقام بتفسير ألفاظه ، وقد وقع بأخطاء كثيرة رغم تحدّيه لأهل اللغة والأدب على أنهم لن يجدوا فيه أخطاءً ؛ فقام بتصويبه وتصحيح أخطاء المفسّر العلامة الشيخ سليمان الأحمد عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ونشر التصحيح في مجلة الأماني (٢) . ثم طبع الديوان ثانية بمناظرة والتزام محمد جمّال في بيروت نحو سنة ١٣٢٣هـ . ونشره أحمد عثمان عبدالمجيد في القاهرة ١٩٤١م ، ونشره محمد صبيح في القاهرة بعد عام أيضًا ، ثم قام بشرحه ونشره ثانية ملحم الأسود ، وسماه بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام ، ونشر الجزء الأول منه في بيروت ١٩٢٨م. ثم نشر عبدالسلام هارون همزيات أبي تمام في القاهرة عن دار المعارف عام ١٩٤٢م . وكانت مجلة المشرق نشرت جداول ديوان أبي تمام عام ١٩٠٥م . ص ١٠٥٨ وما بعدها . وقام محمد عبده عزام بتحقيق الديوان بشرح الخطيب التبريزي ونشره عن دار المعارف في القاهرة من ١٩٥١ - حتى ١٩٥٧م. ويقع الديوان في طبعته هذه في أربعة مجلدات ، وهو غايتنا من هذا البحث كما سأتحدث ، ثم قامت مكتبة النوري في دمشق بطباعة الديوان عام ١٩٦٧م بشرح شاهين عطية ومراجعة بولس الموصلي ، وهي طبعة أقرب ما تكون إلى الطبعات التجارية، حتى في شرحها فهي كثيرة الأغلاط والتصحيف. ولا أعلم - فيما عدت إليه من مصادر - طبعة أخرى لهذا الديوان - غير أن الباحث المنصف يرى أن خير طبعات هذا الديوان ما قام به محمد عبده عزام للخصائص والميزات التي يتمتع بها المحقق من ناحية علمية وتوخي الصواب في العمل ، ولن أتحدث عن ميزات التحقيق فهي حسنة متقنة ، غير أن الذي يهمني في هذا المجال أن أتمم ما قام به عزام من جهود مشكورة في نشر هذا السفر العظيم ، وقد قام بتحقيقه عن خمسة أصول (٣) هي نُسَخ شرح التبريزي على ديوان أبي تمام واعتمد المحقق على ثلاث مخطوطات ، ثم اعتمد على شرح

الصولي وكتاب المرزوقي (المشكل من أبياته المفردة) وكتاب ابن المستوفي المسمى بـ (النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام) ، واعتمد على نُسخ الديوان المخطوطة أخيرًا . وهو في عمله هذا كان على غاية من الدقة غير أن المحقق وقع في بعض الأخطاء، وهي على نوعين :

أ – أخطاء وقع فيها المحقق في الضبط والرواية، ولم يستطع أن يتخلص منها .

ب ـ أخطاء وقع فيها شارح الديوان ، ولم يستطع المحقق تصويبها ، وقد يكون ذلك عائدًا إلى أنه لم يتنبّه إليها، أو أنه عند مقابلة الأصول لم يُعْمِل فكره فيها .

وفيما أتمنى أن تصل هذه التصويبات والاستدراكات إلى السيد المحقق ، وأن تدخل عمله بعد أن يأخذها بيد القبول والرضا ، وأن تجد تصويباتي صدرًا دافئًا منه وما غايتنا إلا العلم والأمانة ؛ لأن كل جهودنا عبارة عن خدمة هذا التراث العظيم الذي نغار عليه ، ونبتغي صونه ، وإيصاله إلى الأجيال نقيًا من كل عيب . والله من وراء القصد وهو حسبي وبه تتم الصالحات .

أولا
التصويبات

١ – في القصيدة البائية التي يمدح فيها أبو تمام أبا دُلَف القاسم ابن عيسى العِجْلي ، أورد المحقق في شرح بيت أبي تمام(٤) :

فكِلْني إلى شوقي وسِرْ يَسِرِ الهوى
إلى حُرُقاتي بالدموع السوارب

فقال : السوارب : السؤال ، يقال سَرَب الماء على وجه الأرض إذا سال ... إلخ .

وفي البيت تصحيف وخطأ ، فالتصحيف قد يكون من المطبعة دون أن يصحّحه المحقق ، وهو قوله (السؤال) بالهمز ، وصوابها من غير همز فتصبح (السوال) والخطأ : هو من الخطيب التبريزي حيث إنه وضع السوال بمعنى السائل ، فلا يوجد في العربية (سال ، يسيل ، سوالا) وإنما (السوال) في حقيقة الأمر والمعنى لغةٌ في سأل (مهموزة) وبهذا الشكل يختلف المعنى . لأن أهل اللغة قالوا: سال ، يَسال ، سُوَالاً ، وسوالاً : لغة في سأل ، وهم يتساولون ، وهو سُوَلة إذا كان كثير السؤال . والاسم السُّوْل والسُّوَال جمع أسْوِلة «وكلها لغة في المهموز»(٥) ويقال للسحاب إذا استرخى (أي هطل) (سَوِل يَسْوَلُ سَوَلاً)(٦) ويقال للماء إذا جرى : (سال ، سَيْلاً وسيلانًا ومسيلاً ومَسَالاً)(٧) فهو (سائل وسيل) فلا يوجد (سوال) إذا سال . ومن يراجع هذه المادة في معاجم اللغة يجد أن الصواب هو أن يقال : (الدموع السوارب) الدموع السائلة وليس الدموع السوال .

٢ – في القصيدة الفائية التي يمدح فيها أبو تمام أبا دُلَف

أيضًا يورد المحقق البيت التالي(٨) :

أزَرْتَ أبر شتويما والقنا قِصَدٌ
غَيابةَ الموت والمَقْوَرَّة الشُّسُفا

وقال في شرحه : (المُقْوَرّة) الخيل الضامرة ، وتكون من صفات السمين وهو من الأضداد ، (والشُّسُف) من قولهم شَسَفَ الفرس إذا ضَمُرَ ضُمْرًا شديدًا وفي البيت أكثر من خطأ . فقد ضبط (المُقْوَرّة) بتحريك القاف فتحًا وبهذا التحريك يختل وزن البيت من ناحية ، ولا يعبّر عن المعنى المراد بدقة من ناحية أخرى ، وأعاد الخطأ نفسه في شرح البيت عندما ضبط الكلمة كذلك ، والصواب : تسكين القاف حيث يصح الوزن والمعنى (فالمُقْوَرّة) بتسكين القاف وتشديد الراء تعني الخيل الضامرة في لغة العرب والخيل السمينة في لغة الهلاليين فهي من الأضداد(٩) .

والخطأ الثاني هو أن المحقق ضبط (الشُّسُفا) بضم الشين وهذا غير صحيح في العربية ولا أوردته معاجمها ، والصواب فتح الشين وضمّ السين (الشَّسُفا) وهو اليباس ضُمْرًا وهُزالاً(١٠) . والخطأ الثالث هو في رواية البيت ، حيث إن الاستقراء المعنوي للبيت يؤكد أن روايته : (المُقْرُوّة الشُّسُفا) هي الصواب ، وذلك للأسباب التالية :

أ – أن أبا تمام كان مولعًا بالطباق والجناس ، وغير ذلك من فنون البديع ، ولفظة المقروّة وهي من القِرى أي الطعام الذي هو من علامات السِّمَن ، أراد أبو تمام الطباق الذي يحصل بينهما وبين (الشُّسُفا) وفي هذا الطباق يحسن معنى البيت ويصح وزنه .

ب – من السهولة جداً تصحيف الكلام بين (مقورّة) و(مُقْرُوّة) وخاصة في مناسبة التشديد للحرف الرابع من الكلمة أي الراء والواو في الكلمتين .

جـ - إقامة البيت على الاستفهام .

٣ - في القصيدة السابقة ذاتها ، أورد المحقق بيت أبي تمام (١١) :

فإنْ ألظُوا بإنكارٍ فقد تُركَتْ
جُسومُهم بالذي أوْلَيْتَها صُحُفا

وأورد شرح التبريزي : (يقال ألظّ : بالشيء) إذا لزمه ، ثم أورد المحقق في الحاشية تحت رقم (٣) رواية الصولي للبيت (ألطوا) بالطاء المهملة ، وقال : ألطّ بالشيء ستر ، وألط : لزم . ثم أورد قول ابن المستوفي في الرد عليه بقوله : «لم أرَ فيما رأيته من كتب اللغة (ألط) إذا ستر رباعياً ، ويحتمل إذا روى ألطّ بالطاء المهملة ، أن يكون من قولهم ألطّ الرجل إذا اشتد في الأمر والخصومة». انتهى الكلام للشارحين والمحقق في الحاشية. وفيما أرى أن المحقق وقف على الحياد ، فلم يعطِ رأيه في هذه القضية ، ويحل المسألة برجوعه إلى بعض كتب اللغة وما أكثرها . وهو أيضًا لم ينتبه إلى خطأ أيّ شارح فيما أورده من كلامهم . غير أني أقول : ما أورده المحقق من شرح في المتن والحاشية مخالف من وجهين هما :

أولاً :

ينبغي أن تكون رواية البيت : (فإن ألطوا) وهي رواية الصولي ، وبذلك يبطل شرح التبريزي على أن معناها (لزم) ؛ لأنه لا صحة لمعنى البيت بمعنى الكلمة هنا ، وصوابها (ألطوا) بمعنى الستر ، ومن الممكن أن يكون في البيت تصحيف أوهم التبريزي فلم ينتبه إليه وهو واردٌ جدًا بين الطاء والظاء في (ألطوا) .

وفي هذه الرواية يصحّ معنى البيت كما سأشرحه في نهاية التصويب .

ثانياً :

أخطأ ابن المستوفي في عبارته (لم أر فيما رأيته من كتب اللغة ألطّ إذا ستر) ذلك أن هذه الكلمة ليست رباعية كما ظنّ ابن المستوفي وقد وردت في أكثر من معجم بهذا المعنى فهي ثلاثية دخلت عليها الألف . وسأختصر ما أوردته كتب اللغة في ذلك ، يقول صاحب متن اللغة في مادة (لطط) (١٢) ألطّ عليه : ستر ، والاسم اللطط ، وألطّ عليه حقه جحده ، وبالزكاة منَعها . انتهى كلام صاحب المتن . وفي ذلك أشير إلى أن جحود الحق ستره ، وكذلك منع الزكاة سترها ، وهما بمعنى واحد . وفي هذا التصويب يستقيم معنى البيت ويتغيّر عما أراده التبريزي ويصبح كالتالي : (أي إذا ما حاولوا أن ينكروا ما فعلت بهم ، ويستروا طعناتك فيهم ، فإن أجسادهم أصبحت من فعل رماحك وسهامك كأنها الصحف التي لا تخفي عليها آثار الكتابة) . وقد شبه أجسادهم (أي العدو) بالصحف وشبه رماح أبي دلف بالأقلام . وفي هذا البيت بشرحه الذي بيّنته ما فيه من البلاغة والجمال . وأظنه المقصود ، والله أعلم .

٤ - في القصيدة التي يمدح بها أبو تمام محمد بن عبدالملك الزيات ضبط المحقق كلمة (لَقَاح) بالفتح في البيت التالي (١٣) :

لَقَاحٌ فلم تخدجه بالضيم منه
ولا نال أنفاً منه بالذلّ نائلُ

وعاد فضبطها بالفتح أيضًا في سياق الشرح ، والصواب ضبطها بالكسر ؛ لأنه لا يوجد (لَقَاح) بالفتح وهو الحَبَل ، كما أقرت معاجم اللغة (١٤) .

٥ - في القصيدة اللامية السابقة أيضًا ، أورد المحقق البيت التالي (١٥) :

فتىً لا يرى أن الفريصة مقتلٌ
ولكن يرى أن العيوب المقاتلُ

ولم يشر المحقق إلى التعريف الحاصل في لفظتي (العيوب، والمقاتل) فلا يجوز تعريف المبتدأ والخبر معًا ، وعلى اعتبار دخول الحرف الناسخ فلا يجوز ورودهما معرفة (١٦) ووفق رواية المحقق يكون في البيت إقواء . وينبغي لسلامة القافية من الإقواء أن يكون البيت (أنّ العيوب مقاتلُ) وكذا أورده صاحب هبة الأيام عندما ذكر البيت (١٧) .

ثانيا
الوهم وتصويبه

في هذا المجال سأقوم بتصحيح ما أخطاه المحقق من وَهْم وقع فيه دون أن يدري ، ولم يستطع التنبّه إليه مطلقًا ولذلك أنبّه إليه وأؤكد عليه ؛ لأنه بَتَرَ جسد القصيدة اللامية كما سأبيّن هنا . لقد أورد المحقق خبرًا معترضًا قصيدة أبي تمام اللامية التي يمدح بها محمد بن عبدالملك الزيات ومطلعها (١٨) :

متى أنت عن ذهليّة الحيّ ذاهلُ
وقلبك منها مدة الدهر آهلُ

ففي عقب شرح البيت السادس والخمسين من هذه القصيدة (١٩) الذي يقول فيه أبو تمام :

ولو حاردت شولٌ عذرت لقاحها
ولكن حُرمتُ الدرَّ والضرع حافلُ

بعد أن أورد شرح التبريزي لهذا البيت وضع المحقق ثلاث نجيماتٍ صغيرة في وسط الصفحة مما يبيّن أن الكلام منقطع ، وأتم الكلام : فلما قرأ هذه القصيدة استحيا من جفائه فاحتجّ بأنه مدح غيره ممن هو دونه ، وأنه لو اقتصر عليه لأعطاه ، وأن إكثار مدحه الناس زهّده فيه ، فقال (أي ابن الزيات) ووقّع بها إليه :

رأيتك سمح البيع سهلاً وإنما
يُغالى إذا ما خنّ بالشيء بائعهُ
فأما الذي هانت بضائع بيعه
فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إنِ أجْمَمْته طاب ورده
ويفسد منه أن تباح شرائعه

فقال أبو تمام وكتبها إليه :

أبا جعفرٍ إن كنت أصبحت شاعراً
أساهلُ في بيعي له من أبايعه
فقد كنت قبلي شاعراً تاجراً به
تساهلُ من عادت عليك منافعه
فصرت وزيراً والوزارة مكرعٌ
يغصّ به بعد اللذاذة كارعه
وكم من وزيرٍ قد رأينا مسلّط
فعادت ، وقد سُدّتْ عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها
ولله سيفٌ ليس تنبو مقاطعه

ثم يكمل القصيدة وقد تبقى منها أربعة أبيات بعد أن يعتقد القارئ أن القصيدة اللامية قد انتهت ؛ لأنه قال (فلّما قرأ هذه القصيدة استحيا ... إلخ) فيفاجئ القارئ بالتمة . ومن الملاحظ أن المحقق أخطأ في إيراد هذا الخبر من جهتين:

الأولى : أن موضع هذا الخبر ليس مقحمًا هنا وليس معترضًا حتى لو كانت هذه القصيدة هي التي دفعت الزيات إلى العتاب والكتابة . وإذا كان موضعه هنا على سبيل الافتراض فمن الواجب أن يُؤَخَّر حتى نهاية القصيدة كي لا يبترها كماحصل . لأن إيراده في هذا الموضع لا مبرر له ، وذلك أن شارح الديوان يقول في المتن (فلما قرأ هذه القصيدة استحيا ... إلخ) وهي لم تتم بَعْدُ إذن فمن الأجدر أن يؤخر هذا الخبر لو كان موضعه صحيحًا هنا ، وكنا اعتقدنا أن خطأً في ترتيب صفحات المخطوط قد حصل ، ولم ينتبه إليه المحقق ، غير أن المحقق يورد في نهاية هذا الخبر وفي الحاشية . وهي ملك المحقق طبعًا - تعليقًا طويلاً بأن الصولي في شرحه لم يورد ردّ أبي تمام على أبيات ابن الزيات ، وأنه - أي المحقق - تردّد في نسبة الأبيات لأبي تمام ، ويقول بعدها وبانتهاء هذه القصيدة تنقطع المخطوطة التي بيدي من كتاب ابن المستوفي وسيستأنف تعليقاته حين ينتقل إلى باب المراثي (٢٠) من هذا الكلام أستنتج أن المحقق كان واعيًا في إيراد الخبر وَبتْر القصيدة وتأخير الأبيات الأربعة دون أن يقول فيها التبريزي أيّ شرح أو يعلّق عليها ؛ بل يورد المحقق في الحاشية شرح الصولي لها . وهذا ليس مبررًا أيضًا للمحقق ؛ لأنه لو كان أضافها على رواية التبريزي وشرحه لأشار إلى ذلك . ولأخّر الخبر السابق إلى نهاية القصيدة .

الثانية : أن الموضع الحقيقي لهذا الخبر ليس عقب هذه القصيدة وإنما موضعه الصحيح عقب قصيدة أبي تمام اللامية التي تسبق هذه القصيدة (هل أنت عن ذهلية ...) في الترتيب ومطلعها (٢١) :

لهان علينا أن نقولَ وتفعلا
ونذكر بعض الفضل عنك وتفضلا

وشارح الديوان يقول في مقدمة هذه القصيدة ، قال يمدح محمد بن عبدالملك الزيات ويعاتبه ، أما القصيدة السابقة فهي في المديح خاصة ، وليس فيها عتاب يستثير قريحة ابن الزيات ، ومن ناحية أخرى فقد وردت أبيات ابن الزيات السابقة (رأيتك سمح البيع ...) وجواب أبي تمام في أخبار أبي تمام للصولي (٢٢) وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٣) وفي المصدرين أن المطارحة المذكورة تمت بعد قراءة القصيدة (لهان علينا أن نقول ...) ممّا يؤكد الوهم الذي وقع فيه المحقق لذلك أرى أنه حبذا لو أُعيد النظر بموضع هذا الخبر ونقله إلى موضعه الصحيح كما أشارت إليه المصادر . أما فيما يتعلق بشك المحقق بأن أبا تمام لا يجرؤ على أن يرسل إليه وهو في بابه لخوفه من بطش ابن الزيات وكيده ، وأن بعض الرواة المهرة استغل القصة ووضع

لها هذه النهاية (انظر الحاشية والتعليق في ديوان أبي تمام ١٣٠/٣) فإني أرى غير ما يراه المحقق ، وهو أن صداقة متينة كانت تربط أبا تمام وابن الزيات ، وليس من المعقول أن تثيره هذه المطارحة ، وهي على سبيل الدعابة يدافع فيها أبو تمام عن نفسه ويمدحه ، ومن الممكن أن يتقبلها ابن الزيات ، لا سيما وأنها جاءت من أبي تمام حميمه ولو عدنا إلى أخباره التي أوردها الصولي لرأينا أكثر من ذلك .

ثالثا
استدراك

في نهاية هذه التصويبات يسرني أن أضع استدراكًا لطيفًا لم يرد في ديوان أبي تمام ونسخه المختلفة ، وهذا الاستدراك عبارة عن بيتين لأبي تمام يداعب بهما الحسن ابن وهب عندما تشاغل عن عشرته ، وقد انفرد البديعي بذكرهما (٢٤) ، وهما :

قالوا جفاك فلا عهدٌ ولا خبرُ
ماذا تراه دهاه ، قلت أيلولُ
شهرٌ كأن حبال الهجر منه فلا
عقد من الوصل إلا وهو محلولُ

خاتمة

وفي نهاية المطاف أشكر الأستاذ محمد عبده عزام على جهده العظيم في إخراج هذا السفر ، وأود أن تجد ملاحظاتي وتصويباتي منه صدرًا حنونًا . خدمة للغتنا وتراثنا المجيد .

والحمدلله الذي جعل لنا لُبًّا فنعقل به ، وحفظنا من الجهل والنسيان .

إحالات البحث

١ – انظر كشف الظنون ٧٧٠/١ ، ٧٧١ ، وتاريخ بروكلمان ٧٥/٢.
٢ – مجلة الأماني العدد ١٢ من السنة الأولى ١٩٢١م .
٣ – انظر الديوان ١ / ٢٨ .
٤ – الديوان ١ / ٢٠٠ .
٥ – انظر اللسان والتاج ومتن اللغة مادة (س ي ل) .
٦ – انظر اللسان والتاج ومتن اللغة مادة (س ي ل) .
٧ – انظر اللسان والتاج ومتن اللغة مادة (س ي ل) .
٨ – الديوان ٢ / ٣٧١ . ٩ – الأضداد ٢٩٤ .
١٠– انظر اللسان والتاج ومتن اللغة مادة (ش س ف) .
١١– الديوان ٢ / ٣٧٤ . ١٢– متن اللغة مادة (لطط) .
١٣– الديوان ٣ / ١٢٦ .
١٤– انظر اللسان والتاج ومتن اللغة مادة (ل ق ح) .
١٥ – الديوان ٣ / ١٢٦ .
١٦ – انظر مغني اللبيب ٥٨٨ ، وشذور الذهب ١٨٢ ، والنحو والصرف ٥٥ .
١٧ – هبة الأيام ٧٤ . ١٨ – الديوان ٢ / ١١٢ .
١٩ – الديوان ٣ / ١٣٠ .
٢٠ – انظر التعليقات تامة في حاشية الديوان ٣ / ١٣٠ .
٢١ – الديوان ٣ / ٩٨ .
٢٢ – أخبار أبي تمام ١١٨ وما بعدها .
٢٣ – وفيات الأعيان ٢ / ٢٣ . ٢٤ – هبة الأيام ٤٥ .

مصادر البحث

١ – أخبار أبي تمام ، للصولي ، تحقيق ، محمد عبده عزام وشريكاه ، دار الآفاق ١٩٨٠م .
٢ – تاج العروس ، المرتضى الزبيدي ، دار حكومة الكويت ١٩٨٤ .
٣ – ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف بمصر ١٩٥٧م .
٤ – شذور الذهب ، ابن هشام ، محمد محي الدين عبدالحميد ، مؤسسة النوري ١٩٦٥م .
٥ – كتاب الأضداد ، الأنباري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . الكويت ١٩٦٠م .
٦ – كشف الظنون ، حاجي خليفة ، إستانبول ١٩٥٢م .
٧ – لسان العرب ، ابن منظور المصري .
٨ – متن اللغة ، أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ١٩٥٩م .
٩ – مجلة الأماني ، العدد ١٢ من السنة الأولى ١٩٢١م .
١٠– مغني اللبيب ، ابن هشام ، مازن المبارك وحمدالله ، دار الفكر ١٩٦٢م .
١١– النحو والصرف ، عاصم بهجة البيطار ، منشورات جامعة دمشق ١٩٨٧م .
١٢– هبة الأيام ، البديعي ، محمود مصطفى، مطبعة العلوم ١٩٣٤م .
١٣– وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٧٨م .

قضايا ألسنية تطبيقية

دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية

عبدالله حامد حمد

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة ام القرى - مكة المكرمة

زكريا ، ميشال / قضايا ألسنية تطبيقية : دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية .- ط١ .- بيروت : دار العلم للملايين .- ١٩٩٣م .

١ - محتويات الكتاب :

يقع هذا الكتاب في مئة وستين صفحة ، ويحتوي على ثلاثة أقسام رئيسة : القسم الأول وهو بعنوان «قضايا سوسيو - ألسنية» ويتكون من فصلين هما الأول والثاني ، ويحملان العنوانين «السوسيو - ألسنية والتخطيط اللغوي» ، و «فعالية الثنائية اللغوية : حقيقة أم وهم» على التوالي . القسم الثاني وهو بعنوان «قضايا سيكو - ألسنية» ويتكون من فصلين ، وهما الثالث ويحمل العنوان «العقل واللغة في النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية» والرابع وهو بعنوان «نظريات الاكتساب اللغوي» . والقسم الثالث والأخير ويحمل عنوان «قضايا ألسنية تراثية» ويحوي الفصلين الخامس بعنوان «نظرية الاكتساب اللغوي في التراث العربي» ، والسادس وهو بعنوان «الركن الاسمي في كتاب سيبويه» .

٢ - ملاحظات عامة :

نود في البداية أن نؤكد على أن هذا التذبذب بين استعمال مصطلح «ألسنية» و «لغوية» كما يظهر في عنوان الكتاب للوهلة الأولى ، وفي ثنايا الكتاب لاحقًا لا داعي له على الإطلاق ؛ فهذه الظاهرة شائعة إلى حد ما في الكتابات اللغوية العربية ، وهي برأينا لا تولد سوى الاضطراب والغموض أحيانًا . ولقد ناقشنا هذه القضية بإسهاب ، وحاولنا تبيان أن هذا التنوع ليس تنوعًا فكريًا جوهريًا ، وأن الداعين لاستعمال المصطلح «ألسنية» «لسانية» «لسنية» وغيرها لم يطرحوا شيئاً جاداً في المصطلحات اللغوية (١) ، فلماذا لا نقتصر على استعمال مشتقات مصطلح «لغة» ؟

أما من ناحية أخرى ، وفيما يتصل بعنوان الكتاب ؛ فإن العنوان يكتنفه بعض الغموض ، فالكتاب يحتوي على المواضيع الرئيسة التالية : قضايا لغوية - اجتماعية ، قضايا لغوية - نفسية ، وقضايا لغوية تراثية . والغموض الوارد في العنوان يتمثل في أن القارئ يتوقع أن يقوم المؤلف بعقد مقارنة لاحقة بين واقع الدراسات اللغوية الاجتماعية واللغوية النفسية المعاصرة من جهة ، وبين مثيلاتها في التراث اللغوي العربي ، إلا أن واقع القسم الثالث لا يدل على ذلك بصورة مضبوطة . صحيح أن الفصل الخامس من هذا القسم يحتوي على مقارنة بين ما كتبه علماء اللغة العربية مع ما كتبه اللغويون العصريون حول قضية اكتساب اللغة إلا أننا نرى أن الفصل السادس من هذا القسم يتناول قضية تخرج عن نطاق علميْ اللغة الاجتماعي والنفسي ، فهي تتعلق ببيان كيف أن سيبويه كان قد بحث قضية الركن الاسمي بصورة دقيقة تقترب مما فعلته النظرية التوليدية - التحويلية ، وهنا يبرز سؤال وهو : ما صلة هذا الموضوع بالعلمَيْن المذكورين ؟ في الوقت الذي نرى فيه أن المؤلف لم يناقش شيئاً مشابهًا داخل الكتاب على غرار مع ما فعل في قضية اكتساب اللغة .

إن طبيعة المواد المعروضة داخل هذا الكتاب بالإضافة إلى طريقة تنظيمها توحيان بأن الكتاب يتكون أصلاً من ثلاثة أوراق بحثية ضمت إلى بعضها البعض ليخرج هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وهذا في الواقع أمر

لا يشوبه شيء ؛ فإن هناك عدداً كبيراً من الكتب تصنع على الطراز نفسه ، وتحوي أكثر من موضوع ، أما إذا اختير هذا الطريق فلابد من ملاحظة التعامل السليم مع المادة المكررة ، ومحاولة التخلص منها بطريقة مناسبة ، والظاهر أن المؤلف لم يعط الاهتمام المطلوب لهذا الأمر ، ففي الصفحات رقم ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ من الفصل الخامس . يقوم المؤلف بإعادة عرض النظريات الحديثة لاكتساب اللغة ، وباعتقادنا أن هذا التكرار غير ضروري ، ولا مكان له هنا عند بداية الفصل الخامس حيث المقارنة في الاكتسابية اللغوية ، ففي الصفحات التي تسبق هذا الفصل بسط المؤلف الحديث عن هذه النظريات ، وعليه كان الأولى بالمؤلف أن يدخل في موضوعه مباشرة ولا يلتفت إلى تلك النظريات إلا بقدر ما يقتضيه نقاش القضية المطروحة في الفصل .

٣ - القسم الأول :

في الفصل الأول من القسم الأول يناقش المؤلف مسألة التخطيط «الألسني» ، ويبين أهميتها في المجتمعات البشرية ثم يأتي بأمثلة على هذه المسألة كما هي المسألة «الألسنية» في الهند ، المسألة «الألسنية» في الاتحاد السوفيتي ، المسألة «الألسنية» في كندا ، المسألة «الألسنية» في بلجيكا . ثم يناقش مسألة الإصلاح الكتابي في بعض البلدان الآسيوية والأوربية . إن كل ما يفعله المؤلف في هذا الفصل هو نقل ما تم تحقيقه من تخطيط «ألسني» في هذه البلاد ، وذلك من خلال المصادر التي استعملها وعلى رأسها وبشكل خاص مؤلفات العالم اللغوي فيشمان *Fishman* . بعبارة أخرى فإننا لا نرى أن القارئ المتخصص سيجد الشيء الكثير هنا .

علاوة على ذلك فإن هذا الفصل يعاني من مشكلات أساسية ، منها مشكلة التوثيق ، فعلى سبيل المثال لم يعط المؤلف - وعلى غير المتوقع - رقم الصفحة من المصدر المذكور للفقرة التي استشهد بها والموجودة في ص ١٠ والتي تبدأ بـ «أفهم بكلمة التخطيط ....» ولم يشر كذلك إلى رقم صفحات المقالة في المصدر بشكل عام . أما الاستشهاد فموجود أصلاً في مصدره في ص ٦٧٣ والمقالة ككل موجودة أصلاً في الصفحات ٦٧٣ إلى ٦٨٧ . يظهر كذلك عدم الدقة التوثيقية في ملاحظته الهامشية عند ذكر مقالة ماكي *Mackey* فالمقالة تظهر في الصفحات ٤١٣ إلى ٤٣٢ وليس كما أوردها المؤلف خطأ .

المشكلة الثانية التي يحويها هذا الفصل تتعلق بالترجمات وتوثيقها ، فمن الواضح أن المؤلف اعتمد في مناقشته المسألة «الألسنية» في البلدان المختلفة إما على الترجمات النصية غير الموثقة وإما على الترجمات الفضفاضة . فعلى سبيل المثال يقوم المؤلف بترجمة أربع نقاط مهمة في ص ١٦ دون أن يشير إلى أنها كذلك مما يدفع القارئ إلى الاعتقاد على أنها كلماته وصياغته . زد على ذلك أنه أغفل رقم الصفحة من المصدر والواقع أن هذه النقاط مأخوذة نصاً من مصدرها ومن ص ١١٠ تحديداً . الشق الثاني من المشكلة يتمثل في اعتماد المؤلف بصورة عامة في هذا القسم ، والذي يليه على ترجمة عدد من الفقرات المستقاة من مصادرها بصورة فضفاضة كما يظهر في ص ٤٤ وتحديداً الفقرة المبتدئة بـ «ساعدت هذه التدابير ... الوضع الألسني في البلاد ؟» وهذا ينطبق على الفقرات الموجودة في ص ٣١ أيضاً .

المشكلة الأخيرة تتمثل في عدم الدقة أحياناً ، فقد ذكر المؤلف في ص ٣١ ما نصه : «منذ القرن السابع حاول اللغويون في الصين إيجاد نظام فو نيتيكي (صوتي) ....» وهذا غير دقيق طبقاً للمصدر الذي اعتمد عليه المؤلف ؛ فالصحيح هو القرن التاسع عشر ، وهذا بالطبع خطأ كبير إذ إنه يحوي معلومة مهمة تتعلق بتاريخ ظاهرة تخطيطية .

أما في الفصل الثاني من هذا القسم فيتناول المؤلف فعالية الثنائية اللغوية ، فقد قدم في هذا الفصل تعريفات كثيرة للثنائية اللغوية وأنواعها ، ثم انتقل إلى اللغة الفرنسية في لبنان ثم أتبعها بتأملات حول الثنائية اللغوية كالألسنية ، السيو - ألسنية ، سيكو - ألسنية ، وتربوية . وهنا أجاد المؤلف في نقاشه وعرضه للقضايا المتنوعة في هذا الفصل ، وخاصة التأملات تلك وعلاقتها بتدريس اللغة في لبنان تحديداً ، وكذلك وجود الازدواجية اللغوية جنباً إلى جنب مع الثنائية اللغوية في بعض أوساط المجتمع اللبناني . على أية حال فإن هذا الفصل لم يخل من عدد من المشكلات .

أولاً : في ص ٣٦ يعطي المؤلف تعريفاً للثنائية اللغوية قائلاً إنها «عملية تلائم الأفراد مع وجود أشخاص في مجتمعهم يتكلمون لغة أخرى» . وهذا في الواقع ترجمة نصية إلا أن المؤلف لم يشر إلى ذلك أو إلى رقم الصفحة التي أخذ منها هذا التعريف من المصدر ، والصحيح هو ص ٢٣٣ .

ثانياً : الافتقار إلى الدقة ففي ص ٣٩ وفي معرض مناقشته للثنائية المدرسية أو التربوية وفي الفقرة (أ) على وجه التحديد ، يقول المؤلف «كما هو الحال مثلاً في جمهورية أمريكا الجنوبية .... وتقيم السياسة اللغوية في هذا البلد تمييزاً عنصرياً تاماً بين مدارس البانتو ومدارس السكان الأوروبيين» السؤال هو : من هي تلك البلد التي يقصدها المؤلف ؟ .

ثالثاً : يزعم المؤلف في ص ٥٠ أن «متكلم اللغة ليس بمقدوره امتلاك سوى كفاية لغوية واحدة، هي الكفاية اللغوية في لغة المجتمع ...» . إننا نرى أن هذا زعم يفتقر إلى الدقة والتوثيق ، ونحن نتساءل بناءً على أية نتائج بحثية أقام المؤلف هذا الزعم ؟ ماذا لو أن الطفل ترعرع في أسرة تستعمل لغتين أليس بإمكانه اكتساب كفايتين لغويتين ؟ فإذا أخذنا تعريف الكفاية اللغوية على أنها المعرفة اللاشعورية للغة بكل مستوياتها الصوتية ، الصرفية ، النحوية والمعنوية فمن منا ينكر أن هناك الكثيرين في الأوساط المختلفة في المجتمعات البشرية يستطيعون إتقان لغات مختلفة على المستوى نفسه؟ ليس هذا فقط ؛ بل إن هناك الحالات اللغوية الموجودة في قبائل الهنود الحمر في غابات الأمازون وعلى ضفافه التي تنسف هذه المزاعم وتؤيد إمكانية اكتساب ليس فقط كفاية لغوية واحدة بل كفايات لغوية .

رابعاً : يهتم المؤلف في ص ٤٩ بأن اللغة العربية عاجزة في الوقت الحالي في المجال العلمي ، فهي برأيه غير قادرة على تلبية الحاجات العلمية . ونحن لا نوافق المؤلف على ذلك . فقد استطاعت المجامع اللغوية في العواصم العربية - القاهرة - دمشق - بغداد - وعمان - وكذلك مكتب الترجمة والتعريب في الرباط من تقديم الإسهامات الجليلة في سبيل إعداد المصطلحات العلمية في المجالات المختلفة على شكل معاجم أو نشرات أو غيرها ، وتستعمل في أوساط علمية كبيرة ، وهناك بلاد عربية مثل سوريا تدرس المواد العلمية باللغة العربية ونجحت في ذلك إلى حد كبير . إلا أن هناك البعض كما هو المؤلف نفسه يفضل استعمال المصطلح الأجنبي على رديفه العربي دون أي سبب مقنع ، وبالتالي يسهم بطريقة أو بأخرى في استمرار التبعية اللغوية ، والتقليل من فعالية المصطلحات العربية . ففي ص ٩ يقول المؤلف «يندرج موضوعنا هذا في مجال السوسيو - ألسنية أو علم الاجتماع اللغوي» وانطلق في الصفحات اللاحقة ليستعمل المصطلح «سوسيو» - *Socio* ؟ وعلى النمط نفسه استعمل مصطلح «سيكو - ألسني» الذي يحتوي على المصطلح *Psycho* - بدلاً من مصطلح «علم النفس اللغوي» .

٤ - القسم الثاني :

في القسم الثاني من الكتاب يتناول المؤلف قضية مهمة ، وهي موضوعي العقل واللغة في النظرية التوليدية - التحويلية ثم نظريات الاكتساب اللغوي . ورأينا النظر في الفصلين الثالث والربع من هذا القسم معًا نظرًا لعلاقتهما الوطيدة . فمما يجدر ذكره هنا هو أن تشومسكي *Chomsky* صاحب النظرية المذكورة استطاع إحداث ثورة (٢) في علم اللغة ، وترتب على ذلك إعادة النظر في كثير من المسلمات التي كانت سائدة في الخمسينات من هذا القرن ، وبالذات فيما يتعلق باكتساب اللغة الأم من قبل الطفل حتى أن أحدهم تحدث لاحقًا عن ثورة في علم النفس اللغوي المعرفي (٣) .

ولكن ما هو الجديد الذي أتى به المؤلف في هذا القسم ؟ نقول وبكل بساطة إنه لم يأت بالجديد ولم يطرح أفكاراً مبتكرة وأصيلة ؛ بل إن كل ما فعله هو نقل ما يقوله علماء اللغة وخاصة تشومسكي ، وكذلك النفسيون أمثال واطسن *Watson* سكينر *Skinner* وبياجيه *Piaget* . يمكن القول إن المؤلف نجح في نقل هذه الأفكار إلى اللغة العربية بأسلوب بسيط في أغلب الأوقات . على أية حال فإنه وللأسف فإن المؤلف قد تغاضى عن أمور مهمة متعلقة بنظرية تشومسكي بخصوص اكتساب اللغة ، وفيما يلي بعض من هذه الأمور :

أولاً : لم يشر المؤلف إلى حقيقة مهمة بخصوص قضية اكتساب اللغة ، وهي أن تشومسكي عمل على ربط نظريته اللغوية ككل بهذه القضية . يقول تشومسكي بهذا الصدد «إن أية نظرية ترمي إلى تحقيق المستوى التفسيري لابد لها أن تبحث في التركيب الداخلي لهذا الجهاز [اكتساب اللغة]» (٤) .

ثانياً : تجاهل المؤلف حقيقة أخرى قررها تشومسكي في وقت مبكر ، وهي التشابه الكبير بين النهج الذي يسلكه الطفل خلال اكتسابه للغة ، وذاك الذي يسلكه

اللغوي الذي يصف اللغة . فكلاهما يعمل على إقامة نظرية لغوية للغة التي يعايشها (٥) .

ثالثاً : تجاهل المؤلف حقيقة أن نظرة تشومسكي بخصوص قضية اكتساب اللغة قد تبدلت عبر السنين وبات له موقفان : الموقف القديم المتمثل في أن الطفل يكتسب اللغة من خلال اكتسابه لمجموعة من القواعد . إذ كان تشومسكي ينظر إلى اللغة على أنها مجموعة من القواعد . أما موقفه الجديد الذي طرحه في بداية الثمانينات تقريبًا فيقضي بأن اللغة تتكون من مبادئ *Principles* وبارميترات *Parameters* . وعليه فاكتساب اللغة يتمثل في اكتساب / تعلم التنوع البارميتري المرتبط أصلاً بالمبادئ العامة أو القواعد العامة التي يمتلكها الطفل ، بحكم كونه كائن بشري ، ثم إضافة القواعد الأخرى الاستثنائية والمقترضة في وقت لاحق (٦) .

من ناحية أخرى فإنه من الملاحظ أن المؤلف قد تقبل نظرية تشومسكي بصورة مطلقة وبدون أدنى مناقشة لبعض مظاهر ومبادئ هذه النظرية ، وهنا ننتهز هذه الفرصة لإثارة بعض التحفظات حول هذه النظرية :

أولاً : يقول المؤلف في ص ٦٥ «فالطفل الذي يتفاعل مع مجموعة جمل محدودة وغير تامة وغير صحيحة يتوصل في الواقع وفي وقت قصير إلى استنباط قواعد لغته» . هذا زعم خاطئ ولا يستند إلى أساس علمي صحيح . ففي الدراسات التي أجراها نيوبورت (٧) *Newport* وليباف (٨) *Labov* أفاد الأول أن جملة واحدة فقط من ما مجموعه ١٥٠٠ جملة ينطبق عليها الزعم المذكور . في حين أفاد الثاني أن ما نسبته ٢٪ فقط هي جمل غير مضبوطة نحوياً ، وهذا بالطبع ينسف مزاعم تشومسكي وتابعيه من الباحثين .

ثانيًا : أما فيما يتعلق بالكليات اللغوية التي تناولها المؤلف بصورة مسلمة تمشيًا مع ما يراه تشومسكي ، فالدراسات الحديثة بدأت تميل بشكل كبير إلى أن هذه الكليات ليست نتاج تراكيب فطرية أي إن الكليات غير موجودة فطرياً بشكل فئات ؛ بل إنها تنمو وتتشكل تبعًا للتطور العرفي كما يشير إلى ذلك سلوبين *Slobin* ، براون *Brown* ، وبياجيه *Piaget* ، وهذا في الواقع هو التيار الذي يلقى أكثر قبولاً هذه الأيام (٩) .

ثالثًا : في نقاشه لقضية اكتساب اللغة ، ينقل المؤلف وجهة نظر تشومسكي التي تركز وبشكل كبير على الجانب العقلي والمنطقي لهذه القضية متجاهلة الجانب الأدائي *Performance* . فتفاعل الطفل مع المحيط اللغوي والاجتماعي ، وكذلك الوظيفة التي تؤديها اللغة تؤدي جميعها دورًا مهماً في عملية اكتساب اللغة كما يرى سنو وفيرجسون (١٠) *Snow and Ferguson* . وهذا في الواقع شجع الباحثة بلوم *Bloom* على طرح نظريتها المهمة حول اكتساب اللغة ، والتي باتت تعرف بالنظرية الوظيفية *Functionalist* والتي يأت المؤلف حتى على مجرد ذكرها . تقول بلوم بهذا الصدد : «يتوقف نجاح الطفل لتعلم اللغة على مدى قدرته لإدراك وفهم وتنظيم محيطه ، والتي تشكل اللغة جزءًا منه بالإضافة إلى فهم العلاقة التي تربط الاثنين ...» (١١) .

وهناك عدد من المشكلات الأخرى ففي ص ٦٥ يقول المؤلف ما نصه : «وقد توصل باحثون لغويون ، كل من جهته على دراسة لغة الأطفال ، إلى نتائج تكاد تكون واحدة بالرغم من اختلاف اللغات التي يدرسونها وبالرغم من المسافات الجغرافية التي تفصل بين المجتمعات التي تجري فيها الدراسات» . ثم يكرر المؤلف العبارة نفسها في ص ٩٤ مع إعطاء ملاحظة هامشية للرجوع إلى أحد كتبه . في دراسة كهذه لا نتوقع من باحث بهذا المستوى أن يطلق عبارة «باحثون لغويون» دون إعطاء تفصيل بسيط عن أسماء هؤلاء وأعمالهم فوراً . نحن نرى بأن هذا أمر ملح في دراسة كهذه نظرًا لأهمية الفكرة التي تحويها العبارة ذاتها . على أية حال فإن القارئ المتخصص والمطلع يستطيع تخمين وتحديد أسماء هؤلاء الباحثين ، لكن البحث العلمي لا يحتمل إطلاقات عامة مبهمة للقارئ بشكل عام .

وهناك مشكلة التوثيق ، فإن أي قارئ متخصص يمر على هذا القسم يتوقف عند عدد من الجمل والفقرات التي يشعر أنها مأخوذة من كتابات تشومسكي . إلا أن المؤلف يفشل في الإشارة إلى المصادر التي أخذت منها الأفكار التي تحويها تلك الجمل والفقرات ، فعلى سبيل المثال وعند عرضه لمسألة التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي في الصفحات رقم ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ لا يشير المؤلف إلى أي مصدر كان إلا واحداً في نهاية ذلك الجزء عند استشهاده بعبارة من أحد كتب تشومسكي . علمًا بأنه من الواضح أن تلك الأفكار مأخوذة من كتاب تشومسكي (١٢) الموسوم

بـ : *Aspects of the Theory of Syntax* «مظاهرة النظرية النحوية» . بل إن المؤلف عمد إلى الترجمة المباشرة دون توثيق أحيانًا ، وذلك عند حديثه عن الأداء الكلامي ، يقول المؤلف في ص ٦١ : «لذلك فهو لا يعكس الكفاية اللغوية مباشرة ولا بشكل تام فالتماس المثالية بهدف مسايرة مقتضيات البحث ، يجعلنا نفترض أن الأداء الكلامي هو الانعكاس الحاصل في عملية التكلم للكفاية اللغوية» ، فهذه الجمل مأخوذة من الكتاب المذكور أعلاه وتحديدًا من ص ٤ ، مثال آخر على مشكلة التوثيق هي حديثه عن القواعد الكلية وخصوصًا عن ماهية هذه القواعد . إن القارئ يشعر في الفقرتين الأوليتين أن المؤلف يعرض نوعًا من التعريف أو ما يشبه لهذه القواعد ، ففي ص ٦٨ يقول المؤلف «تحدد القواعد الكلية بأنها مجموعة المبادئ ... وتحتوي القواعد الكلية على جملة المسائل اللغوية ... والنمط الذي تصاغ عليه القواعد والعلامات التي تتشابك فيها» . أما الفقرة التالية في الصفحات ٦٨ و ٦٩ فتبدأ بـ «من زاوية أخرى ومعادلة ، يمكن القول إن القواعد الكلية تحتوي على المبادئ الكلية ... والتي لا تتغير لتنوع الجنس البشري» . عند طرحه لهذه الأفكار يفشل المؤلف بالإشارة إلى أي مصدر يتعلق بهذه الأفكار . مثال آخر على التعثر الواضح في التوثيق يظهر عند حديث المؤلف في ص٧٢ عن وجهة نظر وطسن *Watson* السلوكية ، فعلى الرغم من عرض وجهة النظر هذه بصورة مبسطة وجيدة ؛ فإن المؤلف لا يبدي اهتمامًا كافيًا بالإشارة إلى أي من المصادر التي استقى المؤلف منها أفكار هذا العالم سواء في الملاحظات الهامشية أو قائمة المراجع .

من ناحية أخرى فإن المؤلف يبدي نوعًا من اللامبالاة عند توثيقه لعدد من الاستشهادات في هذا القسم ففي ص ٥٨ ينقل المؤلف العبارة التالية عن تشومسكي حين يقول : «لا وجود للغة خارج إطار تصورها العقلي ومهما تكن خصائصها ... ويبدو لنا أن اللغة مفيدة لسبر المسار العقلي واكتشاف نظامه» . ثم يعيد قسمًا من العبارة في ص ٦٨ ، وأخيرًا يكررها في الصفحات ٩٦ و ٩٧ . يشير المؤلف إلى مصادر هذه العبارة من كتاب تشومسكي الموسوم بـ : *Language and Mind* (اللغة والعقل) ويزعم مرة أنها في ص ١٣٥ ، ومرة في ص ٣٥ ثم يعود ليذكر ص ١٣٥ على التوالي . المشكلة تكمن ليس في التباين في رقم الصفحات حتى يظن القارئ أن ذلك قد يكون خطأً مطبعيًا ؛ بل إن هذه العبارة سواء جزئيًا أو كليًا غير موجودة أصلاً لا في ص ١٣٥ ولا ٣٥ ، وهذا القول ينطبق كذلك على الاستشهاد رقم ١٧ الموجود في ص ٦٩ والاستشهاد رقم ١٩ الموجود في ص ٧٠ والاستشهاد رقم ٢٧ الموجود في ص ٩٦ وكلها غير موجودة في مصادرها المذكورة .

قضية أخرى تستحق الوقوف عليها هي أن المؤلف وعند مناقشته لنظرية تشومسكي يكتفي بالاعتماد على كتب تشومسكي القديمة نوعًا ما . فعلى سبيل المثال لا نرى ذكرًا لمؤلفات تشومسكي سواء في الثمانينات أو التسعينات علمًا بأن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو من إصدارات العام ١٩٩٣ . هنا لابد أن نخص بالذكر كتاب تشومسكي (١٣) الموسوم بـ : *Knowledge of Language* «معرفة اللغة» وهو من إصدار عام ١٩٨٦ فهو أحد الكتب المهمة والحديثة ، والتي لا يمكن تجاهلها عند الحديث عن قضية اكتساب اللغة . ففي هذا الكتاب طرح تشومسكي شيئًا جديدًا وهو ربطه القضية هذه بما أسماه بـ : *Plato's Problem* «قضية أفلاطون» والتي تشتمل على فكرة كيف أن الإنسان يستطيع معرفة الكثير في الوقت الذي يوجد لديه الدليل البسيط في محيطه .

وأخيرًا ؛ فإن المؤلف يترجم مصطلح "*Grammars*" إلى «قواعد» كما يتبين في ص ٦٧ وهذا برأينا غير دقيق لأن هذا المصطلح كما يستعمله تشومسكي على وجه التحديد لا يعني ما قدمه المؤلف ؛ بل يشير إلى النظرية العامة التي تشمل نظام الصوت ، ونظام النحو ، ونظام المعنى التي تغطي تركيبة اللغة بالكامل ، ولقد اقترحنا استعمال مصطلح «الجراماطيقا» ليدل على المعنى الواسع للمصطلح "*Grammar*" (١٤) .

عند مناقشته لنظرية الاكتساب اللغوي المعرفية يطرح المؤلف نظريتين فرعيتين أسماهما ١ – النظرية المعرفية و ٢– النظرية التكوينية ، ويعالج تحت الأولى والثانية وجهة نظر بياجيه *Piaget* العالم النفسي المشهور ، إننا لا نرى سببًا لهذا التصنيف لهذه النظرية التكوينية *Constructivist* تقوم على عملية التوازن *Equilibration* وهذه بدورها تستند إلى فكرتي الملاءمة *Accomo-*

dation والتمثل Assimilation . فكان الأفضل دمج هذين العنوانين إذا أراد المؤلف مناقشة وجهة نظر بياجيه فقط دون غيرها من وجهات النظر المعرفية الأخرى .

لقد أصاب المؤلف حين قرر أن بياجيه لم يولِ اكتساب اللغة اهتمامًا وعالجها من زاوية محدودة وهي الدور الذي تلعبه في النمو المعرفي فقط . فاللغة نتيجة الذكاء وليس العكس ، وأن اللغة هي امتداد للوظيفة الترميزية Semotic Function التي تبدأ في وقت سابق لظهور اللغة. فمن الملاحظ أن بياجيه تناول قضية نمو اللغة بصورة عرضية في مناسبات مختلفة ، إلا أنه بلور وجهة نظره هذه بصورة واضحة ودقيقة في الحوار الجاد والعميق الذي أجراه مع تشومسكي في العام ١٩٧٩ في جنيف .

على أية حال ؛ فإن هذا العرض لوجهة نظر بياجيه المتعلقة باكتساب اللغة ونظرية الاكتساب اللغوي غير كافٍ، فيبدو أن المؤلف لم يطلع على أعمال الكاتبة السويسرية سنكلير دي زوارت [15] Sinclair de Zwart التي تلقفت نظرية بياجيه هذه وقامت بدراسات ميدانية وأبحاث تجريبية لاختبار قدرة هذه النظرية على تفسير واقع اكتساب اللغة طبقًا لمزاعم بياجيه . فدور هذه الكاتبة يشبه الدور الذي قام به ماكنيل [16] McNeill عندما تلقف هو الآخر نظرية تشومسكي وقام بأبحاث مشابهة . ومما يجدر ذكره هو ما ردده بياجيه وسنكلير دي زوارت من أن التزامن بين ظهور اللغة عند الطفل وانتهاء المرحلة الأولى من مراحل التطور المعرفي المعروفة بمرحلة الإدراك الحسي - الحركي Sensori-motor ليس اعتباطياً ، وهذا في الواقع يعد أحد التحديات الرئيسة لوجهة نظر تشومسكي الذي لا يعترف بوجود أية صلة بين هاتين الظاهرتين .

٥ - القسم الثالث :

في القسم الثالث يقوم المؤلف بعمل مقارنة بين ما طرحه علماء اللغة العرب الأوائل وما طرحه أقرانهم من علماء اللغة الحديثين حول قضية اكتساب اللغة . يبين المؤلف عطاء القاضي عبدالجبار الذي ركز على الممارسة والاعتياد في اكتساب اللغة ووجود شبه بين أفكاره وأفكار كل من بياجيه وتشومسكي ، ثم عرض المؤلف دورالفارابي الذي ركز على القوى النظرية ، وكيف أنه يقترب من تشومسكي في هذه الحالة إلا أن الفارابي يرى بحسب ما ينقله المؤلف في ص ١٠٨ «أن عملية الاكتساب إنما هي تحصيل مباشر عبر تجربة لغوية» . وهنا برأينا يختلف عن وجهة نظر تشومسكي في النظر إلى التجربة . إذ إن تشومسكي يحصر دور التجربة في إحداث تنشيط للأفكار الفطرية الكامنة في العقل الإنساني فقط ولا تؤدي دورًا في تشكيل تركيبة اللغة [17] . ثم يتألق المؤلف عند المقارنة بين وجهتيْ نظر ابن خلدون وتشومسكي حول اكتساب اللغة ، يقدم المؤلف ثمانية أمور يتقارب فيها العالمين من أهمها أن اللغة ملكة مكتسبة ، التمييز بين الملكة وبين صناعة اللغة ، التمييز بين الملكة اللسانية وقواعد اللغة ، التمييز بين الاكتساب اللغوي وتعلم اللغة .

مع بداية هذا القسم يقوم المؤلف بإعادة عرض النظريات الاكتسابية اللغوية بصورة مختصرة ، وهذا كما أسلفنا تكرار في غير محله ، إذ إن الصفحات السابقة تحتوي على نقاشات كافية لهذه النظريات . هناك أمران يلفتان الانتباه في هذا الجزء المكرر أولاً : يكتفي المؤلف بإعادة عرض ثلاث نظريات بدلاً من أربع ، إذ إنه يسقط النظرية البيولوجية تمامًا . ثانيًا : يعمد المؤلف إلى استعمال مصطلح (البيئية) بدلاً من (السلوكية) على عكس ما قدمه سابقًا ، والاثنان لا يعنيان الشيء نفسه ، فيمكن ترجمة الأول إلى : Environmetal والثاني إلى Beha-viouristic . برأينا أن المصطلح الثاني هو الأصح ، وهذا الأمر شبيه بما فعله المؤلف عندما أعاد عرض نظرية تشومسكي التي أسماها سابقاً بالألسنية وهنا يعطيها مسمى (العقلانية) . فهذا تباين لا داعي له ولا يضيف شيئاً من المعرفة ؛ بل ربما يوجد بعض الخلط ، ومن الجدير بالذكر أن تشومسكي يرفض هذه التسمية وغيرها، ويصر على تسمية فرضيته حول اكتساب اللغة بـ : Open Mind-edness Hypothesis (فرضية الانفتاح العقلي) [18] .

في الجزء الأخير من هذا القسم يعالج المؤلف مسألة «الركن الاسمي في كتاب سيبويه» ولقد أشرنا إلى المشكلة التي تكمن في هذا الجزء سابقًا . على أية حال فإننا ننتهز هذه الفرصة لنعلق بالقول إن المؤلف استطاع أن يصف فكرة الركن الأساسي ، والتي يقابلها فكرة الـ NP في النظرية التوليدية - التحويلية بعمق ودقة ، ويتجلى ذلك من

خلال الإتيان بالأمثلة المتنوعة والكثيرة لدعم فرضيته التي تقضي بأن سيبويه كان على وعي تام بهذه الفكرة . وتتمثل قدرة المؤلف في هذا الجزء في استخلاصه وتقعيده للقواعد التي بلغت سَبعًا وعشرين قاعدة متصلة بالركن الاسمي ، وكذلك عرضه للمواقع التي يحتلها الركن الاسمي وعددها خمسة عشر موقعًا .

٦ - الخاتمة :

كان القصد من هذا النوع من النظر في هذا الكتاب هو إبراز عدد من الجوانب التي يمكن تقديمها بصورة أفضل في فرصة أخرى أي عند إعادة طبع هذا الكتاب مستقبلاً ، إننا نتوقع الكثير من الباحثين المتخصصين ونطمح أن نجد الأصيل المبتكر والجديد العميق الذي يضيف شيئاً من المعرفة ، والكتاب الذي بين أيدينا هو محاولة متواضعة ومحدودة نحو هذا الهدف .

الهوامش والمراجع

١ - انظر مقالتنا بعنوان (The Term "linguistics" in Arabic) المنشورة في مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - عدد ٥٦ . ديسمبر ١٩٩٢م .

٢ - Searle, J. (1974) "Chomsky's Revolution in Linguistics" In G. Harman (Ed). On Noam Chomsky : Critical Essays. New York : Anchor Books . pp . 2-33 .

٣ - Greene, J. (1974) Psycholinguistics . Chomsky and Psychology. Harmondsworth: Penguin Books. P. 20 .

٤ - Chomsky, N. (1964). Curent Issues in Linguistic Theory. TheHague : Mouton. p. 58 .

٥ - Chomsky, N. (1975) The Logical Structure of Linguistic Theory. New York : Plenum Press.

٦ - Chomsky, N. (1986) Knowledge Language New York : Praeger.

٧ - Newport, E. (1975) "Motherese : The Speech of Mothers to Young Children." Technical Report No. 52, Center for Human Information Procssing. San Diego. University of California Press .

٨ - Labav, W. (1970) "The Study of Language in Social Context" Studium Generale 23, pp 1 - 43 .

٩ - Slobin, D. (1966) Comments on "Developmental Psycholinguistics" In F. Smith and G. Miller (Eds) The Genesis of Language. Cambridge MA : MIT Press.

Brown, H. (1987) Priciples of Language Learning and Teaching. New Jersey. PernticeHall .

Piagt, J. (1980) "Schemes of Action and Language Learning" In M. Piattelle - Palmarini (Ed).Language and Learning. London: Routledge and Kegan Paul. pp. 164 - 164.

١٠- Snow, C. and Ferguson C. (1977) Talking to Children : Language Input and Acquisition. Cambridge, MA . Cambridge University Press.

١١- Bloom, L. (1970) Language Development : Form and Function. Cambridge, MA : MIT Press. p . 1 .

١٢- Chomsky, N. (1965) Aspects of the Theory of Syntax. Cambride, MA . MIT . Press .

١٣- Chomsky, N. (1986) Knowledge or Language. New York : Praeger.

١٤ - انظر مقالتنا بعنوان (نظرة على المصطلح اللغوي "جراماطيقا") المنشور في مجلة المنهل عدد ٥٠٥ لعام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

١٥- Sinclair de Zwart, H. (1973) "Language Acquisition and Cognitive Development" In T. Moore (Ed) Cognitive Deveopment and the Acquisition of Language. New York : Academic Press. pp. 9 - 25 .

١٦- McNeill, D. (1966) "The Creation of Language" In J. Lyons and R. Wales (Eds) . Psycholinguistics Papers :Edinburgh: Edinburgh Uinversity Press.

١٧- Chomsky, N. (1965) Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge, MA : MiT Press.

١٨- Chomsky, N. (1980) "Discussion of Putnam's Comment" In M. Piatteli - Palmarini (Ed) Language and Learning. London : Routledge and Kagan Paul . pp 310 - 324/ P . 310 .

تقارير

المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية

أحمد علي قراز
كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لقد كان لقصور الدراسات الفنية والمنهجية في مختلف المجالات للباحثين والدارسين الإسلاميين ؛ أثره الواضح في تعثر وانتكاسة البحوث العلمية ، وأصبحت هناك حاجة إلى المزيد من الجهد والمثابرة في مختلف ميادين البحث العلمي ، وخطط البناء الفكري والاجتماعي اللازم لبعث النهضة الإسلامية .

وليس ثمة شك ، في أن حل مشكلة التعليم والتربية يأتي في مقدمة المهام الصعبة التي تواجه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر ، إذ لا يمكن أن يكون هناك أمل في إحياء حقيقي للأمة مالم يصحح نظامها التربوي والتعليمي ، وتقوم أخطاؤه وسلبياته ، بحيث يعمل في تناسق وتكامل على برنامج رشيد للإصلاح والتقدم .

ومن هنا جاءت أهمية الدعوة إلى إنشاء «المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية» ، وتدارست هذه الفكرة جماعة من العلماء والمفكرين والمهتمين بالعمل الإسلامي ، حيث شرعت في اتخاذ الإجراءات اللازمة بتسجيل هذا المركز وإشهاره كجمعية بوزارة الشئون الاجتماعية في مصر تحت رقم ١٦٨ وتاريخ ١٥ / ١/ ١٩٨٩م .

أهداف المركز

الغرض الرئيسي من المركز - كما تحدده لائحة النظام الأساسي - هو العمل على جمع وتحليل واسترجاع المعلومات والدراسات الإسلامية التراثية والمعاصرة ، وتحقيق تبادل هذه المعلومات والدراسات مع مراكز الدراسات والبحوث وأوعية المعلومات المماثلة في إطار شبكة متكاملة للمعلومات الإسلامية اللازمة لتغذية الصحوة الإسلامية المعاصرة ، ودفع تقدمها دينياً واجتماعياً وحضارياً ، وذلك من خلال القيام بالأنشطة التالية :

١ - التعريف بمشروعات التوثيق والمعلومات التي تضطلع بها المنظمات الإسلامية الإقليمية والدولية مثل : منظمة المؤتمر الإسلامي ، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، والمنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية (المنظمتان الأخيرتان متفرعتان عن المنظمة الأولى) ، ورابطة العالم الإسلامي ... إلخ ، ويبدأ العمل في هذا المجال بالأنشطة التالية :

١٠١ - تحديد مصادر تجميع وخدمة المعلومات الإسلامية في هذه المؤسسات ، من مكتبات ومراكز معلومات وغيرها .

١٠٢ - حصر وتحليل الإنتاج العلمي الإسلامي ، وتحديد الأدوات المستخدمة في هذا الحصر من فهارس وببليوجرافيات وكشافات ومستخلصات . ويستعان في ذلك بتقنية المعلومات الحديثة لإفادة الباحثين والدارسين على كافة مستوياتهم .

٢ - التعريف بالرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات في مجالات الدراسات الإسلامية لدرجات الماجستير والدكتوراه والعالمية المجازة من جامعات العالم ، وذلك عن طريق :

٢٠١ - جمع وتوثيق أعمال المؤتمرات المحلية والدولية والكتب والدوريات والأطروحات التي تصدرها الهيئات والجامعات والمنظمات ، مما له صلة بالدراسات الإسلامية الأكاديمية والتطبيقية .

٢٠٢ - إصدار دليل دوري بمستخلصات الأطروحات.

٢٠٣ - الحصول على نصوص الأطروحات

وتسجيلها ميكروفلمياً .

٢٠٤ – تبادل الإنتاج العلمي الإسلامي مع الجامعات والهيئات والمنظمات العلمية .

٣ – التعريف بكافة الدراسات والبحوث والمحاضرات التي تضمنتها أعمال الندوات والمؤتمرات الخاصة بالتربية الإسلامية بهدف الوصول إلى صياغة نظرية عامة في التربية الإسلامية (استراتيجية التربية) وذلك عن طريق:

٣٠١ – إعداد دليل متكامل يتضمن مستخلصات مؤتمرات التربية الإسلامية .

٣٠٢ – تسجيل أصول البحوث والدراسات على ميكروفلم.

٣٠٣ – دعوة الصفوة المتخصصة من علماء الأمة الإسلامية للمشاركة في وضع استراتيجية التربية والإعلام المتجدد بها .

٤ – تشجيع التعاون والترابط بين قادة الفكر في العالم الإسلامي ، وتبادل الإنتاج العلمي الإسلامي مع الجامعات والهيئات والمنظمات الإسلامية .

٥ – ترجمة ونشر توصيات المؤتمرات والندوات الدولية الإسلامية ، والإعلام عن تبادل المعلومات الإسلامية ، وربط الدوريات الإسلامية والعربية ببعضها وبنظائرها باللغات الأخرى .

٦ – نشر المعارف العلمية المتقدمة على الأمة الإسلامية بهدف الوصول إلى صياغتها من منظور إسلامي .

٧ – إعداد مكتبة علمية متخصصة ، تكون مرجعًا للعلماء وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا .

٨ – تنظيم الندوات والحلقات الدراسية والاشتراك في المؤتمرات الدولية .

٩ – تدريب وتنمية القوى العاملة في مختلف المجالات المتصلة بالتوثيق والمعلومات والدراسات والتربية الإسلامية .

هذا ؛ وقد اتخذ المركز من مكتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة مقراً له ، والكائن في : ٢٦ ب شارع الجزيرة الوسطى بالزمالك .

التعليق

الجدير بالذكر أن العالم العربي والإسلامي في حاجة ماسة إلى مثل هذه المراكز العلمية ، والتي تهتم بالدرجة الأولى بجمع وتنظيم وبث المعلومات خصوصًا في مجال التربية الإسلامية . وقد استبشرت خيرًا حينما قرأت عن تلك المؤسسة الفنية ، التي يترأس مجلس إدارتها معالي الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي وهو رجل مشهود له بعلمه ونزاهته وغيرته الإسلامية . وكذلك الأخ الدكتور علي جمعة نائبًا للرئيس ، والأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا سكرتيرًا عاماً ، هذا إضافة إلى نخبة من العلماء الأفاضل . ولكن لي بعض الملاحظات ، التي آمل أن يتسع صدر الأساتذة والعلماء وأعضاء مجلس الإدارة لها . وتتلخص في :

١ – أن أهداف المركز وأوجه نشاطه متداخلة ، ومن المفيد أن تتركز أهداف المركز في إنشاء عدد من قواعد المعلومات الإسلامية المتخصصة مثل : التربية الإسلامية – الاقتصاد الإسلامي – العلوم الشرعية – علم النفس – علم الاجتماع ... إلخ .

٢ – يتلخص دور قواعد المعلومات – سابقة الذكر – في تحليل مقالات الدوريات العربية وأعمال المؤتمرات والندوات والرسائل الجامعية ذات العلاقة بأهداف المركز، وكذلك الإنتاج الفكري الجديد من الكتب المنشورة حديثًا، وأمهات كتب التراث بحيث يمكن لكل باحث استرجاع المعلومات التي تناسبه وبالقدر الذي يحتاجه .

٣ – إعداد ملخصات للمواد المذكورة في رقم (٢) بحيث يمكن أن يستغني بها الباحث عن قراءة الوثيقة أو تدفعه لقراءة النص كاملاً إذا اقتضى الأمر ذلك .

٤ – إن عملية نشر الأدلة بالشكل المبين في أهداف المركز بدأ يدخل في تاريخ خدمات المعلومات ، فمن الأفضل والأكثر اقتصاداً إعداد قواعد معلومات على أقراص الليزر ذات الطاقة التخزينية العالية .

٥ – إن ربط هذه القواعد مع مراكز البحث العلمي عامة والجامعات خاصة سوف يسهل الاستفادة منها بدرجة كبيرة .

٦ – ينبغي على المركز محاولة الاستفادة من خدمات المعلومات المتوافرة حالياً ، وألا يبدأ من الصفر .

٧ – إن عملية تحديث قواعد المعلومات تعدّ أهم عنصر في هذه العملية ، وذلك بإضافة الإنتاج الفكري الجديد أولاً بأول .

٨ – عمل شبكة معلومات عن طريق الاتصال بمراكز المعلومات العربية ذات الأهداف المشتركة .

٩ – من الملاحظ أن مجلس الإدارة لا يضم أحداً من أخصائيي المعلومات أو خبراء التربية .